يطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية
الجزء الثانى من موسوعة :

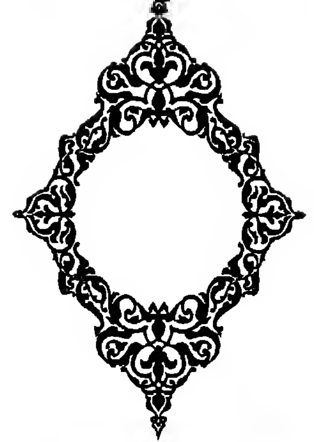
رجال ونساء

أنزل الله فيهم قرآنا

الدكتور عبد الرحمن عميرة

دار الحرم للتراث

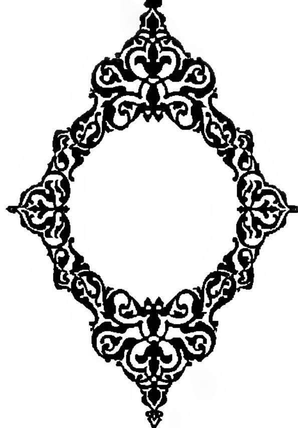
45 سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
ت : 5916021



رجال ونساء

أنزل الله فيهم قرآنا

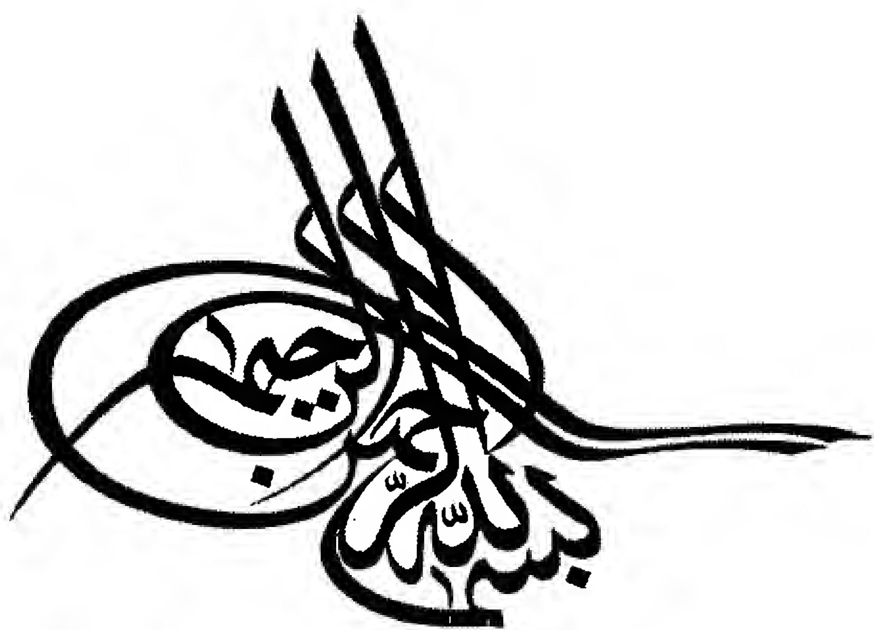
اســـــم الكتاب : رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا
اســـــم المؤلف : د/عبدالرحمن عميرة
الناشــــــــر : دار الحرم للتراث
العنـــــــوان : ٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
التليفـــــــون : ٥٩١٦٠٢١ - ٠١٠٥٦٢٤٥٨١ - ٠١٠١٥٣٢١٤٥
رقـــــم المجلد : الثانى
رقـــــم الإيداع : ٢٠٠٥/١٨٠٠٤
الترقـــيم الدولي : 977-6038-25-5
تجهيزات الكمبيوتر : H 4 للكمبيوتر ٠١٠٦٦٧٤٣٣٥
تصميـــم الغــلاف : ياسر فوده ٠١٢١٦٨٤٥٠٦



الطبعـــة الأولى
ينـــاير / ٢٠٠٦

خالد بن الوليد سيف الله

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾.

(البقرة: ٢٧٨- ٢٧٩)

أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

١- قال ابن عباس- رضي الله عنهما- نزلت فى بنى عمرو بن عمير ابن عوف من ثقيف.

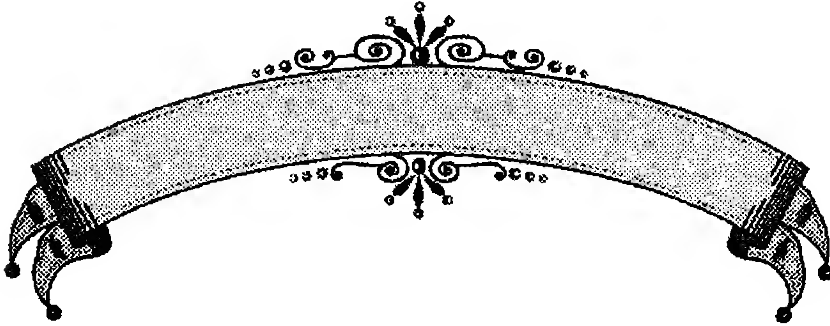
وعزاه السيوطى فى اللباب ص ٥١ لأبى يعلى وابن منده من طريق الكلبى.

وقال عطاء وعكرمة نزلت فى العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان. وكانا يسلفان فى التمر.

وقال السدى نزلت فى العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا.

وعزاه السيوطى فى الدر ١ : ٣٦٦ لابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم.

فمن هو خالد بن الوليد- رضي الله عنه..؟



قال الرسول- ﷺ :

خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سَلَّهُ الله على المشركين.

رواه البخارى فى فضائل الصحابة ٢٥

قال الصديق أبو بكر- رضي الله عنه :

عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد.

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب

لابن عبدالبر

لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها

وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة

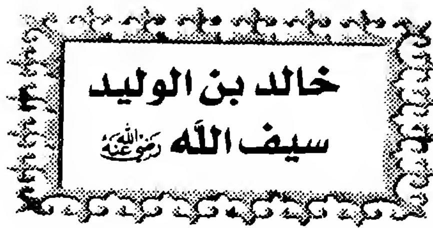
سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم ثم هأنذا

أموت على فراشى كما يموت البعير فلا

نامت أعين الجبناء.!؟

خالد بن الوليد


خالد بن الوليد رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته

بطل من أبطال المعارك لا يشق له غبار.

وفارس مقاتل لم يعرف طعم الهزيمة قط.

وسيف من سيوف الله، سلَّه الله على المشركين.

والده : الوليد بن المغيرة. كان يقال له العدل. لأنه كان يكسو الكعبة عاماً، وتكسوها قريش كلها عاماً آخر.

من هنا جاء لقب العدل، وهو أحد قضاة العرب فى الجاهلية.

ومن زعماء قريش فى دار الندوة.

يصفه بعض المؤرخين، بأنه كان رزيناً هداه عقله إلى بعض الحق. منها أنه عرف أن الخمر لا تليق بالرجل الوقور..

عندئذ حرمها على نفسه قبل ظهور الإسلام.

وقد تناوله القرآن الكريم فى أكثر من موضع. منها أنه عندما سمع الوليد بدعوة الإسلام التى جاء بها محمد- صلى الله عليه وسلم - وتتابع الوحى على يتيم بنى طالب- كما كانوا يسمونه - انتفخت أوداجه كبراً وصلفاً. وأخذته العزة بالإثم.

ثم زعم بأنه أحق الناس بالنبوة والقرآن.

وقال: أينزل القرآن على محمد وأُترك..؟

وأنا كبير قريش وسيدها..؟

ويردد القرآن أمانيهم الباطلة، وأحلامهم الواهية، وتدخلهم فى شئون الخالق جل وعلا. وهم أنفسهم لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١).

وأم خالد: لبابة بنت الحارث. أخت ميمونة زوج النبى - ﷺ.

وأخت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب- رضي الله عنه.

ولخالد عشرة من الإخوة الذكور.

منهم: الوليد بن الوليد الذى أسره المسلمون فى غزوة بدر. فقدم فى فدائه أخواه خالد وهشام وافتدياه بأربعة آلاف درهم.

فلما افتدياه أسلم. فقيل له: هلا أسلمت قبل أن تفتدى وأنت مع المسلمين..؟

فقال: كرهت أن تظنوا بى أنى جزعت من الإسار فأسلمت..!

وعندما نطق بالشهادتين حبسوه بمكة فكان رسول الله - ﷺ - يدعو له فيمن دعا لهم من مستضعفى المؤمنين بمكة.

إسلام خالد

يقول خالد بن الوليد- رضي الله عنه - شرح الله صدرى للإسلام، فأزمعت الهجرة إلى رسول الله - ﷺ.

ثم أردت صاحباً يرافقنى فلقيت عثمان بن طلحة، فذكرت له الذى أريد.

فأسرع بالإجابة.

(١) سورة الزخرف آية رقم: ٣١، ٣٢.

وخرجنا ليلاً فلما كنا «بالهل» إذا عمرو بن العاص- رضي الله عنه .

فقال: مرحباً بالقوم.

قلنا: وبك.

قال: أين مسيركما..؟

فأخبرناه بوجهتنا فقال: وأنا أريد ذلك.

فسرنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فلما وقفت بين يدى الرسول - صلى الله عليه وسلم - سلمت عليه بالنبوة.

فرد علىَّ السلام بوجه طلق.

فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -:

«قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير».

وبايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقلت استغفر لى كل ما قدمت من صد عن سبيل الله.

فقال: الإسلام يجُبُّ (يقطع) ما كان قبله.

قلت: يا رسول الله ادع لى..؟

فقال: اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما قدمِ من صد عن سبيلك.

وقال خالد: وتقدم عمرو بن العاص. وعثمان بن طلحة فأسلما وبايعا رسول الله- صلى الله عليه وسلم -.

أسلم خالد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة. وقال الرسول- صلى الله عليه وسلم - ـ عندما رآهم مقبلين عليه ـ للصحابة:

«رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها».

ونقول: هل بقى فى مكة لدى قريش الجاحدة بدين الإسلام أمثال هؤلاء

الفرسان الشجعان ملوك المعارك..؟

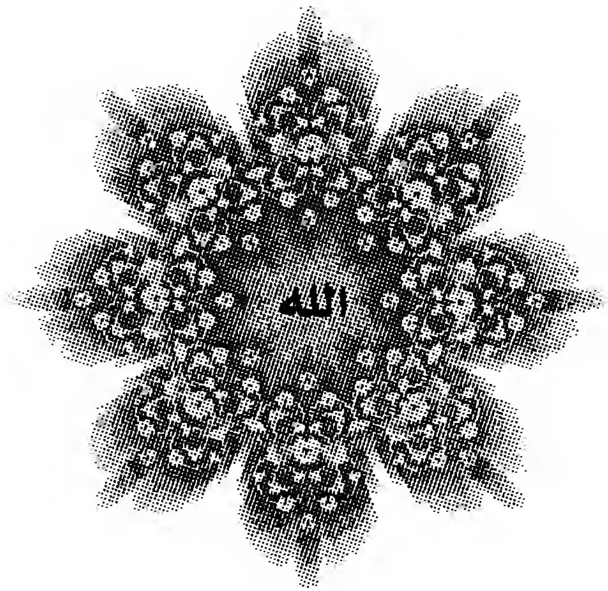
إن وصول الفرسان الثلاثة إلى مدينة الرسول- ﷺ - معناه أن قريش استسلمت، وألقت بكل أسلحتها.

وقد فشلت (استراتيجيتها)، ويئست فى دخول معركة جديدة مع محمد وفرسانه.

ليس هذا فحسب. ولكن أصبحت حصون مكة جميعها مفتحة بالكامل أمام القوة الضاربة لجيش المسلمين.

هذا بالإضافة إلى وجود هدنة بين الرسول- ﷺ - وبين قريش.

إذن لابد من تأمين الجزيرة العربية من جيوش الروم التى تعسكر على مشارف الشام. وتهدد المداخل والمخارج.



خالد فى غزوة (مؤتة)

لهذا كانت أولى الغزوات التى اشترك فيها خالد بن الوليد بعد إسلامه- هذه الغزوة.

ولقد ظهرت عبقريته الحربية. عندما رأى أن الروم قد حشدت لهم أكثر من مائتى ألف جندى، مع وفرة المعدات الحربية التى يملكونها..

عندها قسَّم خالد جيشه الذى لا يتجاوز عدده الثلاثة آلاف جندى إلى قسمين.

قسم واجه العدو، وأخذ فى مناوشته، ومبارزة جنوده.

وقسم آخر ابتعد تحت جنح الظلام عن أرض المعركة، وأخذ يجرى بالخيل فى الصحارى الممتدة، فتثير الغبار، ويتصاعد إلى عنان السماء.

عندها شعر جيش الأعداء بأن مدداً جاء للمسلمين، فانحازوا بعيداً عن مسرح المعركة.

عندها انحاز المسلمون متهيئين للسير إلى المدينة.

وبذلك استطاع خالد أن ينقذ جيشه من هزيمة محققة ويعود بتلك الكوكبة من الفرسان سالمين إلى المدينة.

وفوَّت فرصة النصر أمام جيش جرار لا تغيب عنه الشمس.

خالد فى فتح مكة

اشترك خالد فى فتح مكة. وشاهد الرسول- ﷺ - وهو آخذ بأستار الكعبة ويقول:

(جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً).

ويكرر لا إله إلا الله.

صدق وعده، ونصر عبده.

وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

يا أهل مكة. يا سدنة بيت الله الحرام. ما تظنون أنى فاعل بكم..؟

قالوا: خيراً: أخ كريم وابن أخ كريم.

عندها قال عليه السلام:

«اذهبوا فأنتم الطلقاء.

المعارك الجانبية فى فتح مكة
وسماحة فرسان الإسلام

لقد وقعت بعض المعارك الجانبية فى فتح مكة مع عصابات الشرك والكفر وشاهد الإمام علىٌّ- كرم الله وجهه- أحد فرسان المشركين يجندل جنود المسلمين ويعمل سيفه فى رقابهم.

وكأنه النار المحرقة التى تكتسح أمامها كل شىء.

وما كاد الإمام علىٌّ يرى ذلك. حتى انقض عليه، وانتزعه من على فرسه، وألقى به أرضاً.

وقبل أن ينتزع الفارس جسمه من الأرض كان الإمام علىٌّ يهبط عليه كالصاعقة من فوق فرسه، ويضع قدميه على ذراعيه. ويقبض على سيفه، ليقطع رأسه مع رقبته..

ثم ماذا؟! مضت برهة. ولم يفعل الإمام شيئاً.

ثم رفع قدميه من على ذراعى المشرك. ووضع سيفه فى قرابه، واعتلى صهوة جواده. وتركه ملقى على الأرض.

وكان بلال- رضي الله عنه- ومعه جماعة من المقاتلين. يشاهدون ذلك، فتعجبوا من أمر علىٌّ؟؟

كيف لم يقتله- وقد أمكنه الله منه- وهو مستسلم بين يديه..؟

عندها صرخ بلال فى وجه الإمام علىٌّ قائلاً:

ويحك يا عليٌّ لمَ لم تقتله..؟

وكان رد الإمام المؤمن. القائد الورع الذى تربى فى مدرسة النبوة والذى يملأ الإيمان كل جارحة من جوارحه:

يا أخى يا بلال لقد بصق هذا المشرك فى وجهى، فخشيت أن أقتله، فيكون قتلى له غضباً لنفسى لا لله.

نعم إنهم أبناء وفرسان مدرسة النبوة.

كانوا يحملون سيوفهم، ومن وراء سيوفهم أخلاقهم فكأن سيوفهم نفسها ذات أخلاق.

لقد حررهم الإسلام من الحقد والضغينة.

وحررهم من أسر الخصومة والظلم. وصدق ربى فى قوله:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (١).

خالد فى حروب الردة

فى يوم ليس كمثله يوم نعى الناعى رسول الله- ﷺ- وردد الكون قول الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

وما كادت الجزيرة العربية تسمع خبر وفاة الرسول- ﷺ- حتى نكس البعض على عقبيه، وامتنعوا عن أداء الزكاة لخليفة رسول الله وكان لابد من محاربة هؤلاء المرتدين.

عندها جُيِّشت الجيوش لذلك. واختار الخليفة خالد بن الوليد- رضي الله عنه-

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩.
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٤٤.

لقيادة الجيش الأول لقتال بنى حنيفة.

بنو حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب- مدعى النبوة .

وانخرط فى هذا الجيش نخبة كبيرة من صحابة رسول الله - ﷺ - ومن فرسان مدرسة النبوة.

روى الإمام أحمد عن طريق وحشى بن حرب. أن أبا بكر الصديق لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة قال: «سمعت رسول الله - ﷺ - يقول:

«نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد. سيف من سيوف الله سلَّه الله على الكفار والمنافقين».

وقبل أن يتحرك الجيش قال له أبو بكر: «ليزدك ما أنعم الله به عليك خيراً، واتق الله فى أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

جد فى أمرك ولا تلن، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل فرداً من المسلمين إلا نكلت به».

مقتل مسيلمة الكذاب

حشد مسيلمة جيشاً جراراً وجعل على ميمنته المحكم بن الطفيل. وعلى الميسرة الرحال بن عنفوة.

وجاء خالد بن الوليد بجيشه. فلما تقابل الجيشان قال مسيلمة لقومه:

اليوم يوم الغيرة. اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات.

فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم..؟؟

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على أرض اليمامة.

فضرب به عسكره. وراية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة.

وراية الأنصار مع ثابت بن قيس.

واصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة. وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد.

عندها غضب الصحابة وقال ثابت بن قيس:

«بئس ما عودتم أقرانكم. ونادى من كل جانب. أخلصنا يا خالد.

فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار. وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: «يا أصحاب سورة البقرة».

بطل السحر اليوم.

وحفر ثابت بن قيس لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن.

فلم يزل ثابتاً حتى قُتل فى مكانه..

وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة: نخشى أن نُؤتَى من قبِلك..؟

فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا...

وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم، واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً.

ثم قال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله، أو ألقى الله فأكلمه بحقى.

فقُتل شهيداً- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عندها حمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار إلى مسيلمة، وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله.

ثم رجع ووقف بين الصفين ودعا إلى المبارزة وقال:

«أنا ابن الوليد العود. أنا ابن عامر وزيد. ونادى بشعار المسلمين

يا محمداه.

وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله، ولا يخرج له فارس إلا كان طعمة لسيفه ودارت رحى الحرب. ثم اقترب خالد من مسيلمة، فعرض عليه النَّصَف فقال خالد: إن قبلنا فأى الأنصاف تعطينا..؟

وصبر الصحابة فى هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم.

عندها ولى الكفار الأدبار، فأتبعوهم يضعون السيوف فى رقابهم حيث شاءوا حتى ظهر مسيلمة.

فتقدم إليه وحشى بن حرب- رضي الله عنه - فرماه بحربته فأصابه، وخرجت من الجانب الآخر.

وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط عدو الله.

قُتل رأس الكفر مسيلمة الكذاب.

قُتل مَنْ جمع الجموع وجيَّش الجيوش لحرب المسلمين.

وبقتله عادت الجزيرة العربية مرة أخرى إلى رحاب الإسلام وإلى دفع الزكاة، لتعود مرة أخرى إلى فقرائهم.

عادت الجزيرة العربية إلى الإسلام.

وارتفعت فوق مآذنها كلمة التوحيد.

عندها انطلق المسلمون إلى أرض فارس والروم ليخلصوا البشرية كلها من عبادة العباد إلى عبادة الواحد الأحد.

فأين خالد بن الوليد فى هذه التبعة الملقاة على أكتاف المسلمين..؟

خالد خارج الجزيرة العربية

ما كاد يفرغ البطل العملاق خالد بن الوليد من حروب الردة، وعادت الجزيرة العربية إلى رحاب الإسلام، إلى كلمة التوحيد.

حتى صدرت الأوامر من خليفة المسلمين أبى بكر الصديق إلى الجيوش الإسلامية بالتوجه إلى أرض فارس.

ذات الخضرة اليانعة.

والبساتين الفواحة بالعطر، المليئة بالثمر.

والتى تتخللها القنوات الكثيرة التى تقذف على أراضيها المنبسطة بالماء العذب من نهر دجلة. ولقد حدد الخليفة خط السير للجيش المحارب على أن يبدأ بمدينة «الأُبُلَّة».

ويأتى العراب من أعاليها .

فإذا وصل الجيش إلى تلك البلاد، دعا أهلها إلى واحدة من ثلاثة:

١ - الإيمان بالله وحده وترك ما عداه من الألوهية الزائفة.

٢ - دفع الجزية للجيش المحارب على أن تأخذ منهم فى كل عام.

٣ - الحرب والقتال.

وكان من وصايا الخليفة للقائد العام ألا يُكره أحداً على المسير معه ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام، وإن كان قد عاد إليه.

ثم ماذا ..؟

سار خالد بجيشه حتى نزل مدينة «قريات» وما كاد أهلها يسمعون بجيش المسلمين حتى سارع أهل الرأى فيها وصالحوه على دفع الجزية فى كل عام، لقد اعتزوا بديانتهم. وخافوا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم من القتل فاختاروا الجزية.

ثم سار خالد بجيشه حتى وصل «الحيرة» عروس أرض فارس- فى ذلك الوقت- فخرج إليه أشرافها مع رجل يسمى قبيصة بن إياس والى منطقة الحيرة. وكان قد أمّره عليها كسرى بن النعمان بن المنذر.

فقالوا: ماذا تريدون منا. ولم نعتدِ على أرضكم ولم يكن بيننا قتال..؟

قال خالد: جئنا ندعوكم إلى عبادة الله تعالى، والدخول فى دين الإسلام، فإن أجبتم فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم.

فإن أبيتم الإسلام كان عليكم جزية تدفع كل عام من خالص أموالكم.

وإلا فالحرب.

وقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة.. ثم جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم..؟

فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية.

فتعجب خالد من رفضهم الإسلام.

وقال: تبّاً لكم. إن الكفر فلاة مضلة، وأعمى العرب من يسلكها ثم صالحهم على مائة ألف درهم.

وكانت أول جزية أخذت من العراق ثم حملت إلى المدينة ومن سبقها من جزية «القريات».

موقعة «الأنبار»

ثم توجه جيش الفتح، جيش عمالقة الإسلام إلى (الأنبار)، فرأى المسلمون فيها قصوراً عالية، وأبراجاً مرتفعة.

وبساتين مثمرة، وأسواقاً مزدحمة.

وبيوتاً كثيرة لطلاب العلم والمعرفة.

إنها الدنيا الجديدة التى بهرت الجيش الإسلامى.

وكان فرسان (الأنبار) يقاتلون على ظهور الفيلة- وهى دبابة الفرس، وتتناول بخرطومها الفارس من على ظهر جواده فى لمح البصر وتدوسه بأقدامها.

عندها أمر خالد أن يضربوا رماة الأعداء فى أعينهم، وكان جيش المسلمين على درجة عالية من ذلك.

وما هى إلا سويعات قليلة حتى فر جيش الأعداء. وهربت الفيلة بعد أن أصيبت فى أعينها، إصابات بالغة.

ثم ماذا ..؟

تم الفتح والنصر. ومن هذا التاريخ أطلق على جيش المسلمين رماة الحِدَق لأنهم لم يخطئوا الهدف وسميت هذه الغزوة بذات العيون.

إن هذا الجيش لم تكن مهمته القتال فحسب، ولا هزيمة الأعداء وكفى ولكنهم كانوا هداة ودعاة.

هداة إلى الله ودعاة إلى دينه وشرعه.

وكانوا يعلِّمون مَنْ يدخلون فى الصلح الإسلام وتعاليمه، والدين وأوامره والقرآن وهديه.. امتثالاً لأمر الله تعالى بقوله:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة آية رقم: ٦.

خالد على أرض الشام

عزم خليفة المسلمين أبو بكر الصديق- رضي الله عنه - على جمع الجنود ليبعثهم إلى أرض الشام عملاً بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١).

وبقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(٢).

واقتداء بالرسول- صلى الله عليه وسلم - فإنه جمع المسلمين لغزو الشام.

وذلك فى غزوة تبوك حتى أنه وصلها فى حر شديد، وجهد جهيد.

ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد- رضي الله عنه- على جيش كبير فيه مجموعة من الصحابة ليغيروا على تخوم الشام.

وكان أول لواء عقده الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص- وخرج معه ماشياً يوصيه ومن معه من المسلمين وجعل له دمشق.

والثانى: عقده لأبى عبيدة بن الجراح، وخرج معه ماشياً يوصيه وجعل له نيابة حمص.

والثالث: عقده لعمرو بن العاص- وخرج معه ماشياً يوصيه، ويحدد له ما يجب فعله وجعل له فلسطين.

ثم أمر كل قائد أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر مقتدياً فى ذلك بنبى الله يعقوب- عليه السلام- عندما قال لبنيه:

﴿ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾(٣).

ولما توجهت هذه الجيوش إلى الشام أفزع ذلك الروم، فكتبوا إلى هرقل فلما انتهى إليه الخبر قال لهم:

(١) سورة التوبة آية رقم: ١٢٣.
(٢) سورة التوبة آية رقم: ٢٩.
(٣) سورة يوسف آية رقم: ٦٧.

«ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنه لا قبل لأحد بهم فأطيعونى.

وصالحوهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم.

وإن أنتم أبيتم ذلك، أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم..».

ولكنهم رفضوا ما قاله هرقل.. وطالبوه بالحرب..؟

عندها أمر الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد بالتوجه إلى الشام.

فأسرع خالد إلى الشام، بعد أن استتاب عنه على أرض فارس المثنى بن حارثة.

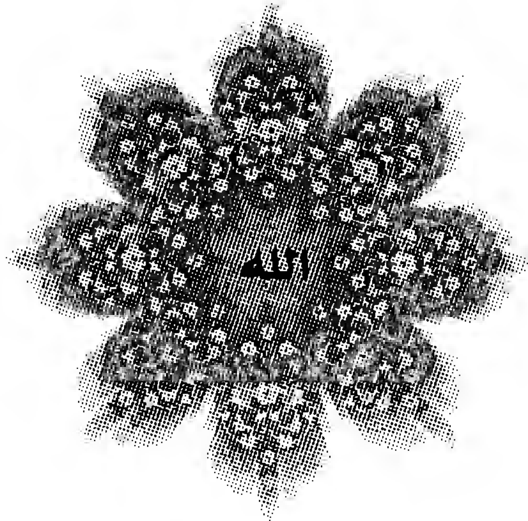
واصطحب معه تسعة آلاف مقاتل، وسلك بهم طريقاً وعرة، وسار يطوى الليل والنهار حتى وطأ أرض الشام، وطوق جيش الروم من الخلف..

ثم أمر بتجميع جيوش المسلمين. وقال لقادتهم تعالوا نتبادل الإمارة.

فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً وهذا بعد غد حتى يفتح الله لنا.

ودعونى اليوم للقيادة.

فأمّروه عليهم. وهم يظنون أن الحرب أمدها يطول.



علمنى الإسلام يا خالد..!!

وما كاد الجيشان يتلاقيان ويقتربان حتى خرج من جيش الروم القائد «جرجير» ونادى على خالد بن الوليد.

فجاء إليه خالد حتى تقابلت أعناق خيلهما.

فقال «جرجير»: يا خالد، أخبرنى وأصدقنى ولا تكذبنى فإن الحُر لا يكذب..؟ ولا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع..؟؟

هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء، فأعطاكه، فلا تسله على أحد من الأعداء إلا هزمته..؟

قال خالد: لا لم يحدث.

قال: ففيم سميت سيف الله..؟

قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا إلى الإسلام فنفرنا منه، ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده..

وكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله تعالى أخذ بقلوبنا، ونواصينا فهدانا به وبايعناه.

فقال لى: أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين، ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله بذلك.

فأنا من أشد الناس على المشركين.

فقال جرجير: يا خالد إلى ما تدعون..؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل.

قال: فمَنْ لم يجبكم..؟

قال: يدفع الجزية ونمنعهم..

قال: فإن لم يعطها..؟

قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله..

قال: فما منزلة مَن يجيبكم ويدخل فى هذا الأمر..؟

قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا.

قال جرجير: فلمَنْ دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والثواب..؟

قال: نعم وأفضل..

قال: كيف يساويكم وقد سبقتموه..؟

قال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر وبايعنا نبينا وهو حى تأتيه أخبار السماء ويرينا الآيات. وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع.. وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب. فمَنْ دخل فى هذا الدين بحقيقة ونية كان أفضل منا.

قال جرجير: بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى..؟

قال: تالله لقد صدقتك وأن الله ولى ما سألت عنه.

عند ذلك قلب جرجير الترس ومال مع خالد وقال:

«علمنى الإسلام يا خالد».

ثم ماذا..؟

التقى الجيشان فى حرب طاحنة. وتساقطت القتلى من الجانبين وانهزم جيش الروم وفروا هاربين، وتبعهم الجيش الإسلامى يأسرون ويقتلون.

وقدر عدد القتلى بمائة وعشرين ألف قتيل من الروم..

هرقل يستقبل فلول الجيش المنهزم

قال ابن إسحاق: وقف هرقل- وهو فى أنطاكية يشاهد فلول الجيش المنهزم. وهم يتساقطون من الهلع والخوف والتعب.

فقال لهم: ويلكم أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسو بشراً مثلكم..؟

قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم..؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً مضاعفة.

قال: فما بالكم تنهزمون؟

فقال شيخ من كبرائهم: لأن أصحاب الدين الجديد يقومون الليل لعبادة الله ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويتناصحون فيما بينهم.

وحق لمن يفعل ذلك أن يكون الله معه وناصره.

أما نحن أيها الملك: فإننا نشرب الخمر.

ونرتكب الفحشاء ونزنى.

ونفعل الحرام. وننقض العهد. ونغتصب، ونظلم ونأمر بالسخط.

وكل هذا مما نهى الله عنه فكيف ينصرنا، ونحن لم ننصره..؟

فالأرض كل الأرض وما فيها وما عليها ستكون لهؤلاء الرجال. رجال الله مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ﴾ (١).

(١) سورة الأنبياء الآية رقم: ١٠٥.

خالد بن الوليد وسفير الفرس

قال ابن المظفر[1] فى كتاب «النصائح» إن خالد بن الوليد- رضي الله عنه - لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم، ونزل بالنجف أرسل إليهم أن ابعثوا إلىَّ رجلاً من عقلائكم.

فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو[2] بن قيس، وكان من المعمرين، وعمَّر أكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة. وكان فى يد عبد المسيح قارورة يقلبها.

فقال له خالد: ما الذى فى هذه القارورة..؟

قال: سم ساعة.

قال: ماذا تصنع به..؟

قال: إن وجدت عندك ما أحبه لقومى وأهل بلدى حمدت الله وقبلته، وإن لم أجد ذلك شربته، وقتلت نفسى به، ولم أرجع إلى قومى بما يسوؤهم.

فقال خالد- رضي الله عنه: هاتها.

فناوله القارورة فأفرغها خالد فى راحته وقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم». ثم شربه.

ويقال: إنه شرب عليه ماء فضرب بذقنه على صدره، وغشيه عرق ثم سرى عنه.

---

(١) هو محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى: محدث العراق فى عصره، يقال: إنه من ولد سلمة بن الأكوع، أصله من سامرا ومولده ووفاته ببغداد صنف كتباً كثيرة أحدها فى فضائل بنى العباس توفى عام ٣٧٩هـ. راجع تاريخ بغداد ٣: ٢٦٢- ٢٦٤.

(٢) هو عبد المسيح بن عمرو بن قيس الغسانى، معمر من الدهاة من أهل الحيرة له شعر وأخبار يقال إنه بانى قصر الحيرة، عاش زمناً طويلاً فى الجاهلية وأدرك الإسلام، وظل على النصرانية، واجتمع به خالد بن الوليد، توفى عام ١٢هـ. راجع أمالى المرتضى ١: ١٨٨ والبيان والتبيين ٢: ٧٤.

فانصرف عبد المسيح إلى قومه وكانوا نصارى نسطورية إلا أنهم عرب فقال لهم:

«جئتكم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضياً، فهؤلاء قوم مصنوع لهم وسيكون لهم شأن عظيم».

فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة.

وفى هذا الكتاب أيضاً:

أن أَمة لأبى الدرداء- رضى الله تعالى عنه - قالت له:

«من أى جنس أنت..؟»

قال: أنا آدمى مثلك.

قالت: كيف تكون آدمياً وقد أطعمتك السم أربعين يوماً فما ضرك..؟

فقال لها: أما علمت أن الذاكرين الله تعالى لا يضرهم شىء. وإنى كنت أذكر الله باسمه الأعظم.

قالت: وما هو..؟

قال: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.

ثم قال: ما الذى حملك على ذلك..؟

قالت: بغضك.

قال: أنت حرة لوجه الله تعالى، وأنت فى حل مما صنعت.

عزل خالد عن القيادة

يحطم الجيش الإسلامى بقيادة خالد بن الوليد آخر قلاع الروم فوق أرض اليرموك.

وما كاد المسلمون ينفضون أيديهم من هزيمة القوة الضاربة للروم.

ويلقون بجنودها إلى قاع المحيط.

حتى تقام أيام النصر، ويتبارى الشعراء فى وصف البطولة، وتصوير المعارك، وتساقط القتلى وهلع الفلول المنهزمة.

ويدخل هذه الحلبة الأشعث بن قيس- رضي الله عنه - ويمدح خالد ويفرق فى المدح. ويقول فيحسن القول.

وما كاد يفرغ من قوله، حتى أعطاه القائد المنتصر مبلغاً كبيراً من المال.

ويصل خبر هذا العطاء إلى الحاكم العام- أمير المؤمنين- عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- عمر الساهر على أمر الرعية.

نقول يصل خبر العطاء السخى الذى قدمه خالد إلى الأشعث، عندها يرسل عمر إلى ابن الجراح- رضي الله عنه - أمين الأمة وشريك خالد فى قيادة الجيش قائلاً: أما بعد.

فقد بلغنى أن ابن الوليد قد قدم للشاعر الذى مدحه خمسمائة دينار.

وهذا مبلغ كبير يكفى لإشباع خمسمائة جائع. فإذا جاءك خطابى فاعزله عن القيادة. وأسأله عن هذا المال على رؤوس الأشهاد.. أهو من ماله الخاص..؟ فإن كان كذلك فقد أسرف، والإسراف صفة لا يصح أن يتصف بها قادة المسلمين. وبذر أمواله- والمبذرون إخوان الشياطين.

وان كان من أموال الجيش والدولة. فقد خان الأمانة.

والخيانة أيضاً ليست من صفات القيادة.

ويصدع أبو عبيدة بالأمر، ويتم عزل خالد ، ويقاسمه جميع ماله.

فهل انتهت قضية العزل عند هذا الحد..؟

لا. إنها لم تنته، لأن فرسان بنى أمية أولاد عمومة خالد وشبابها لم يرضهم هذا العزل.

وأخذوا يتساءلون: كيف يُعزل قائد فى أوج انتصاره..؟

لا. إن هذا لا يكون..

إنهم فرسان الحرب، ورهبان الليل، لا يعرفون طعم الهزيمة أو التراجع.

ويتقدم أحدهم إلى خالد بن الوليد قائلاً:

«إنها الفتنة يا خالد».

ويرد عليه القائد المنتصر المعزول. وماذا نفعل يا رفيق السلاح..؟

ماذا نفعل يا أخا العرب، وقد رغب ابن الخطاب فى ذلك وأمر بتنفيذه..

ويرد عليه آخر:

«سنملؤها خيلاً ورجلاً على ابن الخطاب فى المدينة».

وهنا يقول خالد الذى تربى فى مدرسة النبوة، فى مدرسة الفرسان، فى مدرسة الحب والإيمان:

لا يا إخوتى فى الله.. يا رفقاء المعارك. لقد حطمنا المدائن على أرض فارس، ودمرنا القلاع على بطاح الروم. فهل توجد قوة ضاربة تقف أمام المسلمين وتحتاج لسيف خالد..؟

ويرددون جميعاً لا. لا توجد قوة ضاربة تقف أمام جيش المسلمين.

عندها يقول خالد:

إذن الدولة الآن فى حاجة إلى عقل عمر أكثر من حاجتها لسيف خالد. لن تكون فتنة وابن الخطاب موجود.

ثم ماذا..؟

انخرط جنديّاً عادياً فى جيش الفتح، جيش: لا إله إلا الله.

ونقول: على ذلك كان إسلام أبى بكر وعمر وعثمان وعلىٍّ.

وعلى ذلك كانت عروبة خالد وسعد بن أبى وقاص وأبى عبيدة بن الجراح.

وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة، وقيادة المعركة، حتى بلغوا من القوة أن فعل كتاب الرشيد ما يفعل الجيش.

وبلغوا من المروءة أن سيّر المعتصم الخليفة العباسى جيشاً لإنقاذ امرأة.

فلما شتت الوحدة، وتفرقت الجماعة وصارت سيوف المسلمين خشباً يحملها خطباؤهم على المنابر، ومصاحفهم تمائم يعلقها مرضاهم على الصدور.

أصبحت دولهم تبعاً لكل غالب، وتراثهم نهباً لكل غاصب، وبلغوا من التخاذل والفشل ما بلغوا.

أن الأندلسيين يجليهم النصارى عن أقطارهم بالأمس، فلم يجدوا الرشيد؟

وأن الفلسطينيين يشردهم اليهود عن ديارهم اليوم فلا يجدون المعتصم؟

إن مسلمى هذا الزمن صاروا من جهلهم بالدين وعجزهم فى الدنيا على أخلاق العبيد يطأطئ أشرافهم فلا يحمى لهم أنف.

وتنقص أطرافهم فلا يندى لهم جبين.

وتنزل بهم الشدة، فيتخاذلون تخاذل القطيع عاث فيه الذئب.

ويغير عليهم العدو، فيتواكلون تواكل الإخوة دب فيهم الحسد.

وتجمعهم الخطوب، فيفرقهم الطمع والهوى.

ويلجأون إلى هيئة الأمم المتحدة، فيخذلهم العدو والصديق.

كأن الإسلام الذى كان عامل قوة وائتلاف قد انقلب - فى عصرنا هذا - إلى علة واختلاف.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.



تــذيـــيــل

الإسلام ومولد الإنسان الجديد

الإسلام ومولد الإنسان الجديد..

لقد كان نزول خاتم الكتب السماوية من الله تعالى إيذاناً بمولد الإنسان الجديد، الإنسان الذى يستمد قيمه وسلوكه من السماء لا من الأرض.

ويستمد شريعته التى تنظم سلوكه من الوحى لا من الهوى.

قال الله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(١).

واستقرت قواعد هذا المنهج. المنهج الإلهى، وتبينت خطوطه ومعالمه فلا غموض ولا إبهام، ولا طلاسم ولا ألغاز، وإنما هو وحى يوحَى، وذكر لمن يريد أن يتذكر، وهداية لمن يريد أن يتبصر.

قال تعالى:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾(٢).

فالذى يضل يضل عن علم.

والذى ينحرف ينحرف عن عمد.

والذى يلتوى فى سلوكه يلتوى عن قصد.

وقواعد هذا المنهج الذى تنظم سلوك الإنسان خليفة الله فى الأرض تضرب صفحاً على ما تعارف عليه البشر من قيم.

قيم الجاه والمنصب.

قيم الأصل والنسب.

قيم القوة والمال.

إنها قيم أرضية فهى عرضة للتبدل والزوال.

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣.
(٢) سورة الأنفال آية رقم ٤٢.

قيم غير ثابتة فهى عرضة للتغيير والفناء وذلك لقول الله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(١).

ليقيم مكان ذلك كله قيماً ثابتة لا تزول باقية لا تتحرف، قوية فلا تضعف، مؤمنة فلا تضل.

إنها قيم الارتباط بالله.

قيم الإيمان والتقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢).

ولقد كانت مهمة الرسول- ﷺ - أن يجعل مجتمعه وأمته تنفر من القيم الزائفة، إلى قيم أخرى تتنزل لهم من السماء لتصبح فى النهاية بديهية من بديهيات الضمير المسلم، وشريعة من شرائع المجتمع. تنضبط عليها سلوكه. وترقق بها مشاعره، فتوجد الأمن والطمأنينة فى المجتمع. فلا انحراف ولا تدليس.

إن كل هذه الأشياء التى تتكالب عليها البشرية إن هى إلا زينة.

قال الله تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٣).

ولكن ما يدعو إليه الشرع الجديد- هو الخير الباقى الذى لا يزول.

قال الله تعالى:

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾(٤).

إنها قيمة وشتان فى عرف النفوس المؤمنة بين ما يكون زينة وبين ما يكون قيمة. من ذلك.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٤.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٣.

(٣) سورة الكهف آية رقم ٤٦.

(٤) سورة الكهف آية رقم ٤٦.

إن الرسول - ﷺ - يعبس فى وجه الرجل الأعمى الفقير ابن أم مكتوم فى لحظة ضعف إنسانى رغبة فى إيمان أصحاب الجاه والسلطة أصحاب المال والقوة. أصحاب الزينة.

فيعاتبه ربه بقوله:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾(١).

ولم تكن القضية قضية الرسول - ﷺ - وحده، ولا قضية ابن أم مكتوم بمفرده، ولكنها أشمل من ذلك وأعمق، إنها قضية المجتمع الجديد كله.

قضية البشرية بأسرها.

قضية القواعد الثابتة، والقيم الباقية التى تبنى عليها دعائم المجتمع الإسلامى الجديد وسلوكياته حتى قيام الساعة.

ومن هنا كان الرسول- ﷺ - كلما التقى بابن أم مكتوم يرعاه ويقربه ويقول له:

«أهلا بمن عاتبنى فيه ربى».

ثم ماذا..؟ يستخلفه مرتين على المدينة كلما خرج لقتال أعداء الله وأعداء دينه. ولكى تتحطم هذه القيم الزائفة التى كانت تنظم سلوك الأفراد فى المجتمعات الأولى. يزوج الرسول- ﷺ - ابنة خالته زينب بنت جحش الأسدية لمولاه زيد بن حارثة.

ابنة الحسب والنسب، والأسرة العريقة فى المجد يتزوجها هذا الخادم حدث هذا لأنهم جميعاً أبناء الإسلام- وهم سواسية كأسنان المشط. ويتفاضلون بشىء هو التقوى.

يجلس عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - يقسم أموال بيت المال على المسلمين

(١) سورة عبس الآيات ١- ٦.

وجاء دور عبد الله بن عمر فأعطاه عمر نصيبه.

ثم جاء دور أسامة بن زيد فأعطاه عمر ضعف ما أعطى ولده عبد الله.

إن عمر يعطى الناس وفق فضلهم وبلائهم فى الإسلام.

يعطى الناس بمقدار تقواهم وإخلاصهم لله.

وخشى عبد الله بن عمر أن يكون مكانه فى الإسلام آخراً وهو الذى يرجو بطاعته وبجهاده وزهده وورعه أن يكون عند الله من السابقين.

هناك سأل أباه: لقد فضلت علىّ أسامة. وقد شهدت مع رسول الله- ﷺ - ما لم يشهد فأجابه عمر: يا بنى أسامة كان أحب إلى رسول الله- ﷺ - منك، وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك..

ولن يكون حب الرسول- ﷺ - للهوى أو الغرض.

لن يكون حب الرسول - ﷺ - للنسب والمصاهرة.

لن يكون حب الرسول- ﷺ - للجاه أو المنصب.

وإنما الحب بمقدار الإيمان والتقوى- يكون الحب بمقدار إخلاص العبد وقربه من ربه. لهذا يقول الرسول- ﷺ:

«أقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون..»(١).

عجباً لهذا الدين الجديد، لقد قام بثورة فى داخل النفس البشرية غير من طبيعتها، وبدّل الكثير من صفاتها، وأخرجها من جل عاداتها وسلوكياتها.

حاكم للمسلمين لا رقيب عليه إلا ضميره، ولا حاكم فوقه إلا ربه، نراه يفضل أبعد الناس إليه فى النسب والمصاهرة- على ابنه وفلذة كبده، وأقرب الناس إليه..

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فى المسند ٤: ١٩٣ - ١٩٤ بسنده عن أبى ثعلبة الخشنى أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

ويتساءل المرء من الذى غير هذه الطبيعة..؟

من الذى طور هذا الجهاز الآدمى. فلا يحب إلا بقانون التقوى، ولا يكره إلا بقانونها.

إنه الدين الجديد، إنه إسلام الوجه لله، إنه الميلاد الخالد لاتصال السماء بالأرض.

يذهب أبو سفيان زعيم قريش وعقلها المدبر- فى ذلك الوقت- إلى مدينة الرسول- ﷺ - ويدخل على ابنته أم حبيبة زوج الرسول- ﷺ - وهمَّ أن يجلس على فراش الرسول - ﷺ - ولكن ابنته طوت الفراش عنه.

فقال أبو سفيان: يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى..؟

قالت الفتاة- التى يملأ الإيمان كل ذرة من ذراتها وكل خلجة من خلجاتها- هو فراش رسول الله وهو طاهر وأنت نجس- فمحال أن تجلس عليه: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾(١).

كيف حدث هذا..؟ إن الحكمة العربية تقول: «كل فتاة بأبيها معجبة» فما بال هذه الفتاة؛ ما الذى غير طبيعتها؟ ما الذى وجه سلوكها؟

إنه الإيمان الذى ملأ قلبها، والتزمت به كل جوارحها، عندها لفظت كل الزيف، واحتقرت كل الشرك حتى ولو كان ذلك هو صفة أبيها وأقرب الناس إليها.

لأن القرابة لم تعد آصرة أسرة، أو صلة نسب، أو وشيجة دم، ولكن الأسرة الجديدة فى عرف الإسلام هى الأخوة والحب.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢).

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٨.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٠.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

هى صلة الحب فى الله: والبغض فى الله- أيضاً-.

وقف الأنصار يوم الخندق يقولون سلمان الفارسى منا.

ووقف المهاجرون يقولون بل سلمان منا هاجر كما هاجرنا، وقاسى كما قاسينا.

ويقف الرسول- ﷺ - فَيْصَلاً بين هذا التجاذب الأخوى؛ والترابط الأسرى؛ ليقول سلمان منا آل البيت؛ من الذى رشحه لتلك المهمة؟

من الذى جعله يتطاول إلى تلك القمم الشوامخ؟

ما هى المواهب التى شفعت له ليكون من آل البيت؟

لا شىء سوى الإيمان والتقوى ولقد تولى هذا الرجل الذى أضافه الرسول- ﷺ - إلى بيته وأسرته لأنه لم تكن له أسرة ولا بيت- إمارة إحدى المدائن فكان وهو يصرف شئون الرعية يأكل من عمل يده. يأكل من صنعة الخوص ولباسه عباءة، تنافس الثوب القديم فى تواضعها، وذات يوم وهو سائر فى الطريق لقيه رجل قادم من الشام ومعه تين وتمر لا يقدر على حمله. فلم يكد يبصر أمامه رجلاً من عامة الناس وفقرائهم حتى بدا له أن يضع الحمل على كاهله. فإذا أبلغه وجهته أعطاه شيئاً نظير حمله. أشار للرجل فأقبل عليه وقال له الشامى: احمل عنى هذا فحمله ومضيا معًا.

وإذ هما فى الطريق بلغ جماعة من الناس فألقى عليهم بتحية الإسلام.

فأجابوه واقفين ومرددين وعلى الأمير السلام.

وبهت صاحب الحمل وعلى الأمير السلام. أى أمير يعنون؟

هكذا سأل الشامى نفسه.

ولقد زادت دهشته حينما رأى بعض هؤلاء الرجال يسرع صوب سلمان ليحمل عنه قائلين: عنك أيها الأمير.

فعلم الشامى إنه أمير البلدة فسقط فى يده وهربت كلمات الاعتذار

والأسف واقترب ينتزع الحمل منه، ولكن سلمان هزَّ رأسه رافضاً وهو يقول: لا حتى أبلغك منزلك.

أنجد فرقاً بين عمل سلمان هذا وبين عمل رجل كعمر بن الخطاب وهو يحمل الدقيق والسويق إلى امرأة نفساء.

أنجد فرقاً بين هذا العمل الذى قام به سلمان الفارسى وبين ما قام به أبو بكر الصديق عندما أصر بعد توليته الخلافة على أن يحلب الشياه والنوق لقوم كان يحلب لهم قبل توليته أعباء المنصب.

إنهم أصحاب مدرسة واحدة.

إنهم رجال الدعوة الجديدة.

إنهم أتباع محمد الذى صنعهم على عينه.

إنهم أصحاب المنهج الجديد. منهج اتصال السماء بالأرض.

يدخل سعد بن أبى وقاص على صاحبنا سلمان الفارسى هذا وهو فى النزع الأخير فيقول له: يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد نأخذه عنك. فقال يا سعد:

اذكر الله عند همك إذا هممت.

وعند حكمك إذا حكمت.

وعند يدك إذا قسمت.

لقد كان الرسول- ﷺ - أعرف الناس برجاله. وأعرف الناس بأصحابه ومن هنا كانت كلمته المشهورة: سلمان منا آل البيت.

ومن هؤلاء الرجال بلال.

فمن بلال هذا ..؟

وفى أى بلاد الله نشأ وإلى أيها رحل..؟

إنه حبشى من أمة السود جعلته مقاديره عبداً لأناس من بنى جُمَح بمكة حيث كانت أمه إحدى إمائهم وجواريهم.

إن سواد بشرته وتواضع حسبه ونسبه وهوانه على الناس كعبد رقيق لم يحرمه حين آثر الإسلام ديناً من أن يتبوأ المكان الرفيع الذى يؤهله له صدقه ويقينه وطهره وتفانيه.

إن سواد بشرته وتواضع حسبه ونسبه لم يحل بينه وبين أن يمتشق حسامه ويطارد رأس الكفر أمية بن خلف سيده فى الجاهلية وعدو الله فى الأرض.

ويقول بصوته المدوى لأصحابه: هذا هو أمية بن خلف لا نجوتُ إن نجا ومازال يضربه بسيفه حتى تحول إلى جثة هامدة وألقى عليه نظرة طويلة ثم هرول مسرعاً وصوته الندى يصيح: أَحد: أحد.

ذهب يوماً يخطب لأخيه زوجة فقال لأبيها:

«أنا بلال وهذا أخى عبدان من الحبشة كنا ضالين فهدانا الله وكنا عبدين فأعتقنا الله غير أن أخى امرؤ سوء.

إن تزوجوه فالحمد لله وإن تمنعوه فالله أكبر..

هكذا لا يدلس عليهم ولا يخفى من أمر أخيه شيئاً ولا يذكر أنه وسيط ولا ينسى إنه مسئول أمام الله فيما يقول:

«وقد زوجه القوم مطمئنين إلى هذا الصدق وحسبهم أن يكون بلال وسيطاً بين ابنتهم ومن خطبها إليه.

ومنهم عمار بن ياسر.

الذى يقول عنه حذيفة بن اليمان الخبير بلغة السرائر وهو يعالج سكرات الموت عندما سأله أصحابه الحافون من حوله: بما تأمرنا إذا اختلف الناس..؟

فأجابهم حذيفة:

عليكم بابن سمية: فإنه لن يفارق الحق حتى يموت..

عمار هذا يقول فيه الرسول ﷺ : إن عماراً ملئ إيماناً إلى مشاشه.

وحين وقع سوء تفاهم عابر بين خالد بن الوليد وبين عمار قال الرسول- ﷺ : «من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله».

عمار بن ياسر الذى يقول عنه رسول الله: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية» وتكرر التنبأ مرة أخرى حين يسقط جدار كان يعمل تحته فيظن بعض إخوانه أنه قد مات فيذهب ينعاه إلى الرسول ويفزع الأصحاب من وقع النبأ لكن الرسول- ﷺ - يقول فى طمأنينة وثقة:

«ما مات عمار تقتل عمار الفئة الباغية».

عمار الذى نزل فيه قول الله تعالى: ﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾(١) .

لقد شهد مع الرسول- ﷺ - بدراً وأحداً والخندق وتبوك وبقيتها جميعاً.

ومن هنا كان الرسول- ﷺ - يزكى إيمانه ويرفعه بين أصحابه ويقول: «اقتدوا باللذيّن من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وحين كان أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» يختار ولاة المسلمين فى دقة وتحفظ كانت عيناه تقعان دوماً فى ثقة أكيدة على عمار بن ياسر.

وهكذا سارع إليه وولاه الكوفة وجعل ابن مسعود معه على بيت مالها.

وكتب إلى أهلها كتاباً يبشرهم فيه بواليهم الجديد فقال: إنى بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً وإنهما لمن النجباء من أصحاب محممد ومن أهل بدر.

ولقد زادته الولاية تواضعاً وورعا وزهداً.

---

(١) سورة النحل آية رقم: ١٠٦.

يقول له واحد من العامة وهو أمير الكوفة: يا أجدع الأذن يعيره بأذنه التى قطعت بسيوف المرتدين فى حرب اليمامة فلا يزيد الأمير الذى بيده السلطة على أن يقول لشاتمه: «خير أذنى سببت لقد أصيبت فى سبيل الله».

يقول عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما:

«رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون..؟

أنا عمار بن ياسر هلموا إلىَّ فنظرت إليه فإذا أذنه مقطوعة تتأرجح وهو يقاتل أشد القتال.

يقاتل أشد القتال. لأنه كان يقاتل وهو ضامن إحدى الحسنيين.

إما الاستشهاد فى سبيل الله ليكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وإما النصر والفوز وفتح الطريق أمام دين الله وشرعه حتى يصل إلى الناس كافة. ويدخلون فى دين الله أفواجاً.

ووثق كل فرد من هؤلاء الذين تربوا على مائدة الإسلام إن كان فى مقدوره أن يستتر من الناس، ولكنه لا يستطيع أن يستتر من الله، وإن كان فى مقدوره أن يغلق على نفسه باباً لا يراه منه أحد ولكن الله يراه، فإن أقام سياجاً بينه وبين الناس فما هو بمستطيع أن يقيم سياجاً بينه وبين الله قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (١) وقال أيضاً:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (٢).

ومن هنا وجد السلوك الإنسانى الذى بهر العالم بأسره، ودفعهم هذا السلوك إلى الخروج من الجزيرة العربية وانداحوا فى أربعة أركان الأرض هداة ودعاة.

(١) سورة طه آية رقم: ٧.
سورة المجادلة آية رقم: ٧.

هداة إلى الحق، ودعاة إلى الله الواحد الأحد.

وما هى إلا فترة قصيرة من عمر الزمن، حتى مدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للإنسان. ونحن فى هذا الكتاب نقدم المنهج والدليل اللذين صنعا هذا السلوك الفريد عند المسلم الأول. **فهل** نستطيع فى أوائل القرن الحادى والعشرين، وبين أيدينا المنهج والدليل، **المنهج** الذى وضع قواعده خالق الإنسان وموجده، والدليل الذى أرشدنا إليه رسول البشرية ومنفذه. أن نعود بالمسلم المعاصر إلى سلوكيات الجيل الأول..؟

وهل فى مقدورنا أن ننقذ البشرية من التردى والإسفاف الذى تأنف منه سلوكيات الإنسان المؤمن الذى يرى أن الناس كلهم خلق لله تعالى فهم إخوة فى الخليقة..؟

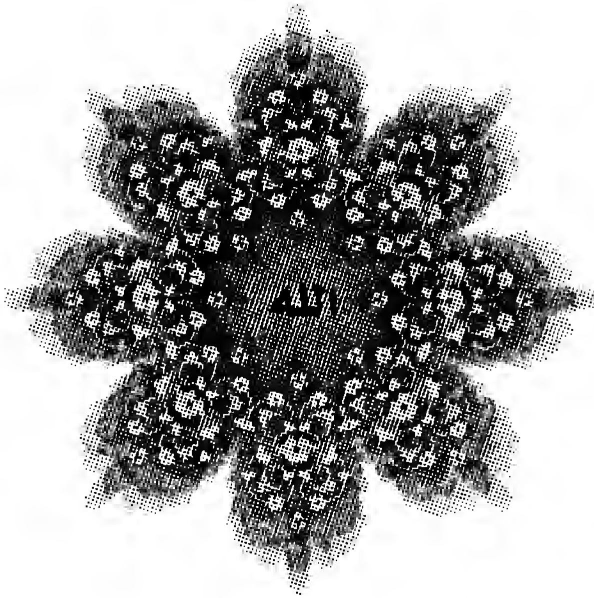
وما داموا كذلك **فلن يفرقهم** الجنس أو اللون ولن يتفاضلوا بالعصبية أو القبلية.

نعم سلوكيات الإنسان المؤمن الذى **يعتقد** أن الناس كلهم خُلقوا من نفس واحدة فهم إخوة فى الإنسانية. والناس كلهم ينبغى أن يعبدوا الله ويلتقوا فى حماه فهم إخوة فى العقيدة. قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(١).

إن هذا الخطاب هو خطوة على الطريق. طريق التقوى والإيمان. وعودة جادة إلى الأمة الوسطية- التى هى خير أمة أخرجت للناس أن **تقوم بدورها** الذى أناطه الله بها.

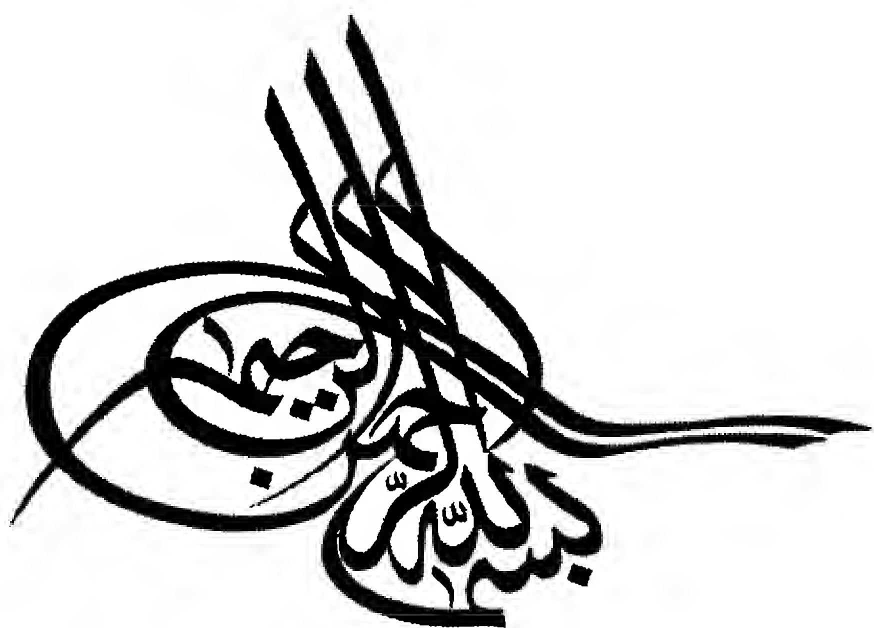
دورها فى إقامة المجتمع المسلم- والدولة المسلمة، والأمة المسلمة **تحت مظلة** القرآن وهديه.

(١) سورة البقرة آية رقم: ١١٥.



المقداد بن عمرو بن ثعلبة

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

(الأنعام: ٥٢)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال سعد نزلت هذه الآية فينا ستة: فى وفى ابن مسعود وصهيب وعمار وبلال والمقداد.

والحديث أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة ٤٥، ٤٦، ٢٤١٣.

وابن ماجه فى الزهد ٤١٢٨.

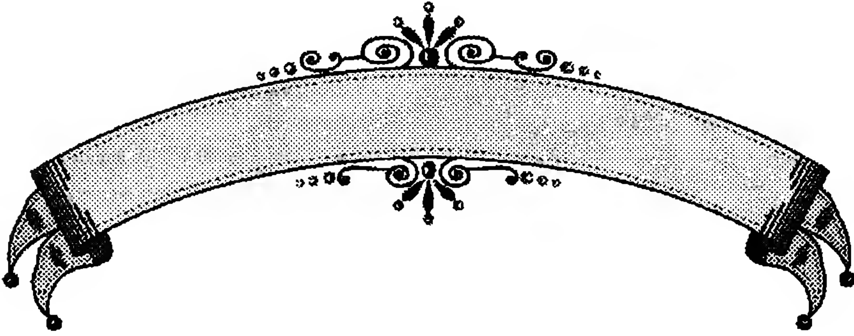
وأخرجه ابن جرير ٧: ١٢٨.

والسيوطى فى الدر المنثور ٣: ١٣.

والبيهقى فى دلائل النبوة.

وذكره صاحب كتاب أسباب نزول القرآن ص ٢١٩.

فمن هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ..؟



قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه

أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس.

وذلك أنه أتى النبى ﷺ وهو يذكر المشركين فقال:

يا رسول الله:

إنا والله لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى:

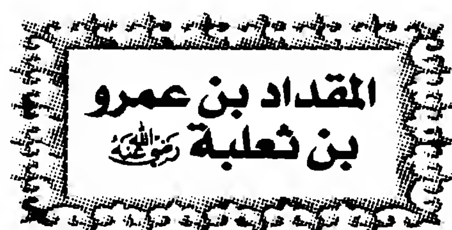
﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة آية: ٢٤).

ولكننا نقاتل من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك.

قال: فرأيت رسول الله ﷺ يشرق وجهه لذلك وسره وأعجبه..

الاستيعاب لابن عبدالبر ٤: ١٤٨٢


المقداد بن عمرو بن ثعلبة



فارس عملاق من فرسان مدرسة النبوة.

ومقاتل كان دائماً يخترق صفوف الأعداء فيفرون هاربين.

وكان أسود الوجه أبيض القلب صافى السريرة.

وكان عالى الصوت يرج الأرض تحت أقدام الأعداء رجا.

جاء إلى مكة- وهو يخطو الخطوات الأولى فى سلم الفتوة والشباب.

فتعلم فنون الحرب والقتال.

وله دراية وخبرة عالية (باستراتيجية) المعارك.

وأصبح محارباً لا يعرف طعم الهزيمة.

وفارساً يفرُّ من هيبته الأبطال.

وعندما أعلن الرسول ﷺ الدعوة إلى التوحيد.

بادر المقداد فأعلن إسلامه.

ومن هذا التاريخ أصبح المقداد إنساناً جديداً.

إنساناً جديداً فى معاملة الآخرين.

إنساناً جديداً يعبد الله كأنه يراه.

إنساناً جديداً فى تفكيره وسرعة بديهته.

إنساناً جديداً فى حِله وترحاله والتزامه بأوامر الإسلام.

نشأته وحياته..

اعتاد المقداد أن يغدو إلى عمله مبكراً...

التزاماً بقوله ﷺ:

«البركة فى البكور».

فإذا جاء المساء فهو مع الرسول ﷺ.

يتفقه فى دينه، ويتعرف على شريعة ربه.

فإذا جن الليل فهو مع ربه راكعاً ساجداً حتى يلحق بزمرة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(١).

ويصمت التاريخ فلا يتحدث عن المقداد فى بداية الدعوة فى مكة.

ولا يضعه فى قائمة المستضعفين من المؤمنين.

الذين كانت قريش تخترع الأساليب فى تعذيبهم والتنكيل بهم..؟؟

ونتساءل: كيف نجا المقداد من تعذيب أعداء الدعوة..؟

أكان يخفى إسلامه..؟

ومن هنا نجا جسده من سياط مردة الشياطين..؟

أم أنه كان قوياً يصرع الرجال ويجندل الفرسان..؟

ولذلك هابته قريش ولم تفكر فى إيذائه أو الاقتراب منه..؟

إننا نميل إلى الرأى الأول.

وهو أنه كان لا يظهر إسلامه.

والدليل على ذلك: أنه عندما أراد الهجرة خرج مع قافلة للمشركين.

وانضم إلى صفوف المسلمين عندما نشبت المعركة بينهم.

---

(١) سورة السجدة آية رقم ١٦.

وذلك فى السرية التى بعث فيها الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث إلى ثنية المرة.

فلقوا جمعاً من قريش عليهم عكرمة بن أبى جهل..؟؟

ولم يكن بينهم كبير قتال.

المقداد فى مدينة الرسول ﷺ

.. وصل المقداد إلى المدينة والتقى برسول الله ﷺ.

فآخى بينه وبين جبَّار بن صخر.

جبَّار أحد السبعين فى بيعة العقبة الثانية.

ويقول عن نفسه: صليت مع النبى ﷺ.

فقمت عن يساره فأخذنى وجعلنى عن يمينه..

يقول المقداد:

لما نزلنا المدينة عشَّرنا رسول الله ﷺ يعنى فى كل بيت عشرة.

فكنت فى العشرة الذين كان النبى ﷺ فيهم.

ولهذا قال الرسول ﷺ:

«إن الله عز وجل أمرنى بحب أربعة من أصحابى..

وأخبرنى أنه يحبهم:

فقيل يا رسول الله، من هم..؟

قال: على بن أبى طالب رضي الله عنه.

والمقداد بن عمرو رضي الله عنه.

وسلمان الفارسى رضي الله عنه.

وأبو ذر الغفارى رضي الله عنه.

زواج المقداد بن عمرو..

كان المقداد رجلاً طويلاً، أسمر اللون- أبيض القلب.

كثير شعر الرأس واسع العينين.

مقرون الحاجبين، طيب القلب، صافى السريرة.

تقدم لخطبة إحدى النساء من رجل من قريش، فأبى أن يزوجه..

وسمع الرسول ﷺ بهؤلاء القوم الذين رفضوا أن يزوجوه.

فقال لهم:

لكنى أزوجه ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب.

وبرَّ الرسول ﷺ بما وعد.

وتزوج المقداد من ضباعة.

وضباعة هذه عمتها عاتكة بنت عبد المطلب صاحبة الرؤيا المشهورة والتى قالت فيها لأخيها العباس بن عبد المطلب قبل غزوة بدر..

رؤيا عاتكة وغزوة بدر..

يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى..؟؟

وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم ما أحدثك به..

قال: وما رأيت..؟

قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح.

ثم صرخ بأعلى صوته «ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم فى ثلاث..».

فأرى الناس اجتمعوا حوله..؟؟

ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هو حوله مال به بعيره على ظهر

الكعبة ثم صرخ بمثلها:

«ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث.

ثم مال به بعيره على رأس أبى قبيس. فصرخ بمثلها.

ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل تفتتت.

فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة..؟؟

قال العباس: والله إن هذه لرؤيا وأنت فاكتميها.

ثم خرج من عندها فلقى الوليد بن عتبة، وكان صديقاً للعباس.

فذكر له الرؤيا فذكرها الوليد لأبيه عتبة.

فشاعت فى مكة وتناقلتها الأفواه.

قال العباس: وفى اليوم التالى غدوت لأطوف حول الكعبة.

فإذا أبو جهل مع جماعة من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة.

فلما رآنى أبو جهل قال:

«يا أبا الفضل: متى حدثت فيكم هذه النبية..؟

قلت: وما ذاك...؟

قال: تلك الرؤيا التى رأت عاتكة..؟

قلت: وما رأت..؟

قال: يا بنى عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم..؟؟

ثم تابع حديثه قائلاً:

لقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال:

«انفروا فى ثلاث.

فسنتريص بكم هذه الثلاث.

فإن يك حقاً ما تقول فسيكون.

وإن تمض الثلاث، ولم يكن من ذلك شيء.

نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب بيت فى العرب..؟؟

ثم ماذا: صدقت رؤيا عاتكة..؟؟

ولم يمض ثلاث حتى كان ضمضم بن عمرو الغفارى يصرخ ببطن الوادى وهو يقول:

يا معشر قريش:

اللطيمة اللطيمة.

أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه..؟؟

لا أرى أن تدركوها الغوث.. الغوث..؟؟

وخرجت قريش برجالها وعتادها.

خرجت بشبابها ونسائها.

خرجت وهى تعد للشر عدته.

وتريد أن تنال من محمد وأصحابه.

وعلم الرسول ﷺ فنادى فى أصحابه وأنصاره وأخبرهم عن قريش.

فقال أبو بكر فقال وأحسن.

ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن.

ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

«يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك.

والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(١).

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

هذه الكلمات الصادقة المخلصة الصادرة من قلب مؤمن.

تدل على صاحبها وتكشف عن المعدن الأصيل.

والنفس المؤمنة التى يضمها إهاب الصحابى الجليل المقداد بن عمرو.

فلما سمع الرسول ﷺ كلام المقداد أشرق وجهه، ودعا له إلى خير.

ثم قال لأصحابه سيروا على بركة الله.

وصدقت رؤيا عاتكة.. وتساقط القتلى من كل بيوتات قريش.

كما قالت الرؤيا إن الصخرة تفتتت ولم تترك بيتاً إلا أصابته..؟؟

(١) سورة المائدة آية: ٢٤.

المقداد بن عمرو يأسر النضر بن الحارث

لقد كان المقداد أحد الرماة الشجعان فى تلك الغزوة.

وتمكن من أسر فارسها النضر بن الحارث.

الذى كان من أشد قريش فى تكذيب النبى ﷺ والأذى لأصحابه..

وقدمه المقداد للرسول ﷺ.

فأمر ﷺ على بن أبى طالب فقتله.

فقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر:

أمحمد يا خير نسل كريمة
فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
مَنَّ الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية لفديته
بأعز ما يغلو به ما ينفق
والنضر أقرب من أسرت قرابة
وأحقهم إن كان عتق يعتق

قال ابن هشام إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال:

«لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه».

واستمر المقداد فى قربة من الرسول ﷺ.

ويشارك جماعة المسلمين حلو الحياة ومرها.

ونقول: إن المقداد القائد وجماعة المسلمين الأول الذين التفوا حول نبيهم وأجابوا داعى الله.

هم الصفوة المختارة التى اختارها الله لدينه.

فكانوا المقدمة فى الأمة الوسط.

الأمة الوسط: التى قال الله تعالى فيها:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١).

الأمة الوسط: التى ستكون شاهدة على الناس..

ويكون الرسول شاهداً عليها.

وحاكماً على أعمالها.

الأمة الوسط التى تلقت كتاب الله فعملت به.

الأمة الوسط: التى طهرت الأرض من الشرك والكفر والبهتان.

وأقامت بنود التوحيد عالية خفاقة فى ربوع الكون.

وكان هذا إيذاناً بالطوفان الذى اقتلع الكفر والضلال.

المقداد بن عمرو فى فتح مصر..

اشترك المقداد بن عمرو مع الوفد الذى أرسله عمرو بن العاص إلى المقوقس كطلبه..

ووعى المقداد أن عبادة رسول حرب من الطراز المتفرد.

لقد أرعب المقوقس بسلامة بنيانه وقوة إيمانه.

ثم عرف يضرب فى المحز كما يقولون: فهو يقول للمقوقس.

إن كان شكلى قد أرعبك فهناك أصحابى كلهم على شاكلتى.

وإن كان قد أصابنى الكبر فهناك على الضفة الأخرى فرسان المعارك.

وهؤلاء جميعاً قد فرغوا من الدنيا وفرغت منهم الدنيا وكلهم يتمنى أن ينال الشهادة.

(١) آل عمران آية رقم ١١٠.

ويتساءل المرء؟

من كان يتصور أن هؤلاء الرجال الذين خرجتهم البادية.

وقست عليهم ظروف الطبيعة وعاشوا حياتهم الجاهلية بعيدين عن خدع الحرب ومعرفة خبايا النفوس.

تكون لهم المقدرة الفائقة من الحرب النفسية التى شنها عبادة على عظيم مصر.

فقضى على كل مقاومة عنده وملأ نفسيته بالرعب والفزع.

وإذا ما وصل قائد إلى هذه الحالة من الاضطراب والهول.

فقد خسر المعركة وسلمت بلاده.

وهكذا هزم القائد فهزمت مصر- وسقطت قلاعها أمام القوة الضاربة المسلمة.

واستراح المقداد بعد فتح مصر.

واطمأن قلبه- وهو يشاهد جيوش المسلمين تخرج من مصر المسلمة لتنشر كلمة التوحيد على هؤلاء الذين يعيشون فى أحراش أفريقيا على البدائية والفطرة.

ثم تنتقل الكتائب الإسلامية عبر البحر المحيط إلى الأندلس.

فينشر الإسلام، وتملأ القلوب بالإيمان.

عندها أغمض المقداد عينيه- إلى الأبد.

وفارقت روحه جسده إلى بارئها فى منطقة الجرف بأرض مصر.

ثم حمل إلى المدينة- فصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان- رضي الله عنهم أجمعين، وأسكنهم فسيح جناته.

ثم ماذا ..؟

افتقدت مدرسة النبوة فارساً آخر من فرسانها ..؟؟

ولا يزال مكانه شاغراً.



تذييل

أدب الحوار فى منهج الإسلام

أدب الحوار فى منهج الإسلام

كيف نستطيع أن نقيم أدب الحوار. الحوار الذى يجمع ولا يفرق، ويوحد ولا يشتت..؟

أيمكن أن يتم ذلك عن طريق العلم النافع والفهم الصائب..؟

أيمكن أن يتحقق ذلك عن طريق الخلق السمح والأدب الجم..؟

أم أن أدب الحوار لا يتحقق إلا عن طريق ترك الجدال والمراء والبعد عن اللجاج واللدد فى الخصومة.

إن القرآن الكريم يقدم لنا المنهج الأمثل فى إقامة أدب الحوار والمستعرض لآياته البينات يرى أنه أصّل القواعد، وقعّد الأصول تحسباً لهذه الغاية.

وأول هذه القواعد التى أمرنا الله سبحانه وتعالى بها أن نتلقى العلم النافع وأن نحسن اختيار من نتلقى عنه العلم. قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾(٢).

ولكن من هم أهل الذكر..؟

أهم أصحاب الذاكرة الواعية، والعقلية اللاقطة التى تذكر ولا تنسى وتدقق ولا تهمل..؟

أم أن أهل الذكر هم الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض..؟

إن بعض المفكرين يحصر أهل الذكر فيمن حباهم الله الفهم الواعى لكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم.

(١) سورة الأنبياء آية رقم: ٧. (٢) سورة الفرقان آية رقم : ٤٩.

لأن الذكر هو القرآن. قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

والعلم النافع الذى يدعو إليه أهل الذكر لا يتم إلا عن طريق الضوابط الدقيقة والقواعد السليمة.

ومن هذه الضوابط: أنه يطالبنا بالبعد عن المناقشات العقيمة التى لا تنتج علماً ولا تقدم معرفة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾(٢).

وقال: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾(٣).

وقال: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٤).

والواقع أنه لا يضلل العقول ولا يعوق عن التقدم مثل المجادلات البيزنطية التى تبدد الجهود وتضل العقول، وتثير الخلافات فى غير طائل. وقد قال الله تعالى فى شأن المجادلين:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٥).

وقال ﷺ

«من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له بيت فى وسطها»(٦).

(١) سورة الحجر آية رقم: ٩.
(٢) سورة الأنعام آية رقم: ٦٨.
(٣) سورة غافر آية رقم: ٥.
(٤) سورة الحج آية رقم ٦٨ ـ ٦٩.
(٥) سورة الأنعام آية رقم: ١٢١.
(٦) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب البر وقال حسن صحيح وابن ماجه فى المقدمة باب اجتناب البدع والجدل رقم ٥١ بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

ومن الضوابط أيضاً الإقبال على العلم المفيد وترك ما لا طائل وراءه وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله:

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(١).

ومن صفاتهم التى مدحهم الله بها قوله:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾(٢).

وقوله أيضاً: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾(٣).

ووصف الله سبحانه وتعالى الجنة التى أعدت للمؤمنين بقوله:

﴿ لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾(٤).

وما دامت الجنة خالية من اللغو فهى خالية أيضاً من الكذب.

قال تعالى: ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً﴾(٥).

وقد نهى الله تعالى عن الإلحاح فى طلب المحال أو ما يشبه المحال فقال: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(٦).

وهو هنا يعلمنا أدب السؤال فى منهج المعرفة، وما دام الله سبحانه وتعالى هو الذى ينزل الشريعة، ويخبر بالغيب، فمن الأدب أن يترك المؤمنون لحكمته تعالى تفصيل الشريعة أو إجمالها وأن يتركوا له كذلك كشف هذا الغيب أو ستره، وأن يقفوا هم فى هذه الأمور عند الحدود التى أرادها العليم الخبير.

ولذلك قال لهم الرسول- ﷺ -:

«سلوا الله علماً نافعاً وتعوذوا به من علم لا ينفع».

(١) سورة الفرقان آية رقم: ٧٢. (٢) سورة المؤمنون آية: ٣.

(٣) سورة القصص آية: ٥٥. (٤) سورة الطور آية رقم: ٢٣.

(٥) سورة النبأ آية: ٣٥. (٦) سورة المائدة آية: ١٠١.

ولعل سـائلاً يقـول: لقـد حـصـرت العلم فى دائرة مـحـصـورة ومـعـرفـة محدودة وهم أهل القرآن، وأهل القرآن هم حملة الشريعة.

ومن الضوابط أيضاً لإقامة أدب الحوار الإخلاص لله تعالى والتجرد من الأهواء وحب الذات بحيث تكون غاية الإنسان رضا الخالق لا ثناء الخلق، وسعادة الآخرة لا منفعة الدنيا، وإيثار ما عند الله على ما عند الناس.

ولهذا قال السلف الصالح: شر إله عبد فى الأرض الهوى، وذلك لأنه يضل الإنسان عن الحق قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾(١).

ويحضرنى فى هذا المقام قصة الإيثار العالى والترفع عن اتباع الهوى وحب الذات عند الصحابى الجليل خالد بن الوليد.

ومن ذلك أن الجيش الإسلامى بقيادة خالد بن الوليد حطم آخر قلاع الروم فوق أرض اليرموك وتقام أيام النصر ويدخل أحد الشعراء ويمدح خالداً القائد المنتصر، ويعطيه خالداً مبلغاً كبيراً من المال، ويصل خبر هذا العطاء إلى الحاكم العام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - عمر الساهر على أمر الرعية- عمر الذى يملأ الخوف- من ربه- كل جارحة من جوارحه فيرسل عمر إلى أبى عبيدة بن الجراح قائلاً أما بعد.

فقد بلغنى أن ابن الوليد قد تبرع بخمسمائة دينار لرجل واحد وهذا مبلغ يكفى لإشباع خمسمائة جائع، فأعزله عن القيادة واسأله عن هذا المال أهو من ماله الخاص..؟

فإن كان كذلك فقد أسرف، والإسراف صفة لا يصح أن يتصف بها قادة المسلمين، وبذر أمواله والمبذرون إخوان الشياطين. وإن كان هذا المال من خالص غنيمة المسلمين، فقد خان الأمانة والخيانة أيضاً ليست من صفات

(١) سورة الجاثية آية: ٢٣.

القيادة ويصدع أبو عبيدة بالأمر ويتم عزل خالد، ويقاسمة أبو عبيدة جميع ماله وكما ذكرنا من قبل..

ولكن لا تنتهى العملية عند هذا الحد.

فضباط بنى أمية وشبابها لا يعجبهم هذا الوضع إنهم قادة الجيش المنتصر، إنهم فرسان الحرب ورهبان الليل، لا يعرفون طعم الهزيمة ويتقدم أحدهم إلى خالد بن الوليد ويقول: إنها الفتنة يا خالد.

ويرد عليه القائد المنتصر المعزول، وماذا نفعل يا رفيق السلاح..؟

ماذا نفعل يا أخا العرب وقد رغب ابن الخطاب فى ذلك وأمر بتنفيذه..؟

ويرد عليه الضابط قائلاً: سنملؤها خيلاً ورجلاً على ابن الخطاب فى المدينة.

وهنا يقول خالد، خالد الذى تربى فى مدرسة النبوة فى مدرسة الإيمان.

لا يا أخى: لقد حطمنا المدائن فى أرض فارس، ودمرنا القلاع على بطاح الروم. فهل توجد قوة ضاربة تقف أمام المسلمين وتحتاج إلى سيف خالد؟

ويقول الرجل: لا. لا توجد قوة ضاربة تقف الآن أمام المسلمين.

عندها يقول خالد:

إذن الدولة الإسلامية الآن فى حاجة إلى عقل عمر أكثر من حاجتها إلى سيف خالد. لن تكون فتنة وابن الخطاب موجود.

ومن الضوابط لإقامة أدب الحوار: التحرر من التعصب للرأى والتعصب للمذهب.

فعلينا أن نحترم رأى الآخرين، ونقدر وجهات نظرهم وأن نعطى آراءهم الاجتهادية حقها من الاعتبار والاهتمام وذلك مبنى على أصل مهم وهو أن كل ما ليس بقطعى من الأحكام فهو أمر قابل للاجتهاد. يقول الإمام الشافعى- رضي الله عنه -. رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل

الصواب. ثم يقول والله ما أبالى أن يظهر الحق على لسانى أو على لسان غيرى.

ومن الأمثلة على عدم التعصب للرأى والهوى ما حدث فى مسجد الكوفة، من ذلك أن الإمام أبا حنيفة استفتى فى مسألة بعد صلاة العشاء فأفتى فيها ولكن تلميذه أبا يوسف لم يعجبه ما قاله أستاذه فى شأن هذه الفتوى وعند خروجهما من المسجد، وقبل أن يدلفا من بابه قال التلميذ الفتى لأستاذه لقد جانبك الصواب يا شيخى فيما قلته بشأن هذه الفتوى وأخذ الشيخ يوضح لتليمذه ما غاب عنه.

ويرد التلميذ على أستاذه بما لديه من حجج وأدلة.

ومازالا يتحاوران حتى أذن لصلاة الفجر وهما واقفان أمام باب المسجد عندها قال أبو حنيفة لتلميذه عد بنا لصلاة الفجر، ثم نعود مرة أخرى لإكمال الحوار فى هذه المسألة. حدث ذلك لأن أدب الحوار فى منهج الإسلام يوجب على المسلم أن يكون عدلاً مع من يحب ومن يكره فلا يخرجه الكره عن الحق ولا تدخله المحبة فى الباطل، ولا تمنعه الخصومة من أنصاف خصمه ما دام الحق معه.

جلس عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - يقسم الغنائم بين أفراد الجيش المحارب، - وفجأة وجد أمامه- قاتل أخيه زيد بن الخطاب الذى أسلم وحسن إسلامه- بعد قتله زيدا، وأصبح جنديًا فى جيش الإسلام فما كان من عمر- رضي الله عنه - إلا أن أشاح بوجهه.

فقال له القاتل المسلم:

أتكرهنى يا عمر: ؟

فقال نعم كما تكره الأرض الدم.

عندها قال القاتل: أمانعى حقى إذاً: ؟

فقال عمر الذى تربى فى مدرسة الإيمان: أما هذه فلا لأن الله تعالى يقول:

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١) .

عندها قال الرجل: الواثق من عدل عمر:

إذن لا أعبأ بحبك ولا بكرهك فهذا شىء تعبأ به النساء.

- ومن أدب الحوار أن ينظر إلى القول لا إلى قائله، وأن تكون لديه الشجاعة لنقد الذات والاعتراف بالخطأ والترحيب بالنقد من الآخرين، وطلب النصح والتقويم منهم والاستفادة مما عندهم من علم وحكمة: اتباعاً لهدى الرسول- ﷺ -:

«الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها»(٢) .

ومن الضوابط لإقامة أدب الحوار إحسان الظن بالآخرين والتماس الأعذار لهم إن أخطأوا كما كان يفعل بعض السلف الصالح ويقول: ألتمس لأخى من عذر إلى سبعين عذراً ثم أقول لعل له أعذاراً أخرى لا أعرفها، وكانوا يقبلون فتاوى المفتين فى المسائل الاجتهادية فيصوبون المصيب، ويستغفرون للمخطئ ويحسنون الظن بالجميع .

لقد كان فى الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ومن بعدهم من يقرأ البسملة، ومنهم من لا يقرأها، ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر وكان منهم من يقنت فى الفجر ومنهم من لا يقنت فيها ومنهم من يتوضأ من الرعاف والقىء والحجامة، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يرى فى مس المرأة نقضاً للوضوء ومنهم من لا يرى ذلك، ومنهم من يتوضأ من أكل لحم الإبل ومنهم من لا يرى فى ذلك بأساً.

---

(١) سورة المائدة آية رقم: ٨.

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى العلم ١٩ وابن ماجه فى كتاب الزهد ١٥ بسنده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

وهذا كله لم يمنع من أن يصلى بعضهم خلف بعض- كما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعى يصلون خلف أئمة من المالكية وغيرهم ولو لم يلتزموا بقراءة البسملة لا سرّاً ولا جهراً.

وصلى الرشيد إماماً وقد احتجم فصلى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة مع أن الحجامة عنده تنقض الوضوء.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة فقيل له فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل تصلى خلفه..؟

فقال: كيف لا أصلى خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب».

وصلى الشافعى رحمه الله الصبح قريباً من مقبرة أبى حنيفة رحمه الله فلم يقنت، والقنوت عنده سنة مؤكدة فى صلاة الصبح فقيل له فى ذلك فقال: أأخالفه وأنا فى حضرته[1]..؟

هؤلاء الرجال كانوا- والحق يقال- يتعاملون من منطلق إسلامى أصيل لا يخرجه الغضب عن الحق ولا يدخله الرضا فى باطل.

كانوا يفعلون ذلك، لأن أسباب الخلاف قائمة فى طبيعة البشر وطبيعة الحياة، وطبيعة اللغة، وطبيعة التكليف، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشرائع ضد طبائعها.

قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٢).

ولكنه جلت قدرته لم يشأ لحكمة يعلمها لهذا:

﴿ولا يزالون مختلفين﴾.

مختلفين فى حياتهم وتصرفاتهم فمنهم من يميل إلى التيسير، ومنهم من يميل إلى التشديد، ومنهم من يأخذ بظاهر النص ومنهم من يأخذ بفحواه

(١) كتاب أدب الاختلاف فى الإسلام للدكتور/ جابر فياض. (٢) سورة هود آية: ١١٨.

وروحه، ومنهم من يسأل عن الخير، ومنهم من يسأل عن الشر مخافة أن يدركه ومنهم ذو الطبيعة المنبسطة ومنهم ذو الطبيعة الأنطوائية المنكمشة وهذا الاختلاف فى صفات البشر واتجاهاتهم النفسية يترتب عليه لا محالة اختلافهم فى الحكم على الأشياء والمواقف.

إذن لا مانع من الاختلاف ولكن أدب الحوار يعلمنا كيف تختلف آراؤنا ولا تختلف قلوبنا..؟ كيف يخالف المسلم أخاه المسلم فى رأيه دون أن تمس أخوته أو يفقد محبته أو احترامه لمخالفه ودون أن يتهمه فى عقله أو فى علمه أو دينه..؟

لقد كان بين عمر بن الخطاب. وعلى بن أبى طالب- رضي الله عنهم - بعض الاختلافات فى وجهات النظر ولكن فى نطاق أدب رفيع وخلق عالٍ لم تعرف البشرية مثله.

وفى يوم من الأيام علم عمر أن امرأة مغيبة- غاب عنها زوجها- يُدخل عليها، فأنكر ذلك وأرسل إليها أجيبى عمر..؟؟

فقالت: يا ويلاه مالى ولعمر..؟

فبينما هى فى الطريق إليه فزعت فضربها الطلق فدخلت داراً فألقت ولدها فصاح الصبى صيحتين ثم مات.

فاستشار عمر بعض أصحابه.

فقال بعضهم: ليس عليك شىء يا أمير المؤمنين إنما أنت والٍ ومؤدب وصمت على- رضي الله عنه - .

فأقبل عليه عمر وقال:

ما تقول يا على فى هذه القضية..؟

قال: إن كان هؤلاء الرجال قد قالوا ما قالوه برأيهم فقد أخطأوا وإن كان قد قالوه إرضاء لهواك فلم يخلصوا لك النصح.

وأرى أن دية الطفل عليك فأنت أفزعتها وألقت ولدها بسببك فنزل عمر على رأى الإمام على ودفع لها دية الطفل.

وأدب الحوار يعلمنا أن الفتوى يمكن أن تتغير بتغير الأحوال والأزمان والأشخاص من ذلك ما حدث فى عقوبة شارب الخمر فأبو بكر يجلد أربعين وعمر يجلد ثمانين حين رأى الناس قد تمادوا فى الشرب فرأى فى زيادة العقوبة ردعاً وزجراً.

وقال عمر بن عبد العزيز- تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور ورفض مبدأ الهدية له ولولاته، ولما قيل له: إن رسول الله - ﷺ - قبل الهدية- وقال: لو أهدى إلى كراع لقبلت.

قال رحمه الله- كانت له - ﷺ - هدية وهى الآن لنا رشوة.

من هنا نرى أن الاجتهاد مشروع، واختلاف الرأى لازم والشرع لم يحرم المجتهد المخطئ من الأجر، وكل يعمل بما ترجح له، وهذا هو معنى التوسعة والرحمة.

كل ما هنالك يجب علينا أن نحترم التخصص فلكل علم أهله، ولكل فن رجاله. فكما لا يجوز للمهندس أن يفتى فى أمور الطب ولا للطبيب أن يفتى فى شئون القانون. كذلك لا يجوز أن يكون علم الشريعة كلأ مباحاً لكل من هب ودب من الناس بدعوى أن الإسلام ليس حكراً على فئة من الناس، وأنه لا يعرف طبقة رجال الدين التى عرفت فى أديان أخرى.

وهذا حق وصدق. إن الإسلام لا يعرف طبقة رجال الدين ولكنه يعرف علماء الدين المتخصصين الذين أشارت إليهم الآية الكريمة:

﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(١).

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأل أهل الذكر فقال تعالى:

(١) سورة التوبة آية رقم: ١٢٢.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[2].

ويحضرنى فى هذا المقام ما حدث بين عمر بن عبد العزيز وابنه، فقد أراد عمر أن يعود بالحياة إلى هدى الخلفاء الراشدين وذلك بعد أن يتمكن من حكمه ويعود الناس على هذه الأشياء شيئاً فشيئاً. ولكن ابنه الشاب الغيور أنكر على أبيه عدم إسراعه فى إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم ورد الأمر إلى شرع الله تعالى: فقال له يوماً. مالك يا أبت لا تسرع فى تنفيذ الأمور..؟ فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى سبيل إظهار الحق.

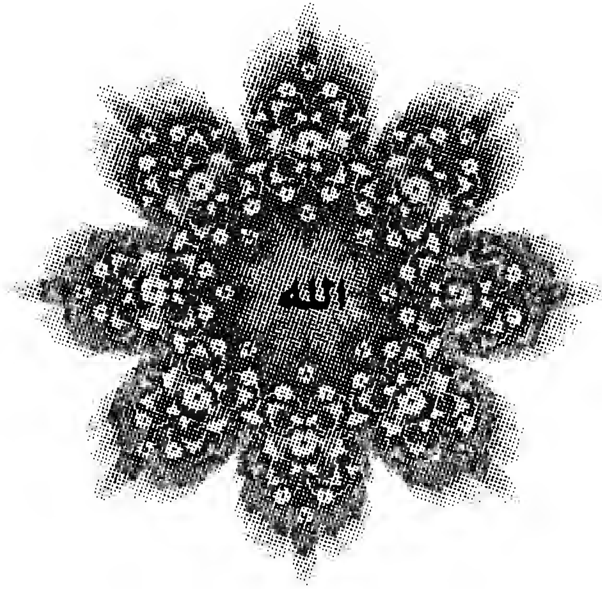
فقال الحاكم العالم بطبيعة البشر: لا تعجل يا بنى فإن الله ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة، وإنى أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيتركوه جملة فيكون من ذلك فتنة.

ومن أدب الحوار فى منهج الإسلام أن يتم عن طريق الكلمة الطيبة وتنحية الكلمة الخبيثة قال تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[3].

الكلمة الطيبة: هى كلمة الحق وهى كالشجرة الطيبة ثابتة الجذور سامقة الفروع لا تزعزعها الأعاصير ولا تعصف بها رياح الباطل ولا تقوى عليها معاول الجهل والبغى، وإن خيل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق فى بعض الأحيان، سامقة متعالية تطل على الشر والجهل من عل وإن خيل للبعض أحياناً أن الشر يطاولها فى الفضاء، وهى مثمرة يانعة، لا ينقطع ثمرها. لأن عباراتها وقوة إيمانها تثبت فى القلوب الخير والفلاح دائماً.

(١) سورة النحل آية رقم: ٤٣.
(٢) سورة فاطر آية رقم: ١٤.
(٣) سورة إبراهيم آية: رقم ٢٤ - ٢٦.


الله

هشام بن عتبة بن أبى وقاص

رضى الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

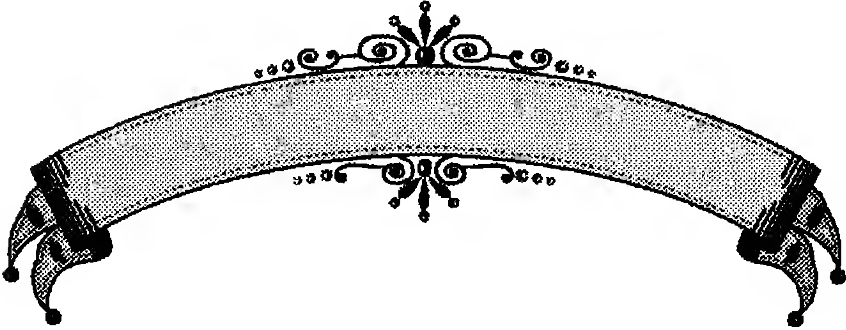
(التوبة: ١٢٣)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية فى كل من استجاب لأمر الله تعالى وحمل سيفه وقاتل فى سبيل الله.

ومن هؤلاء هشام بن عتبة وخالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص وغيرهم.

فمن هو هشام بن عتبة رضي الله عنه..؟



قال أبو الطفيل عامر بن وائلة:

يا هشام الخير جزيت الجنة

قاتلت فى الله عدو السنة

أفلح بما فزت به من منة


هشام بن عتبه بن أبى وقاص
رضى الله عنه



حياته ونشأته

من الفرسان الذين عرفتهم معارك الجاهلية وفتوحات الإسلام.

وقائد محنك خبير بإدارة المعارك وتحقيق النصر.

ومعاند صلب ابتعد عن دخول الإسلام فترة طويلة من الزمن أسلم عام الفتح- الفتح الكبير وأخذ يتسمع مع عشرة آلاف مقاتل قول الله سبحانه وتعالى- وهو يردده بلال مؤذن الرسول ﷺ بصوته الشجى القوى المعبر:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (١).

وشاهد الأصنام والأوثان وهى تتهاوى وتتساقط متهشمة منحطة بإشارة من الرسول ﷺ لتفسح المجال لكلمة التوحيد كلمة «لا إله إلا الله».

ويعلن الرسول ﷺ ميلاداً جديداً لعودة البشرية قاطبة إلى عبادة الواحد الأحد خالق الأرض والسماء وموجد الحياة والموت..

ويتساءل المرء كيف تأخر إسلام هشام بن عتبة إلى ذلك التاريخ وهو ابن أخ لعملاق الإسلام سعد بن أبى وقاص..؟

نعم سعد : القائد المحنك، والفارس المجرب، بطل القادسية، ومدائن كسرى وفاتح العراق وناشر على أرضه اسم الله.

(١) سورة الفتح آية رقم: ١، ٢.

سعد: أحد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - للخلافة والشورى وقال: وهو يلفظ آخر أنفاسه، إن أصابته المرة فذاك، وإلا فليستعن به الوالى[1]. وهو من قبل هذا ومن بعده خال الرسول ﷺ روى جابر عن عبد الله بن مسعود: قال أقبل علينا ابن أبى وقاص فقال النبى ﷺ هذا خالى فليرنى امرؤ خاله»[2].

وفى إحدى الليالى فى يثرب أرق الرسول ﷺ فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى».

تقول السيدة عائشة- رضي الله عنها- فلم تمض لحظة واحدة إذ سمعنا صوت السلاح فقال الرسول ﷺ من هذا..؟

قال: أنا سعد بن أبى وقاص، أنا أحرسك يا رسول الله، فدعا له رسول الله ﷺ.

إن سعداً بات يحرس رسول الله ﷺ صاحب الرسالة وقد دعى بعد ذلك لحراسة الأمة الإسلامية من أقوى قوة ضاربة عرفتها البشرية فى ذلك الوقت قوة الفرس، التى كانت تتخذ من أبناء العرب حراساً وعمالاً وجنوداً وخفراء.

وإذا كان هذا وأكثر منه حدث من أقرب المقربين إلى هاشم بن عتبة بن أبى وقاص.

لماذا تأخر إسلام هاشم..؟

أليس هذا أمر يدعو إلى العجب والتساؤل..؟

وإذا كنا لا نجد إجابة واضحة أو أسباباً جوهرية لتخلف هشام عن الإسلام طوال هذه الفترة. فلا يسعنا إلا أن نكل الأمر إلى الله تعالى الذى قال لرسوله عليه السلام:

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾[3].

(1) طبقات ابن سعد جـ3 والاستيعاب فى معرفة الأصحاب 2: 609.

(2) المصدر السابق 2: 609. (3) سورة الأنعام آية رقم 71.

وقوله: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(١).

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى لعبده هشام بن عتبة خيراً فهداه إلى الإسلام حتى يكون قوة ضاربة للكفر وأهله ورسول سلام يدعو إلى دين الله بإذن من الرسول ﷺ.

هشام بن عتبة فى معركة اليرموك

عقد خليفة المسلمين أبو بكر الصديق على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام عملاً بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

وأخذ يرسل الجنود مع القادة حتى تكامل عدد المسلمين على أرض الشام أربعة وعشرين ألفاً.

فأفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان فلما انتهى إليه الخبر قال لهم هرقل:

«ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنهم لا قبل لأحد بهم، فأطيعونى وصالحوهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم..؟؟

وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم، فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش كما هى عادتهم فى قلة المعرفة والرأى بالحرب.

عند ذلك سار هرقل إلى حمص وأرسل الجيوش بقيادة الأمراء. وكان عددهم يزيد عن المائة والعشرين ألفاً.

فطلب المسلمون من أبى بكر مدداً فأرسل إلى خالد الذى كان على أرض العراق أن يخترق الحدود والسدود وينضم إلى جيوش المسلمين على أرض

---

(١) الأنعام رقم ٨٨. (٢) سورة التوبة آية ١٢٣.

الشام وعندما وصل خالد إلى أرض الشام أمر بتجميع الجيوش تحت قيادة واحدة وقال: «فتعالوا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم واليوم الآخر غداً والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعونى اليوم إليكم، فأمروه عليهم وخرجت الروم فى تعبئة كاملة يقال إنهم بلغوا مائتين وأربعين ألفاً وتكامل عدد المسلمين قرابة الأربعين ألفاً.

وبينما السيوف تعمل عملها، والرقاب تتطاير، والمعارك تشتد وتساقط القتلى بالألوف من الجانبين.

خرج من صفوف الروم «جرجه» أحد الأمراء الكبار واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت عنقا فرسيهما فقال جرجه:

«يا خالد أخبرنى فأصدقنى ولا تكذبنى، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم..؟

قال: لا.

قال: فبها سميت سيف الله..؟

قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه.

فقال لى: أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين. ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

قال جرجه: يا خالد إلى ما تدعون..؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله تعالى.

قال: فمن لم يجبكم..؟

قال: فالجزية ونمنعهم.

قال: فإن لم يعطها..؟

قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله..؟؟

قال فما منزلة من يجيبكم ويدخل فى هذا الأمر اليوم..؟؟

قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا- شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

قال جرجه: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر..؟

قال: نعم وأفضل.

قال: كيف يساويكم وقد سبقتموه..؟

فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر وبايعنا نبينا وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا..؟

فقال جرجه: بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى..؟

قال: تالله لقد صدقتك وإن الله ولى ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد، وقال: علمنى الإسلام.

ودارت المعركة واشتد وطيسها. وزحف خالد بالمسلمين فضرب فيهم ومعه جرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب وصلى المسلمون صلاة الظهر والعصر إيماء، وأصيب جرجه رحمه الله، ولم يصل إلا الركعتين مع خالد رضي الله عنه.

وانهزم الروم وقتل منهم قرابة المائة والعشرين ألفاً، وفر الباقون وتركوا أرضهم وديارهم وانبعث فى الأفق صوت قوى جياش يردد قول الله تعالى:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً﴾(١) .

إلى قوله: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾(٢) .

وقدمت جيوش الروم منهزمة إلى انطاكية- مجلس الحكم لهرقل فقال لهم ويلكم أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم..؟

قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم..؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً فى كل موطن.

قال: فما بالكم تنهزمون دائماً أمامهم..؟

فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم. ومن أجل أنا نشرب الخمر، وهم لا يشربون، ونحن نزنى، وهم لا يقترفون الفاحشة، ونأتى الحرام. وهم يحللون، وننقض العهد وهم يوفون، ونغصب ونظلم: وهم لا يظلمون لأن الظلم عندهم ظلمات يوم القيامة. ونأمر بما يغضب الله وننهى عما يرضيه ونفسد فى الأرض فلابد أن نقتلع منها ليستولوا عليها تنفيذاً لقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(٣) .

قال هرقل: أيها الشيخ لقد صدقتنى ودللتنى على أسباب الهزيمة وإذا

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢٥.
(٢) سورة الأحزاب الآيات من ٢٥- ٢٧.
(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٥.

كان ذلك كذلك فأين هشام ابن عتبة..؟

لقد ابلى فى المعركة بلاءً، وكان يتبع خطوات القائد خالد بن الوليد، ليحمى ظهره من الأعداء، ولكنهم فتحوا ثغرة فى ميمنة الجيش واخترقوا صفوف المسلمين وليس لهم هدف إلا رأس خالد بن الوليد الذى كان فى شغل شاغل فى جند له مع أحد قادة جيش الروم. ولكن هشام استطاع أن يصدهم ويردهم على أعقابهم خاسئين بعد أن أصابه أحدهم بسهم فى عينه اليسرى فذهب بها. وجلس فى خيمة خالد يطببه بيده حتى جاء أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بتوجه هاشم بن عقبة إلى أرض العراق.

وحاول خالد أن يرجئه حتى يبرأ تماماً، ولكنه قال لقائده.. لابد من تنفيذ أمر خليفة المسلمين. فهو ولا شك فيه مصلحة عامة للإسلام والمسلمين.

هشام بن عتبة فى معركة القادسية

لقد كانت هذه المعركة من أشد المعارك التى خاضها المسلمون على أرض فارس والسبب فى ذلك أن الفرس دخلت المعركة بسلاح جديد لا خبرة لهم به- وهو سلاح الفيلة هذا الحيوان المتوحش والقوى الصلب والذى يحمل فوق ظهره أكثر من خمسة وعشرين جندياً، ويستعمل خرطومه كمدفع سريع الطلقات يلتقط به فرسان المسلمين من فوق ظهور خيولهم ليكونوا لأقدامه وسادة يثب عليها ليتناول فارساً آخر.

وما كاد سعد يشاهد شراسة الفيلة وهى تعمل عملها فى صفوف المسلمين حتى نادى فى أبناء عمومته ماذا نفعل يا أتباع محمد..؟

وسمع سعد صوت ابن أخيه هشام بن عتبة وكأن الأمر كان معداً- فلم تمض لحظات حتى خرجت الإبل فى كتيبة مجللة مبرقعة وعليها فرسان ملثمون يحملون لهباً ومشاعل يحيط بها رجال أقوياء يقودهم هاشم بن عتبة.

وشاهدت الفيلة هذا الهول المرعب ففرت هاربة تحطم صفوف الفرس، وتوجد الخلل بين تشكيلاتهم، وتبعهم فرسان المسلمين.

وفى الجانب الآخر صوت يقود المعركة ويوجه سيرها ويشعل الحمية فى قلوب رجالها إنه صوت سعد الذى كان يملأ سماء المعركة دويّاً قوياً.

تقدم يا قعقاع.

حطم تلك الكراديس يا مغيرة.

يا أصحاب محمد. يا أهل بدر يا رجال موقعة اليمامة تقدموا فالله معكم وناصركم. عندها ارتفع صوت علا على صوت سعد، صوت يهز الكون بالتكبير والتهليل والشكر لله تعالى- إن هذا الصوت يعرفه سعد جيداً إنه صوت هلال بن علقمة.

وانداح هذا الصوت فى أرجاء المعركة ليبشر أتباع محمد ﷺ بقتل «رستم» قائد الفرس.

واعتلى هلال بن علقمة فوق سريره. وهو يقول:

«قتلت رستم ورب الكعبة».

فتحلقوا حوله وكبروا خاشعين لله وانتهت المعركة بالنصر المؤزر والفتح المبين.

هشام بن عتبة قائداً لمعركة جلولاء

بعد هزيمة الفرس فى المدائن سار كسرى هارباً إلى حلوان وشرع فى أثناء سيره فى جمع الرجال والأعوان والجنود من البلدان فاجتمع له جيش كبير، وأمَّر على الجميع مهران، وسار كسرى إلى حلوان- وأقام الجمع الذى جمعه بينه وبين المسلمين فى «جلولاء» واحتفر خندقاً عظيماً حولها. وأقاموا بها فى العدد والعدة وآلات الحصار.

عندها كتب سعد بن أبى وقاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يخبره بذلك.؟؟

فكتب إليه عمر أن يقيم بالمدائن، ويبعث ابن أخيه هشام بن عتبة أميراً على الجيش الذى يبعثه إلى كسرى، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو وعلى الميمنة سعد بن مالك، وعلى الميسرة أخوه عمر بن مالك، وعلى الساقة (المؤخرة) عمرو بن مرة الجهنى.

ففعل سعد الذى أمر به أمير المؤمنين وسير جيشاً تعداده اثنا عشر ألفاً يقودهم هشام بن عتبة.. وفيه من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار.

فساروا حتى انتهوا إلى جلولاء وقد خندق الفرس عليها- وملؤوا الأرض حولها بحسك الحديد إلا طريقاً يخرجون منه.

فحاصرهم هشام بن عتبة وكان الفرس يخرجون من خندقهم ويقاتلون المسلمين قتالاً لم يسمع بمثله. حتى كان يوم حمى فيه القتال، واشتد النزال واضطرمت نار الحرب. وقام هشام فى الناس خطيباً فحرضهم على القتال والتوكل على الله وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت وحلفوا بالنار ألا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب واستمر القتال حتى فنى النشاب بين الطرفين، وتقصفت الرماح من الجانبين فعمدوا إلى استعمال السيوف «والطبرزينات»- وذهبت

فرقة من الفرس وجاءت مكانها أخرى.

فقام القعقاع فى المسلمين فقال: أهالكم ما رأيتم أيها المسلمون..؟

قالوا: نعم. إنا كالون متعبون، وهم مريحون..؟؟

فقال: بل إنا حاملون عليهم ومجدون فى طلبهم، حتى يحكم الله بيننا فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم، فحمل وحمل الناس وانفرد القعقاع بمجموعة من الفرسان والأبطال الشجعان حتى انتهى إلى باب الخندق، عندها ناد المنادى اتبعوا القعقاع إلى باب الخندق، فزحف المسلمون كالموج المتلاطم وأعملوا فيهم السيوف، ففروا هاربين فتلقاهم حسك الحديد فكان من قتل بهذا الحسك الذى وضعوه بأيديهم أكثر ممن قتل بسيوف المسلمين. وأخذهم المسلمون من كل وجه ذهبوا فراراً إليه حتى قدر عدد القتلى بمائة ألف من الفرس.

وغنم المسلمون أرضهم وحليهم وكنوزهم ودوابهم- وكانت شيئاً كثيراً يستعصى على الحصر والعد.

ثم بعث هشام بالغنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبى وقاص، فنفل سعد ذوى النجدة ثم أمر بقسمة ذلك على الغانمين.

ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- فأمر بوضعها فى المسجد. وأمر عبد الله بن أرقم، وعبد الرحمن بن عوف بحراستها حتى الصباح.

ثم جاء عمر وأمر بكشفها، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده، وذهبه الأصفر وفضته البيضاء بكى عمر.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين..؟

فقال عمر: والله ما ذاك يبكينى. وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا. وعندها يصبح بأسهم بينهم شديداً. ثم قسمه بينهم..

فهل تحقق ما تنبأ به أمير المومنين..؟

وهل سيوف المسلمين التى كانت تصوب إلى رقاب الأعداء استمرت على ذلك أم أنها شرعت إلى الداخل.

ونتساءل هل اختلف المسلمون على الذهب والفضة؟

وهل قامت بينهم المعارك والحروب من أجل عروض ومغانم الدنيا.

أم أن المعارك التى شنت والحروب التى اشتعلت كان وراءها أشياء أخرى. شتتت وحدتهم وفرقت جمعهم..؟

إن الخبر اليقين سيقدمه لنا هشام بن عتبة عند اشتراكه فى معركة الجمل ومعركة صفين؟؟

معركة الجمل وصفين

أفرزت معركة الجمل وصفين جرحاً فى القلوب، وندماً فى بعض الصدور وتوبة لكثير من المسلمين- وكان من أهم نتائج هاتين الموقعتين: ظهور من سموا بالخوارج لخروجهم على الإمام الحق.

عندها قال عبد الله بن عباس- رضي الله عنه- للإمام على بن أبى طالب- رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة- أى أخر الصلاة وادخل بها فى وقت الإبراد فلا تفتنى حتى آتى القوم.

قال ابن عبد البر: فدخل عليهم وهم قائلون- مستريحون وقت الظهيرة- فإذا هم متجهمة وجوههم من السهر؟؟

وقد أثر السجود فى جباههم، كأن أيديهم ركب الإبل من كثرة السجود وعليهم قمص مغسولة.

فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة عليك؟

قال ابن عباس قلت: ما تعيبون منى فلقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما

يكون من ثياب اليمنية.

قال ثم قرأت هذه الآية:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(١).

فقالوا: ما جاء بك..؟

فقال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد؟؟

وجئتكم من عند ابن عم الرسول ﷺ وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله. جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم.

قال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً- لا تجادلوهم- فإن الله تعالى يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٢)

فقال بعضهم: بلى. فلنكلمنه.. فلنكلمنه.

قلت: فكلمنى منهم رجلان أو ثلاثة.

قال: قلت: ماذا نقمتم عليه..؟

قالوا: ثلاثاً. قلت: ما هن..؟

قالوا: حكَّم الرجال فى أمر الله وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾(٣).

قالوا: قاتل ولم يَسْبُ ولم يغنم.

إن كانوا كافرين، فقد حل قتالهم وسبيهم. وإن كانوا مسلمين فلا يحل قتالهم

قلت: وماذا أيضاً..؟ قالوا: ومحا اسمه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين..؟؟

(١) سورة الأعراف آية رقم ٣٢.

(٢) سورة الزخرف آية: ٥٨.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٥٧.

قلت: أرأيتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون.

قالوا: وما لنا لا نرجع..؟

قلت: أما حكم الرجال فى أمر الله فإن الله تعالى قال فى كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾(١).

وقال فى المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾(٢).

فصير الله ذلك إلى حكم الرجال فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال فى دماء المسلمين أفضل وإصلاح ذات البين بينهم أفضل، أو فى حكم أرنب ثمنه ربع درهم، وفى بضع امرأة...؟

قالوا: بلى هذا أفضل قلت: أخرجت من هذه..؟

قالوا: نعم.

قلت: فأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة..؟

فإن قلتم نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم، فأنتم ترددون بين ضلالتين؟

أخرجت من هذه..؟

قالوا: بلى.

قلت: وأما قولكم محا نفسه عن إمرة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون به، إن نبى الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان، وسهيل بن عمرو قال

(١) سورة المائدة آية رقم ٩٥.

(٢) سورة النساء آية رقم ٣٥.

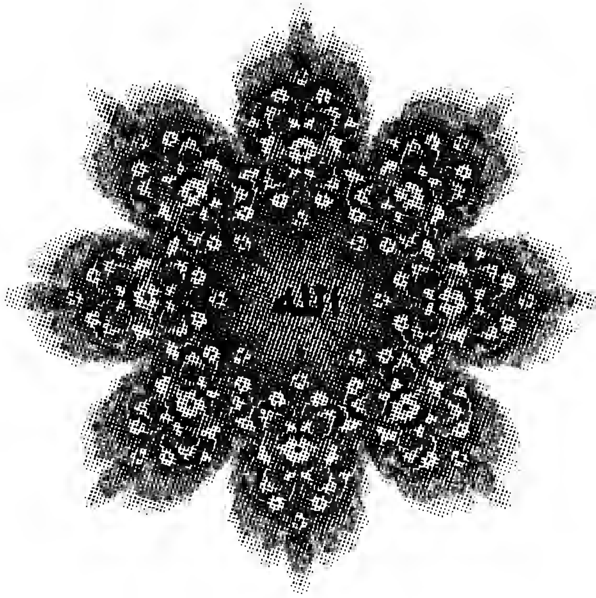
رسول الله ﷺ - أكتب يا على هذا ما صالح عليه رسول الله. فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو:

لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك.

قال رسول الله ﷺ إنك تعلم يا إلهى أنى رسولك امح يا على واكتب:

هذا ما أصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو قال:

فرجع منهم ألفان.. وبقى بقيتهم. لأنهم لم يستعملوا عقولهم، ولا لجأوا إلى كتاب ربهم.




تذييل
الإسلام بين الأمس واليوم

الإسلام بين الأمس واليوم

المستعرض لحياة القائد العملاق هشام بن عتبة، يرى أنه حضر المعركة الفاصلة التى قضت على آخر معاقل الروم فوق أرض الشام وهزمت دولتهم هزيمة منكرة لم تقم لها قائمة أمام دولة الإسلام بعد ذلك.

وكذلك حضر القائد العملاق المعركة الفاصلة على أرض فارس والتى قضت على نفوذهم وشتتت قواتهم وقضت على أمرائهم وحكامهم ثم انداحت جيوش المسلمين فى أربعة أركان الأرض. وطويت المسافات تحت أقدامهم. ولم تمض إلا فترة وجيزة، حتى كان صوت المؤذن، الله أكبر يدوى فى أنحاء المعمورة.

يدوى صوت الله فى الأندلس ويصل إلى مشارف المعمورة.

يدوى صوت الله فى الصين ويصل إلى آخر حدود السند والهند.

ويدوى صوت الله فى القيروان حتى يصل إلى «بانزرت» آخر مشارف تونس.

ويدوى صوت الله على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ويشمل قبرص وصقلية وكورسيكا.

ويتحول هذا البحر حتى يصبح بحيرة إسلامية.

ويدوى صوت الله على مشارف روسيا ويتوغل فى داخلها ويستولى على ثلاثة أرباعها.

يستولى على بخارى والقوقاز.

ويستولى على طشقند وسيبريا.

ويستولى على جبال الأورال.

وعلى بحر قزوين.

ويدوى هذا الصوت، صوت الله فى ثلاث قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا وتزال الحدود والسدود وتتلاشى الحدود السياسية والجغرافية.

ويسير المسلم بلا جواز أو هوية سوى جواز الإسلام وهوية التوحيد من فارس حتى مراكش ويصل مدهم إلى آسيا الصغرى.

وتنطلق من هذه البلاد الجيوش الإسلامية المتتابعة فتفتح البلاد المتاخمة وتحولها إلى قاعدة إسلامية.

وتوغل المسلمون فى أوروبا حتى بلغوا أسوار فيينا.

والسؤال الذى يطرح الآن: لماذا لا ينتصر الإسلام اليوم كما كان ينتصر بالأمس ولماذا لا يقوم أتباعه بدور الريادة والقيادة فى العالم كما فعل أجدادهم وآباؤهم عند ظهوره..؟

أهناك شىء طرأ عليه فغير مفاهيمه فلم تعد تعمل..؟

أو انتقص من أركانه فلم يعد يتقدم..؟

الله يعلم أن شيئاً من ذلك لم يكن، فكتابه الذى بين أيدينا الآن هو كتابه من يوم أن أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.

وإذا كان ذلك كذلك: فما العلة فى ضعف المسلمين وابتعادهم عن دور القيادة ومراكز التوجيه..؟

وللإجابة على ذلك نقول: إن الراصد لحركات المسلمين من عدة قرون يرى أن الكثير منهم قد تفلت من تعاليم دينه، وابتعد عن هدى نبيه وترك نور إسلامه، فلفهم ظلام شامل، لا يدرى أحد كيف الخروج منه أو الخلاص من ثقله.

فالذى ينقص الإسلام الآن هم الرجال: الرجال الذين يؤمنون به كعقيدة تحكم تصرفاتهم، وتضبط سلوكياتهم، ويحكمونه فى شؤونهم الخاصة والعامة ويجعلونه دستور الدساتير فى شرعهم، ومصدر القوانين فى حكمهم.

لو وجد هؤلاء الرجال؟ رجال الإسلام؟؟

ونتساءل لقد كان رجال الإسلام يملأون الساحة، فلماذا فرغت منهم؟

وكان صوتهم يدوى فى جنبات الأرض فلماذا لم يعد العالم يسمع لهم صوتاً أو يرى لهم فعلاً..؟

الحقيقة التى لا ينكرها أحد من المنصفين، والراصدين لخطوات التاريخ فى عصرنا الراهن: أن الدعاة للحركات الإسلامية فى كثير من البلاد نزل بهم من البلاد ما لو نزل بالجبال الشم لدكت أركانه، وتساقطت بنيانه.

لقد سيقوا إلى السجون فى كثير من الأوقات، وقدمت أعضاؤهم طعاماً للكلاب وصب عليهم العذاب صبّاً، وديست حرماتهم، وانتهكت أعراضهم، ووضعت تحت الأقدام النجسة مصاحفهم، وتفننت وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مرئية ومسموعة، على إلصاق كل الموبقات بهم، ورميهم بأحط الصفات وإخراجهم من زمرة البشر؟؟

وكثير منهم فارق الحياة داخل أقبية السجون، وتوارت جثته فى جنح الظلام ومن لم يأته أجله، خرج من السجن وهو بالأموات أقرب.

ونقول: هذا الذى حدث فى هذا العصر، حدث لكل الدعاة السابقين فى كل عصر ومصر، ولم يسلم من ذلك الرسل والأنبياء ولا المخلصون وأصحاب الدعوات، وكأن هذا ضريبة الإيمان.

أو أن الله سبحانه وتعالى قد جعل هؤلاء الجبارين والطغاة أداة تعذيب وتنكيل لأتباع دينه والمخلصين من أبناء الإنسانية، وذلك لحكمة قد تغيب عمن يتقول بلسانه، ومن هو على الحق واليقين بقلبه.

قال الله تعالى:

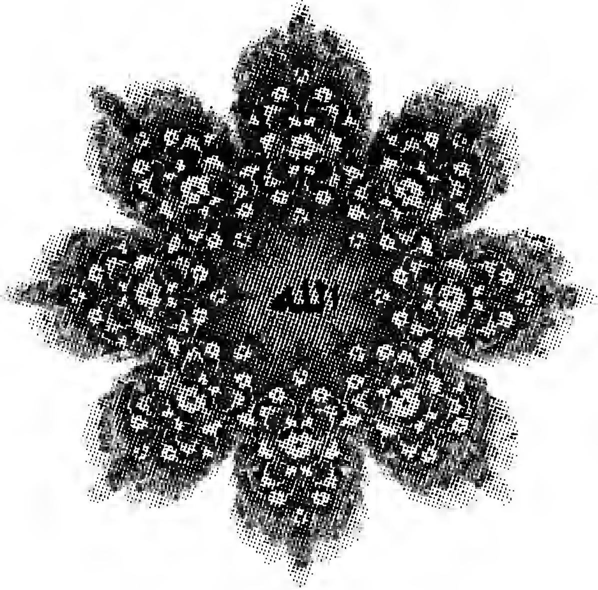
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(١).

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢١٤.

نعم إن النصر فى النهاية يكون للمؤمنين، وللعباد المخلصين القانتين لربهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١).

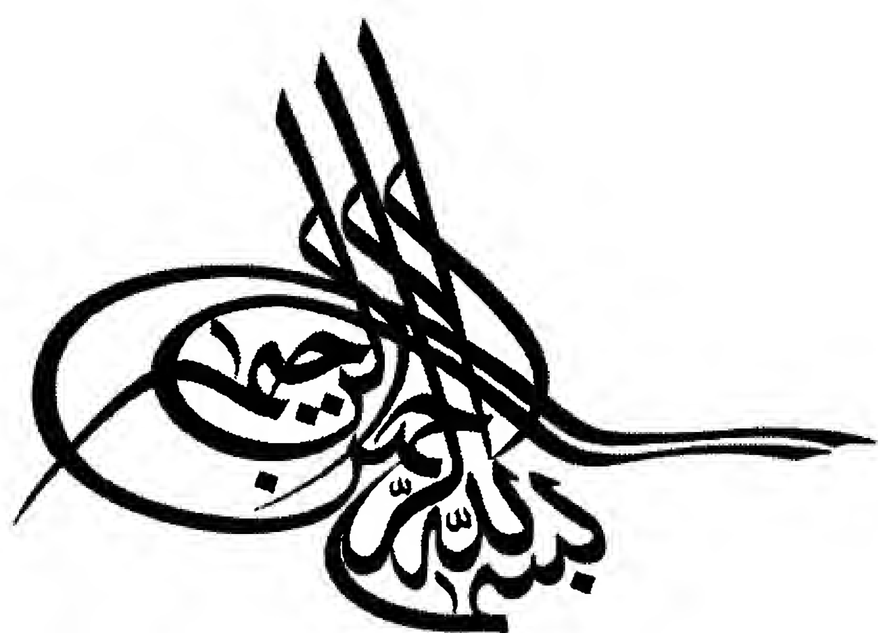
اللهم إن نسألك النصر والظفر، للإسلام والمسلمين، حتى يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.



(١) سورة الأنبياء آية رقم: ١٠٥.

أبو محجن الثقفى

رضى الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(المائدة: ٩٠)

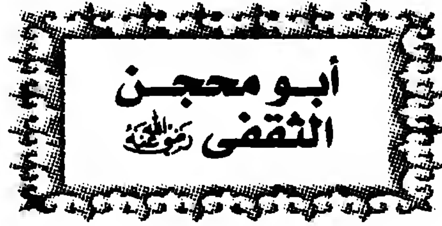
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء والمفسّرين نزلت هذه الأية لقول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، اللهم بين لنا بياناً شافياً فى الخمر.

وقال بعضهم نزلت فى قيس بن عاصم وأبى محجن الثقفى.

ذكر ذلك القرطبى فى تفسيره ج٢ ص ٥٦.

فمن هو أبو محجن الثقفى رضي الله عنه..؟



حياته ونشأته

فارس من فرسان الجاهلية والإسلام.

ومقاتل لا يشق له غبار، وخبير بالنفوس عالم بخباياها.

عرف متى يقدم وكيف يحجم. نشأ في قبيلة ثقيف تلك القبيلة التى لم تعرف طعم الهزيمة قط. ولم تستطع قبيلة أن تنال منها.

ولقد كانت دائماً تعمل على تطوير أسلحتها من السيف إلى المدفع، ومن الرماية إلى المنجنيق، ومن الخيل والإبل إلى الدبابة.

نعم الدبابة التى تخترق الأسوار وتدمر الحصون. وتربك العدو فيفر هارباً من أرض المعركة. وكانت أرضها خصبة، وعيونها فوارة، وخيراتها كثيرة.

أما عن أهلها فكانت حرفتهم صناعة الأسلحة. وتربية الخيول العتاق.

وكانت ديانتهم التى يدينون بها عبادة الطاغية «اللات» أحد الآلهة التى تُعبد فى ذلك الزمان البعيد. قال الله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾[1].

ولقد سمعت ثقيف بالإسلام ولكنها لم تعلن إسلامها، وبقيت على شركها وكفرها حتى بعد فتح مكة.

ثم أراد الله سبحانه وتعالى لهم الخير فهداهم إلى الإسلام.

---

(١) سورة النجم آية رقم ١٩- ٢٠

إسلام أبى محجن الثقفى

متى أسلم أبو محجن..؟ ومتى استقر الإسلام فى قلبه..؟

إن أوثق المصادر التى بين أيدينا تقول إن إسلامه تأخر حتى أسلمت ثقيف.

وكانت بداية ذلك أن عبد ياليل كان سيد ثقيف.

وله الكلمة الأولى فيهم.

والمدافع عن كيانهم وعزهم بعد مقتل عروة بن مسعود.

لقد أخذ عبد ياليل ستة من رؤساء ثقيف وسار بهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

فلما اقتربوا منها ونزلوا أحد الأماكن. وجدوا المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه - يرعى غنمه. وركائب أصحاب النبى ﷺ.

وما كاد يراهم المغيرة. حتى ترك الركائب ووثب ماشياً ليبشر رسول الله ﷺ بقدوم وفد ثقيف عليه.

فلقيه أبو بكر الصديق- رضي الله عنه - قبل أن يدخل إلى رسول الله.

فأخبره المغيرة عن ركب ثقيف أنهم قدموا يريدون الإسلام.

ثم ماذا؟ يشترط لهم رسول الله ﷺ شروطاً ويأخذوا من رسول الله كتاباً إلى قومهم وأهلهم.

فقال أبو بكر للمغيرة دعنى أنا الذى أحدث رسول الله عنهم.

ففعل المغيرة.

عندها دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم. ثم عاد المغيرة إلى وفد ثقيف. وأعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ. ولكنهم لم يفعلوا وحيوا بتحية الجاهلية.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ أقام لهم مكاناً يستريحون فيه فى ناحية المسجد:

وكان خالد بن العاص- رضي الله عنه - وهو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم.

وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده.

وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من رسول الله- ﷺ - حتى يأكل منه خالد إلى أن أسلموا.

وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ:

«أن يدع لهم الطاغية- صنم اللات- لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنوات.

فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم.

فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم.

حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى. وكانوا يريدون بذلك- فيما يظهر- أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام..؟؟

فأبى رسول الله ﷺ.

ثم عفالهم عليه السلام أن يهدموها بأيديهم. وأرسل لهدمها أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة.

وسألوه أيضاً أن يعفيهم من أداء الصلاة، وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم «فقال الرسول ﷺ أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه. وأما الصلاة. فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه.

فقالوا: يا محمد فسنؤتيكها.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أمّر عليهم عثمان بن العاص. وكان من أحدثهم سناً.

فعل الرسول ﷺ ذلك لأنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلم كتاب الله تعالى.

هدم الطاغية (اللات)

قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين. بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب. والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية.

ثم ماذا: تم هدمها وتسويتها بالأرض.

وتلاشت الآلهة المزيفة التى هى من شجر وحجر.

وعلت كلمة التوحيد ـ توحيد الخالق المبدع الذى خلق فسوى.

الخالق المبدع الذى له ملك السموات والأرض التى تسبح بحمده. وإن من شىء إلا يسبح بحمده.

وتم إسلام أبى محجن الثقفى- وبهذا الإسلام- ونطقه بشهادة أن لا إله إلا الله انتقل نقلة بعيدة حيث لا يعبد إلا الله، ولا يرجو الخير من سواه. وأخذ أبو محجن يتسمع إلى الصوت الشجى والذى يردد قول الله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

---

(١) سورة آل عمران رقم ٢٦.

أبو محجن وتعاطى الخمر

فى الجاهلية الأولى كان العرب جميعاً يشربون الخمر.

يشربونها فى ظعنهم، ويشربونها فى إقامتهم. يشربونها فى الصباح ويشربونها فى المساء.

حتى صارت من العادات التى يصعب على الإنسان أن يقلع عنها.

ولقد علم اللطيف الخبير بخلقه ذلك. ولذا عندما أراد أن يحرم عليهم الخمر التى تذهب بعقولهم سلك معهم طريق التدرج فى تحريمها حتى لا يكون عليهم عبء ثقيل لا يطيقون تحمله. والله تعالى يقول:

﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(١).

من هنا كانت الخطوة الأولى فى تحريم الخمر بيان المضار التى تحدثها الخمر أكثر من المنافع قال الله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾(٢).

ثم كانت الخطوة الثانية الامتناع عن تناول الخمر فى أوقات الصلاة قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾(٣).

وبذلك اتسعت المسافات بين الشرب والترك.

فهم لا يشربونها فى الصباح مخافة أن تأتى صلاة الظهر وهم سكارى ومثله بعد صلاة الظهر حتى لا يفاجئهم العصر.

ولا بعد صلاة العصر حتى لا يأتى عليهم المغرب وعقولهم ليست معهم.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢١٩.

(٣) سورة النساء آية رقم ٤٣.

عندها بقى وقت واحد يمكن أن يتعاطوا فيه الخمر- وهو ما يكون بعد صلاة العشاء الآخرة.

ولقد كان للإرادة القوية التى كان يتمتع بها المسلمون الدور الكبير فى تحريم الخمر تحريماً قاطعاً. عندما نزل قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(١).

ولقد شرب أبو محجن الخمر فى خلافة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - وحد عليها ثم شربها.

وأقيم عليه حد الشرب مرة أخرى.

ثم فكر عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - فى نفيه إلى جزيرة فى البحر وبعث معه رجلاً فهرب منه. ولحق بسعد بن أبى وقاص- رضي الله عنه - بالقادسية.

وكان أبو محجن قد همَّ بقتل العامل الذى بعثه معه عمر. فأحس الرجل بذلك فخرج فارّاً فلحق بعمر وأخبره خبره.

فكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص بحبس أبى محجن. فحبسه.

(١) سورة المائدة آية رقم ٩١.

أبو محجن ومعركة القادسية..

كانت معركة القادسية من المعارك الضارية فى تاريخ الإسلام.

وكانت هذه المعركة على أرض الفرس.

وقد جمع لها الفرس كل ما يملكون من قوة ضاربة، وأسلحة متطورة، وخبرات أجنبية ولكن الإرادة القوية. والإيمان الجياش فى قلوب المسلمين والرغبة فى نيل الشهادة.

نعم الشهادة التى كان يطلبها المسلمون بإلحاح من ربهم بعد أن يحقق لهم النصر، جعلت كفة الميزان تميل لصالح المسلمين جند الله فى الأرض.

وكانت المعارك تدار فى الأراضى المكشوفة. وتستمر طول النهار.

فإذا أوشكت الشمس على المغيب تحاجز الفريقان لينالا قسطاً من الراحة وليجمع كل فريق قتلاه استعداداً ليوم جديد.

ولقد كان أبو محجن يتابع المعركة من داخل سجنه. ويقتله الحزن والأسى والألم ألا يكون جنديّاً من جنود الفتح.

جنديّاً يدافع عن دينه ويدعو الآخرين إليه. فأخذ يقول:

كفى حزناً أن ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً علىَّ وثاقيا
إذا قمت عنانى الحديد وغلقت
مصارع دونى قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة
وقد تركونى واحداً لا أخا لى
وقد شف جسمى أننى كل شارق
أعالج كبلاً مصمتاً قد برانيا

فلله درى يوم أترك موثقــاً

ويذهل عنى أسـرتى ورجـالهـا

حبسنا عن الحرب العوان وقد بدت

وأعـمـال غيرى يوم ذاك العواليا

فلله عـهـد لا أخـيس بعـهـده

لئن فـرجت الا أزور الحـوانيـا

فلما كان يوم قس الناطف بالقادسية، والتحم القتال: سأل أبو محجن امرأة سعد أن تحل قيده وتعطيه فرس سعد، وعاهدها أنه إن سلم عاد إلى حاله من القيد والسجن.

وإن استشهد فلا تبعة عليها فى ذلك.

فخلت المرأة سبيله وأعطته الفرس.

فالتحم أبو محجن مع المقاتلين. فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله. فنظر إليه سعد فجعل منه يتعجب ويقول:

من ذلك الفارس..؟ إنه يقاتل قتال المستميت.

إنه يقاتل ليطهر نفسه مما ارتكبه فى سالف الأيام.

يقاتل لنصرة دين الله. لعل الله تعالى يقبل توبته ويغفر له حوبته إنه يجندل صناديد الفرس، ويخترق صفوفهم. وكأنه النار المشتعلة ألقيت على الهشيم فلم تبق منه ولم تذر.

حتى أراد الله النصر بأمره، ونصر الله المؤمنين نصراً مؤزراً.

ولكن أبا محجن لم ينل الشهادة.

ثم عاد من حيث أتى ورد الأمانة التى أعطيت له، ووضع قدميه فى

القيد حتى يجعل الله من أمره يسرى.

إنها الحرب التى تطهر الرجال فى بوتقتها وتقربهم إلى ربهم.

عندها يزهدون فى الدنيا المريضة وما حوت. ويعافوا الشهوات بكل ما ألمت ويصبحوا خلقاً جديداً تربطهم بالسماء أسباب غير منظورة.

ثم ماذا؟ عاد سعد إلى أهله وذويه بعد يوم من القتال المرير.

فقالت له زوجته: كيف كان قتالكم؟

فجعل سعد يخبرها ويقول: لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق لولا أنى تركت أبا محجن فى القيود لظننت أنها بعض شمائل وطعنات أبى محجن..؟

فقالت زوجته: والله إنه لأبو محجن. لقد كان من أمره كذا وكذا.

فقال سعد: والله ما أبلى أحد من المسلمين ما أبلى أبو محجن فى هذا اليوم. والله لا أضرب رجلاً أبلى فى المسلمين ما أبلى. فدعا به وحل قيوده وقال:

«والله لا نجلدك بعدها أبداً..؟؟

قال أبو محجن.. وأنا والله لا أشربها أبداً كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم إذ يقام علىَّ الحد وأطهر منه.

فأما إذ أسقطتم الحد فوالله لا أشربها أبداً ثم قال:

رأيت الخمر طالحة وفيها

خصال تهلك الرجل الحليما

فلا والله أشربها حياتى

ولا أشفى بها أبداً سقيما

وعاد مسلماً ملتزماً ومؤمناً قانتاً، وربانياً ساجداً، وجندياً مجاهداً فى سبيل الله.

وأصبح أبو محجن: لا يفرغ من معركة حتى يدخل فى أخرى ليزيل هذا الركام المتعفن الذى يقف أمام دعوة الإسلام.

حتى إنه لم يمض على ذلك فترة وجيزة من عمر الزمن حتى دانت بالإسلام بلاد فارس وما جاورها من بلاد السند والهند.

وبلاد الشام ذات الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء وما جاورها من بلاد الترك والروم.

إنهم الرجال الذين تربوا على مائدة القرآن ونهلوا من ينابيع الإيمان ثم خرجوا إلى الدنيا ذات الأركان التى لا تحد.

«فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للبشرية كلها لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح.

هذا العدل الذى لم تعرف البشرية له نظيراً من قبل انتشر فى كل بقعة من بقاع الأرض. عندها قال الرسول ﷺ:

«كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(١).

ويعبر شاعرهم- وهو يشاهد ما فعله هؤلاء الأبطال من حضارة وتمدن بقوله:

كانوا رعاة جمال قبل نهضتم
وبعدها ملأوا الآفاق تمدينا
لو كبرت بآفاق الصين مئذنة
سمعت فى الغرب تهليل المصلينا

---

(١) الحديث رواه الترمذى فى كتاب التفسير سورة ٤٩ وفى المناقب ٧٣ وأبو داود فى كتاب الأدب ١١١ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٣٦١، ٥٢٤ (حلبى).

فتح همدان وجرجان وأذربيجان

توغل المسلمون فى بلاد الفرس بقيادة القائد العملاق نعيم بن مقرن. وشاهد هؤلاء هولاً كبيراً. وجيوشاً جرارة.

وكان أبو محجن الثقفى يطلب الشهادة من ربه فى كل معركة يخوضها، ويلقى بنفسه فى المهالك. ولكن الله تعالى- لم يرد له ذلك. فكان سيفه ورمحه يحصدان الأعداء حصداً.

ويفر من أمامه ما تبقى من تلك الفلول.

حتى دانت لهم البلاد فبعضهم دخل إلى دين الله أفواجاً طائعين مؤمنين موحدين بخالق الأرض والسماوات.

والبعض الآخر اصطلحوا على دفع الجزية..؟؟

ثم ماذا؟ آن للمسافر أن يؤوب. وللفارس أن يستريح عندها استقر أبو محجن على أرض «أذربيجان» ثم وفاه أجله- رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين.

لقاء بين ضرغام بن أبى محجن وبين معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين

التقى ضرغام بن محجن الفارس المعلم فى جيش المسلمين- على أرض الشام ومعاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين فى ذلك الوقت.

فقال معاوية يا ضرغام أبوك الذى قال:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة
تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى
أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فقال ضرغام: يا أمير المؤمنين لو شئت لقلت أحسن من هذا من شعره.

قال معاوية: وما ذاك يا ضرغام.

قال الفتى الحريص على ألا تخدش سيرة والده بعد مماته. قوله:

لا تسأل الناس عن مالى وكثرته
وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى



تذييل

المخدرات أو حرب التدمير
فى عالمنا المعاصر

المخدرات أو حرب التدمير فى عالمنا المعاصر

يتساءل المرء لماذا يطلق على المخدرات بأنها حرب التدمير..؟

ولماذا تغمر البلاد الإسلامية- بالذات- بهذا الكم الهائل المتنوع من كل أصنافها والدين يحرمها.

ومن هم وراء هذه الكميات المتلاحقة التى تأتى بثمن مرة ومن غير ثمن فى كثير من المرات..؟

وما الهدف والغاية من وراء حرب المخدرات هذه المعلنة حينا والمتخفية تحت ستار الدبلوماسية و «البروتكولات» مرات..؟

إن ما قرره مجلس الشعب المصرى فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٨٦/١/٢ يكشف القناع عن هذه الحرب.

لقد قال المجلس كما جاء فى مضبطته: إن هناك دولاً أجنبية وفى مقدمتها إسرائيل تسعى سعياً حثيثاً لنشر وترويج السموم البيضاء فى مصر. ودول الخليج. وإن هذه الظاهرة قد بدأت مع ازدياد حركة السياحة الإسرائيلية. إلى مصر فى بداية الثمانينيات(١)..

وما قاله مجلس الشعب المصرى فى جلسته.

أكده وصرح به اللواء حسنى عبد العظيم مدير الإدارة العامة لمكافحة المخدرات فى مصر لمجلة الشرق الأوسط قال:

إن إسرائيل تعتبر أحد المنافذ الرئيسية- بل والمهمة- فى السنوات الأخيرة. بعد عودة العلاقات بينها وبين مصر.

والدليل على ذلك: دخول كميات كبيرة من مسحوق «الهيروين» بطريق

(١) الأخبار المصرية ٣/ ١/ ١٩٨٦.

مباشر أو غير مباشر.

ثم قال: وذلك تمشياً مع سياستها العدوانية فى تحطيم وتشويه صورة الشباب المصرى. وإغراق الأسواق المصرية بالسموم»[1].

ونتساءل: ماذا تستفيد إسرائيل من تشويه صورة الشباب المصرى..؟

وماذا تجنى من وراء إغراق الأسواق المصرية والعربية بالمخدرات؟

هل تبغى إسرائيل الربح من وراء ذلك..؟

وهل هى فى حاجة إلى المال..؟

أم أن الحقيقة التى تريدها إسرائيل أكبر من الربح ومن المال..؟؟

ولهذا تعمل جاهدة على شن هذه الحرب فى صورة المخدرات يقول أحد المفكرين المخلصين من أبناء هذه الأمة:

«الدور الإسرائيلى فى تجارة المخدرات دور خطير وله أبعاد سياسية متعددة وأهداف عليا تتعلق بمخططات إسرائيل.

إسرائيل التى تطمع فى إقامة الدولة العالمية.

هذه الدولة يكون مركزها «أورشليم» و «القدس»..؟؟

ثم ماذا ..؟ عن طريق هذه الدولة تحكم إسرائيل العالم من خلال «مسيخهم» الدجال المنتظر.

والذى أكدت مجيئه لهم كل التنبؤات منذ عهد أرميا وأشعيا. والذى امتلأ به العهد القديم- التوراة- المحرفة.

والذى قال الله تعالى عن هذا التحريف:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2].

(١) مجلة الشرق الأوسط العدد ٦٦ فى ١٦ أكتوبر ١٩٨٧م.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٩.

وأيضاً كتابات أحبارهم فى المشناة والجمارة من التلمود الذى وضعه أيضاً أحبارهم- وهو المسيح الدجال.

الذى تحدثت عنه الأحاديث النبوية المستفيضة والموجودة فى كتاب صحيح البخارى ومسلم. وبعض كتب الصحاح الأخرى(١).

يقول الدكتور/ أحمد الرزوقى: فى ندوة المخدرات بجامعة الملك عبد العزيز بالرياض. السعودية.

«**تأكد** لدى وزارة الداخلية فى المملكة العربية السعودية أن هناك أطرافاً دولية. تعمل بشكل مكثف على غزو المملكة العربية السعودية ودول الخليج بالمخدرات. **وهدفها** الرئيسى تفتيت المجتمع العربى والإسلامى وتدميره.

وما قاله الدكتور الزروقى ردده النائب العام لجمهورية مصر العربية حيث قال:

إننا **نواجه** مخططاً دولياً يستهدف تخريب مصر اجتماعياً وأخلاقياً واقتصادياً وهذه المخدرات التى تأتى إلينا عبر الحدود والسدود **ندفع** قيمتها بالعملة الصعبة بما يصل إلى مليارات من الدولارات. وهذا **يستنزف** رصيد مصر من هذه العملات.

بالإضافة إلى أن إدمان المخدرات من شأنه أن يؤدى إلى تفسخ القوة البشرية. التى هى عصب الأمة.

ولا شك أن هذا يكون له أثر كبير فى ضعف الإنتاج..؟؟(٢)

ويؤكد هذه الحقيقة اللواء جميل اليمان مدير عام جهاز مكافحة المخدرات بالمملكة العربية السعودية بقوله:

هناك عصابات يهودية **تعمل** وتحرض وتسهل عمليات التهريب إلى دول الخليج وخاصة المملكة العربية السعودية.

---

(١) راجع المذاهب المعاصرة. د. عبد الرحمن عميرة ص٩٦ ط الهيئة العلمية للفتوى والإرشاد السعودية.

(٢) جريدة الأهرام العدد ١٣٠٦ فى ٢٩/ ١٠/ ١٩٨٥.

وقد ذكر أن السلطات فى مكافحة المخدرات بالسعودية تمكنت من ضبط ومصادرة ٢٧٦ ألف مخدرة خلال ست سنوات(١).

ونقول: يا له من خطب جسيم ٢٧٦ ألف قذيفة وقنبلة موقوتة يوجهها الأعداء إلى شبابنا. ولهذا نستطيع أن نقول ونؤكد أن ما يفعله هؤلاء الأعداء من تصدير هذه السموم إلى بلادنا ليس المقصود به التجارة الرائجة ولا البضاعة الرابحة فقط.

وليست هى أسلوباً من أساليب الربح والخسارة. ولكنها- والحق يقال- نوع من أنواع الحرب الموجهة التى يشنها هؤلاء الأعداء علينا.

إن الذين يحملون هذه المواد إلى بلادنا ليسوا إلا جواسيس ترسلهم إسرائيل لا لتدمير المنشآت الحربية.

أو كشف الأسرار التكتيكية.

ولكنهم جواسيس يدمرون أغلى شىء تملكه الدولة وتحرص عليه.

إنهم الشباب رصيد الأمة فى السلم والحرب.

رصيد الأمة فى العمل والإنتاج والتصدير.

رصيد الأمة فى شتى ميادين الحياة.

ومصداقاً لما نقول ما صرح به شيخ الصحفيين فى مصر- مصطفى أمين حيث قال: أحب أن أحذر كل أب وكل أم فى بلادنا بخطر داهم يهدد الشعب المصرى كله، وهو أشبه بقنبلة ذرية ألقيت على بلادنا.

هذه القنبلة تفتك كل يوم بالآلاف من الشباب والشابات. وتقضى عليهم أو تحولهم إلى أشباح وإلى مجرمين.

مطلوب من كل أم فى مصر، وفى كل البلاد العربية والإسلامية أن تشترك فى هذه المعركة. وأن تمنع جريمة قتل شاملة يقوم بها عملاء ماتت

(١) المصدر السابق (الأهرام) ٢٩/ ١٠/ ١٩٨٥.

ضمائرهم، ورضوا أن يكونوا الخنجر الذى يغمد فى ظهر مصر.

ومطلوب من الدولة أن تحارب الآن معركة حياة أو موت.

وأن تضرب بيد من حديد على هؤلاء المهربين الذين يكونون الطابور الخامس ضد بلادنا (١).

لقد وصف شيخ الصحفيين مروجى المخدرات بأنهم عملاء لدولة أجنبية وليسوا تجاراً يبغون الربح.

واتهمهم بأنهم الطابور الخامس أى جواسيس يعملون لصالح الأعداء ولهذا فهم يخربون ويدمرون ويفسدون فى الأرض.

ولقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ (٢).

وبهذا نصل إلى حكمة التشريع فى جعل عقوبة مروجى المخدرات الإعدام.

وقد أفتت هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية فى قرارها الصادر برقم ١٣٨ وتاريخ ٢٠/ ٦/ ١٤٠٧هـ متضمناً ما يلى:

أولاً: بالنسبة لمهرب المخدرات فإن عقوبته القتل لما يسببه تهريب المخدرات وإدخالها البلاد من فساد عظيم.

هذا الفساد لا يقتصر على المهرب نفسه بل يتجاوز ذلك إلى الأمة بأسرها ويلحق بالمهرب الشخص الذى يستورد أو يتلقى المخدرات من الخارج، ويمون بها المروجين.

وبناء عليه فقط صدر أمر خادم الحرمين الشريفين المبلغ من وزارة العدل(٣) ووزارة الداخلية برقم ٤/ ب/ ٩٦٦٦ وبتاريخ ١٠/ ٧/ ١٤٠٧هـ بالعمل بموجبه وتعميمه على المحاكم.

(١) جريدة الأخبار المصرية العدد الصادر فى شهر ٨: ١٩٨٥. (٢) سورة المائدة آية رقم ٣٣.

(٣) والدول التى تحكم بإعدام المهرب والتاجر: هى الصين وماليزيا وسنغافورة وتايلاند وأندونيسيا، ومصر العربية وسيرالانكا، وإيران، (وتحكم على المتعاطى أيضاً بالإعدام).

ويتوقع أن تدخل دول مجلس التعاون قريباً هذه القائمة.

ولا شك أن مجلس هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية عندما أصدر قراره بقتل مروجى المخدرات، نظر إليهم على أنهم من المفسدين فى الأرض، العاملين على قتل النفوس بهذه السموم.

والله سبحانه وتعالى حكم على المفسدين فى الأرض بالقتل. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ (١).

وقال عن قتل العمد:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٢).

ليس هذا فحسب، ولكن مجلس هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية نظر إلى هؤلاء المروجين على أنهم يعملون بترويجهم المسكر والمخدر على إشاعة الفحشاء فى المجتمع وهؤلاء توعدهم الله بقوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾(٣)

والذى قال فيهم رسول الله ﷺ:

«من شرب الخمر ترك الصلاة، ووقع على أمه وخالته وعمته».

وتارك الصلاة عمداً كافر. كما قال الرسول ﷺ:

«العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(٤).

---

(١) سورة المائدة آية رقم: ٣٣.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ٣٢.

(٣) سورة النور آية رقم: ١٩.

(٤) رواه الترمذى فى الإيمان ٩ والنسائى فى الصلاة وابن ماجه فى الإقامة ٧٧ وأحمد بن حنبل فى المسند ٥: ٣٤٦.

والذى يقع على أمه وذوى أقربائه. زان، والزانى عقابه الرجم فضلاً عن تقطيع الأرحام.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(١).

أما بقية الدول الأخرى التى أصدر قانونها إعدام مروجى المخدرات فهل هذا يتوافق مع شرع الله؟

إعدام مروجى المخدرات

ونقول: لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن إدمان العقل للمخدرات يؤدى إلى الجنون، أى فقدان العقل، العقل الذى أوجب فيه الرسول- ﷺ - الدية كاملة على من يتسبب فى فقده، وذلك فى كتابه إلى عمرو بن حزم- رضي الله عنه .

يقول ابن قدامة: أوجب الرسول- ﷺ - فى العقل الدية كاملة، لأنه أكبر المعانى قدساً، وبه يتميز الإنسان عن الحيوان، وبه تعرف حقائق المعلومات، ويدخل به تكليف الشرائع، وهو أيضاً شرط فى ثبوت الولايات وأداء العبادات.

وإدمان الخمر يؤدى فى النهاية إلى الاكتئاب الذى يكون من نتائجه الانتحار:

يقول الشاعر العربى يصف مدمنى الخمر:

يا ساقيى الخمر فى كؤوسكما ... أم فى كؤوسكما همٌّ وتسهيد
أصخرة أنا مالى لا تحركنى ... هذه المدام ولا تلك الأغاريد

إن كثرة الخمر أفقدت الشاعر الرغبة فى الحياة، ولم تعد - كما كان سابقاً- تسبب له النشوة التى كان يشعر بها، بل أصبحت الخمر تسبب له

(١) سورة محمد آية رقم: ٢٢.

الهم والغم والاكتئاب، حتى أصبح كالصخرة الصماء التى لا تشعر بالفرح ولا تطرب للغناء.

وهذا حال المدمن المكتئب الذى لا تُسَرِّى عنه الخمر، وتصبح الحياة فى نظره بلا طعم فيلفه اليأس، ويلقى به فى أتون الانتحار.

فإذا علمنا أن إحدى الدول أحصت عدد مدمنى المخدرات الذين أعلنوا عن أنفسهم، فتجاوزوا المليون ونصف المليون، فكم يكون عدد المدمنين الذين يتسترون على أنفسهم..؟

وكم تكون مصيبة هذه الدولة إذا لجأت هذه الأعداد الضخمة إلى الانتحار نتيجة الاكتئاب الذى تصاب به؟ وكما حدث فى الانتحار الجماعى الذى قام به شباب إحدى الدول.

إذا عرفنا ذلك أيقنا أن عقوبة الإعدام التى قررتها بعض الدول على مروجى المخدرات أقل مما يجب بكثير.

وثبت أيضاً أن المخدرات تؤدى إلى الإضرار بالنفس حتى تفضى بصاحبها إلى الموت المحقق.

وفى تقرير الصحة الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٩١م أن عدد المصابين بالإيدز نتيجة تعاطيهم المخدرات المغشوشة ببودرة الجماجم البشرية المطحونة. تجاوز العشرة ملايين فى دول أفريقيا وآسيا وأوربا.

وأن هذه المخدرات أدت إلى التوسع فى انتشار الدعارة وأن عدد الفتيات- فى إحدى الدول التى تدّعى الحضارة والمدنية- واللاتى حملن سفاحاً من سن ١٢ إلى ١٧ عن طريق مزاولة هذه المهنة لتوفير ثمن الجرعة من المخدرات- واللاتى لا يصبرن على تعاطيها- بعد أن أصبحن مدمنات تتجاوز ٢، ١ مليون فتاة- رغم انتشار استخدام وسائل منع الحمل وتدريسها فى المدارس بدءاً من المرحلة الابتدائية.

ولقد تمت ولادة ٤٩٪ منهن ولادة طبيعية ويطلق عليهن فى تلك البلاد الأمهات العذارى..

وتم إجهاض الباقى ويبلغ عددهن ٠٠٠، ٤٠٠ حالة أى ٣٨٪ من جميع حالات الحمل السفاح.

فهل إذا لجأت هذه الدول إلى فرض عقوبة الإعدام على مروجى المخدرات الذين تسببوا فى هذا الهول الكبير وهو انحطاط فئة من البشرية إلى درجة يترفع عنها الحيوان. تكون ملومة على ذلك..؟

أم نقول إن هذه العقوبة- والحق يقال- تكون أقل مما يجب..؟؟

ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للتزيد أو التهويل أن المخدرات تقضى على ثروات البلاد.

أولاً: ما تنفقه الدولة لمكافحة هذه السموم، ومنع دخولها ووصولها إلى أيدى المدمنين. ويدخل تحت هذا البند جزء كبير من ميزانية وزارة الداخلية وميزانية حرس الجمارك والموانئ الجوية والبحرية والبرية.

ثانياً: الخدمات الطبية، والمعالجات النفسية والاجتماعية التى تقدم لعلاج المدمنين، هذا إلى إجراءات برامج التوعية بجميع مستوياتها، كما قد تشارك فى هذه النفقات وزارات أخرى كالتعليم والإعلام.

ثالثاً: الإنفاق المستتر وهو نوعان:

أحدهما: ما ينفقه المدمنون ثمناً للمواد المخدرة، ويدخل فى ذلك ما يترتب على الإدمان من اختلال ارتباطهم بمواقيت العمل، وكثرة الغياب بسبب اعتلال الصحة، وتناقص إنتاجية المتعاطى.

ثانيهما: الخسائر البشرية التى يتكبدها المجتمع كجزء من المجتمع كجزء من المعاناة مع مشكلة المخدرات، والمقصود مجموع الأفراد الذين يخرجون كلياً أو جزئياً من حساب القوة العاملة.

ويأتى فى حساب الأرباح والخسائر البشرية أيضاً جميع الأفراد العاملين فى حقل التهريب والاتجار غير المشروع فى هذه السموم.

إن هذه الخسائر تقدر فى الدولة الواحدة بمئات الملايين. ومصداقاً لذلك قول الدكتور «التويجرى»:

«إن شاربى الخمر فى عاصمة عربية يتسببون فى خسارة سنوية مقدارها ٣١٩٥ مليوناً من الجنيهات، وشربت دولة محدودة السكان ٥، ٣ مليون كيلو جرام من المشروبات الكحولية عام ١٩٧١م ارتفعت عام ١٩٨١م إلى تسعة ملايين كيلو جرام، وتنفق دولة عربية على المخدرات ١٥٠٠ مليون جنيه سنويّاً. وتنفق الأمة العربية وهى فى حالتها الراهنة من التخلف ٦٤ ألف مليون دولار (٦٤ بليوناً) سنوياً على الخمور والمخدرات»(١).

كيف يتخلص المدمنون من الإدمان..؟

وإذا كان ذلك كذلك فما هو الحل..؟

هل تكفى عقوبة الإعدام مع هؤلاء العملاء الذين يقومون بدور الطابور الخامس بالنسبة لأوطانهم..؟

أم أن هذا علاج مؤقت قد يفيد مع هؤلاء الذين باعوا دينهم وضمائرهم للشيطان. وهم المروجون.

وتبقى مشكلة المدمنين فى حياتنا تؤرق كل المخلصين من أبناء هذه الأمة.

إننا نرى ويشاركنا فى هذا الرأى الكثير ممن يرجون الخير للبشرية كلها حيث يتفقون على أن الحل فى الإسلام.

الإسلام الذى يستطيع عن طريق الإيمان الذى يبثه فى النفوس أن يزيل العوامل العديدة التى تدفع بالإنسان إلى تعاطى المخدرات وغيرها من الموبقات.

(١) مجلة الخليج العدد ١٦ السنة الخامسة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م ص ٩- ٢٩.

والإسلام يوجه الطاقات إلى غاية سامية، فلا يجد الشباب هذا الفراغ الذى يلقى إلى التهلكة.

إن الروح الإسلامية التى حررت الجزيرة العربية من إدمان الخمر فى صدر الإسلام، قادرة على أن تحرر الإنسان من ربقة الكحول فى القرن العشرين عن طريق الاعتقاد الدينى العميق.

لقد قال الكاتب الأمريكى الأسود «جيمس بالدون» وهو يخاطب رفقاءه السود:

«عودوا إلى دينكم الحقيقى، انزعوا عنكم أغلال المخدرات، واحموا نساءكم من الزنا».

ثم ماذا ..؟ لقد استطاع الإسلام أن يفعل مع هؤلاء السود فى أمريكا ما لم تستطع أن تفعله أجيال من موظفى الضمان الاجتماعى، ومئات القرارات والدراسات واللجان التى كُلفت بإصلاح أحوال السود.

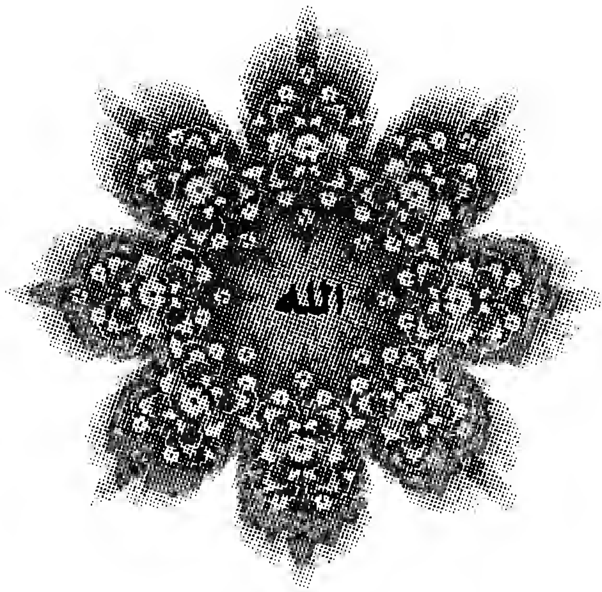
واستطاع الإسلام فى وقت قصير جداً أن يحول هؤلاء البائسين مدمنى الخمور والأفيون والهيروين، ممن فشل فى علاجهم الأطباء النفسيون والمصلحون الاجتماعيون، ونفضوا أيديهم عنهم معلنين أنهم لا علاج لهم إلا الطهارة والنقاء، عندها توقفوا فجأة عن الشرب وعن الإدمان.

يقول المؤرخ العالمى «أرنولد توينبى» فى كتابه «محاكمة الحضارة»:

«إن الروح الإسلامية تستطيع أن تحرر الإنسان من ربقة المخدرات عن طريق الاعتقاد الدينى العميق».

فهل يمكن أن تعود لنا الروح الإسلامية..؟

نرجو أن يتحقق ذلك.. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء.


الله

أبو موسى الأشعرى - عبد الله بن قيس

رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

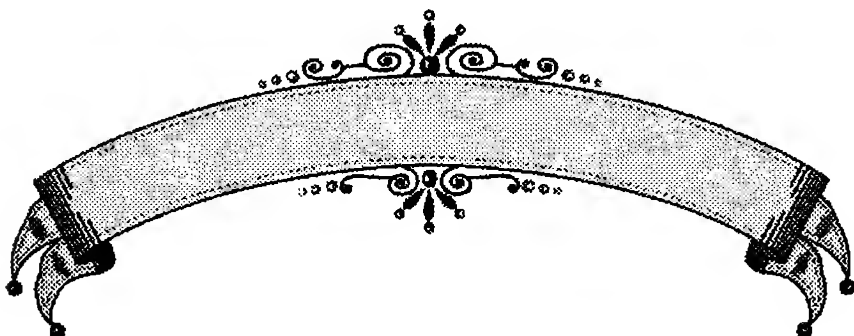
(المائدة: ٥٤)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال الإمام القرطبى فى تفسيره نزلت فى الأشعريين. ففى الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر فكان لهم بلاء فى الإسلام فى زمن الرسول- ﷺ- ج٦ ص ٢٢٠ وروى الحاكم أبو عبد الله فى المستدرك بإسناده أن النبى ﷺ أشار إلى أبى موسى لما نزلت الآية فقال: هم قوم هذا.

قال القشيرى فاتبع أبا الحسن قومه.

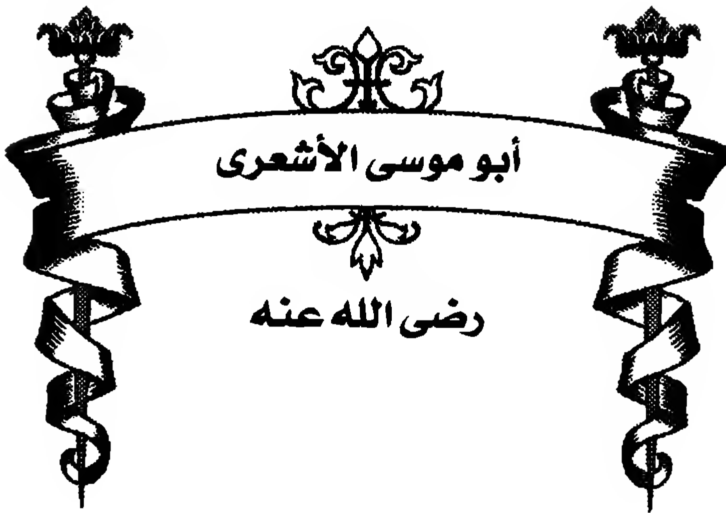
فمن هو أبو الحسن رضي الله عنه...؟

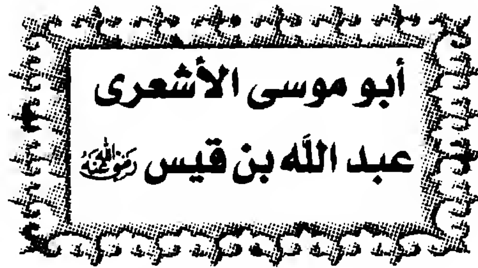


قال الرسول ﷺ : «هم قوم هذا وأشار إلى أبى موسى الأشعرى.

قال الرسول ﷺ : «إن عبد الله بن قيس أو الأشعرى: أعطى مزماراً من مزامير آل داود.

رواه البخارى فى فضائل القرآن ٣١


أبو موسى الأشعرى
رضى الله عنه



حياته ونشأته

من السابقين إلى الإسلام بدينهم إلى الله.

ومن الأشعريين الذين وصفهم الرسول ﷺ بأنهم أرق أفئدة، وألين قلوباً[1].

وفارس تخشاه الفوارس، وتفر من أمامه الأبطال.

قال عنه رسول الله ﷺ: «سيد الفوارس أبو موسى الأشعرى»[2].

هاجر إلى أرض الحبشة فى بضعة وخمسين رجلاً من قومه، فادخلوهم إلى النجاشى وعنده أبو جعفر بن أبى طالب- وهو يقول له: ما هذا الدين الذى فارقتم قومكم فى دينهم ولم تدخلوا فى دينى..؟

فقال جعفر- رضي الله عنه:

«أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم

(١) رواه البخارى فى المغازى ٧٤ ومسلم فى الإيمان ٨٢، ٨٤، ٨٩ والترمذى فى المناقب ٧١ والدارمى فى المقدمة ١٤ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٢٣٥، ٢٥٢: ٢٥٨ حلبى.

(٢) ذكره صاحب الطبقات ٤: ١٠٧.

والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك».

قال النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شىء...؟

قال جعفر: نعم.

قال النجاشى: فاقرأه علىَّ.

فقرأ جعفر صدراً من سورة مريم عليها السلام. فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فأنتم آمنون فى أرضى من سبكم غرم[1].

وعاش المهاجرون فى أرض الحبشة فى أكرم جوار، ثم هاجروا إلى المدينة عندما استقر المسلمون فيها وكان ذلك حين افتتح الرسول ﷺ حصن خيبر.

وقسم لهم الرسول ﷺ من فىء خيبر بعد أن أجلى رسول الله اليهود منها وأورثهم أرضهم وأموالهم وقال عليه السلام لهم: لكم الهجرة مرتين:

هاجرتم إلى النجاشى، وهاجرتم إلىَّ.

وكان أبو موسى وأهله يصلون صلاة الليل ويمكثون فيها كثيراً يدعون ويستغفرون.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٢٧١ وسيرة ابن هشام ١: ٣٦٠ والروض الأنف ٣: ٢٧٤.

فعلم الرسول ﷺ بصلاتهم. فجاء المسجد وقد انفلتوا من صلاتهم فقال لهم:

«ابشروا أن من نعمة الله عليكم أنه ليس من الناس أحد يصلى هذه الساعة غيركم، أو قال: «ما صلى هذه الصلاة أحد غيركم»

يقول أبو موسى: فرجعنا فرحين بما سمعنا من رسول الله ﷺ

ونقول حدث هذا فى صدر الإسلام.

أما بعد ذلك فقد تكاثر المتهجدون فى صلاة الليل حتى قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(1).

وقال أيضاً عن رسوله وجماعة المسلمين:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾(2).

إن قيامك وصلاتك أنت وطائفة من الذين آمنوا معك قبلت فى ميزان الله إن ربك يعلم أنك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع، وتركت دفء الفراش فى الليلة القارصة، ولم تسمع نداء المضاجع المغرى واستجابت لنداء الله، إن ربك يعطف عليك يا محمد ويريد أن يخفف عنك وعن أصحابك، والله يقدر الليل والنهار، فيطيل من هذا ويقصر من ذلك فيطول الليل ويقصر وأنت ومن معك ماضون فى القيام وفى التهجد، وهو لا يريد أن يعنتكم ولا أن يشق عليكم وإنما يريد لكم الزاد وقد تزودتم فحافظوا على أنفسكم.

(1) سورة السجدة آية رقم ١٦.

(2) سورة المزمل آية رقم ٢٠.

ويجلس الرسول ﷺ فى مسجده ويتحلق المسلمون حوله ويقترب أبو موسى الأشعرى منه وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[1].

يا رسول الله ما الترتيل..؟

قال ﷺ: «هو التنضيد والتنسيق وحسن النظام، ويؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف فى أول درجة الجنة ويقال له: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها.

قال أبو موسى يا رسول الله أحسِّن صوتى بالقرآن..؟

قال ﷺ:

«يا أبا موسى: الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»[2].

فكان أبو موسى- رضي الله عنه - يقرأ القرآن بصوت جميل وترتيل حسن وأن النبى ﷺ وعائشة مرا بأبى موسى وهو يقرأ فى بيته فقاما يستمعان لقراءته ثم إنهما مضيا.

فلما أصبح لقى أبو موسى رسول الله ﷺ. فقال: يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود[3]، قال كيف يا رسول الله..؟

قال: استمعت لك البارحة وأنت ترتل القرآن.

قال أبو موسى: لو علمت يا رسول الله لحبرته لك تحبيراً.

لقد عاش أبو موسى الأشعرى مع الرسول ﷺ وكان يتبعه فى حله وترحاله، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

(١) سورة المزمل آية رقم ٤.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتابه صلاة المسافرين ٢٢٣- ٢٢٤ بسنده عن أبى هريرة ورواه البخارى فى التوحيد ٥٢.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب صلاة المسافرين ٢٣٥ بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ وذكره.

مقتل أبى عامر الأشعرى
وإجهاز أبى موسى على قاتليه

لقد كانت غزوة حنين والغزوات التى جمعت فرسان ثقيف وأبطالها ولكن الله سبحانه وتعالى أعز جنده ونصر عبده وهزمت هوازن وثقيف شر هزيمة.

ولقد التقى أبو عامر الأشعرى وابن عمه أبو موسى الأشعرى فى يوم أَوْطاس بعشرة من المشركين. فقال أبو عامر يا أبا موسى كن ردءاً لى من خلفى واحذر أن أوتى من قبلك ثم تقدم أبو عامر فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: «اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر».

ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة، وبقى العاشر. فحمل على أبى عامر، وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه.

فقال الرجل: اللهم لا تشهد علىَّ.

فكفَّ عنه أبو عامر. فأفلت، ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه، فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شريد أبى عامر»..؟؟

ثم اشتبك أبو عامر مع أخوين مشركين هما العلاء وأوفى ابنا الحارث وانشغل أبو موسى بجمع أسلاب القتلى فقتلا أبا عمر.

وما كاد أبو موسى يرى ابن عمه قتيلاً حتى نزل عليهما بسيفه فقتلهما.

فقال رجل من بنى جُشم بن معاوية يرثيهما:

إن الرزية قتل العلاء

وأوفى جميعاً ولم يسند(1)

(1) أى لم يدركا وبهما رمق فيسندا إلى ما يمسكهما.

هما القاتلان أبا عامر

وقد كان ذا هبة[1] أريداً[2]

هما تركاه لدى معرك

كأن على عطفه مجسدا[3]

فلم تر فى الناس مثليهما

أقلَّ عثاراً وأرمى يدا

إن الإنسان ليعجب من هؤلاء الناس الذين كانوا يلقون بأنفسهم إلى التهلكة، ونتساءل فى حيرة. لماذا كانوا يفعلون ذلك؟

أمن أجل الأصنام التى لا تسمع ولا تبصر..؟

أمن أجل الأوثان التى لا تنفع ولا تضر..؟

إن هذه الأصنام والأوثان لا تقدم ولا تؤخر، ولا تملك من أمرها شيئاً. لقوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[4].

لماذا لم يستعمل هؤلاء الناس عقولهم..؟ لماذا لم يتفكروا فى خلق السماوات والأرض، حتى يهتدوا إلى خالق الكون، وموجد الحياة والموت..؟

ولكنهم لم يفعلوا وبقوا فى جهلهم وغيهم. من هنا كانت سيوف الإيمان تحصدهم حصداً، وتطهر الأرض من كفرهم وضلالهم فى الدنيا، وكان عقاب الله ينتظرهم فى الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[5].

(١) وذا هبة: يعنى سيفاً صارماً قاطعاً بتاراً. (٢) الأريد: السيف المطعم بالجواهر وهو مصقول.

(٣) المعرك: مكان الحرب، والمجسد: الثوب الملطخ بالزعفران.

(٤) سورة مريم الآيات ٩٣- ٩٥. (٥) سورة الأعراف آية ١٧٩.

أبو موسى الأشعرى والياً على البصرة

هل شارك أبو موسى فى حروب الردة، هل رافق خالد بن الوليد فى معركة اليمامة..؟ هل شاهد طلحة الأسدى الذى ادعى النبوة وهو يفر من المعركة فرار الأجرب. ويتجه إلى أرض الشام عله يجد حجراً يختبئ فيه من جند الله كما يختبئ الثعلب من عيون الصيادين.

هل رافق المثنى بن حارثة، وهو يدوى بكلمة التوحيد، على أرض فارس..؟

هل شارك سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية وشاهد مقتل رستم قائد الفرس وهو يسقط صريعاً فى أرض المعركة..؟

إن ذاكرة التاريخ الواعية، لا تذكر له خبراً فى تلك الحوادث العملاقة، والتى كان لها أكبر الأثر فى نشر الإسلام وإعلاء كلمة: الله أكبر.

ولكنه يظهر والياً على البصرة بعد رجوعه من أرض الشام فى خلافة عمر بن الخطاب- ولقد كان كارهاً فى الولاية راغباً عنها حتى أخبره عمر رضي الله عنه أن بها جهاداً، وأن بها رباطاً. فى سبيل الله. عندها قبل ولاية البصرة.

ولقد كان أبو موسى الأشعرى صادقاً مع ربه، صادقاً مع نفسه صادقاً مع رعيته حريصاً على الوفاء بوعده.

يقول أنس بن مالك- رضي الله عنه- طلب منى أبو موسى الأشعرى وهو والٍ على البصرة أن أجهِّزه حتى جاء ذلك اليوم الذى حدده، وقد بقى من جهازه شىء لم أفرغ منه.

فقال: «يا أنس إنى خارج ومرتحل»..؟

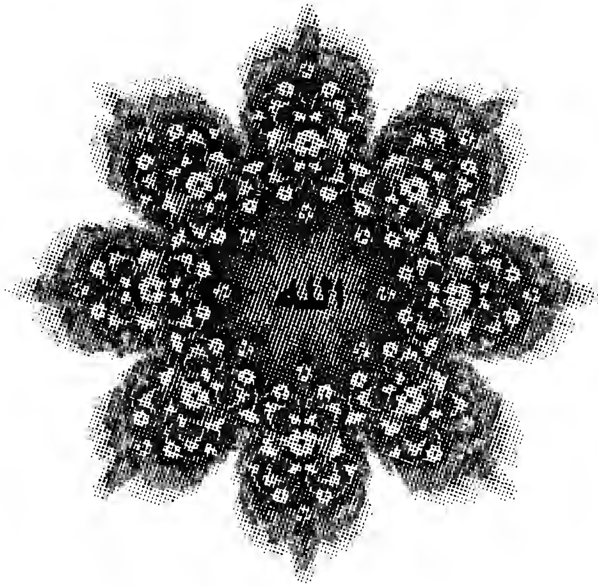
فقلت: لو أقمت أفرغ من بقية جهازك..؟

فقال: يا أنس إنى قلت لأهلى إنى مرتحل يوم كذا وكذا وإنى إن كذبت على أهلى كذبونى، وإن خنتهم خانونى، وإن أخلفتهم أخلفونى.

فخرج- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وقد بقى من حوائجه بعض شىء لم يفرغ منه.

إن صدق الكلمة والوفاء بالوعد من صفات المؤمنين، وإن المراوغة وخلف الوعد. من صفات المنافقين.

ولقد كان هؤلاء الرجال الذين تربوا فى مدرسة النبوة من أوفى الناس وعداً، ومن أصدقهم حديثاً. حتى لقوا الله تعالى وهو عنهم راضٍ.



أبو موسى الأشعرى فى معركة صفين

قُتل الخليفة عثمان- رضي الله عنه- بأيد آثمة، وبكيد مدبر، وانقسم المسلمون إلى فرق وأحزاب، فرقة تطالب بدم عثمان والقصاص من القتلة وفرقة بايعت الإمام عليّاً- رضي الله عنه - والفرقة الثالثة اعتزلت جماعة المسلمين، واستقرت فى ديارهم. تعبد الله تعالى، وتجأر بالدعاء إلى ربها أن يخلص الأمة الإسلامية من تلك الفتنة التى فرقت جمعهم وشتتت وحدتهم وجعلت بأسهم بينهم شديداً.

حتى كانت معركة الجمل بين الإمام على، وأم المؤمنين عائشة، ومعها الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله- رضي الله عنهم أجمعين، ثم كانت معركة صفين. ولقد كان الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى معتز لاً كل هذه الحوادث لا تدخل له فيها من قريب أو بعيد.

لقد التقى جيش الإمام على وجيش معاوية رضي الله عنهما فى مكان يسمى صفين.

ولقد اختار جيش على مكاناً ثم عسكر فيه- واختار جيش معاوية مقابلاً لجيش على مكاناً آخر.

ثم اختار الإمام على وفداً من جيشه بقيادة بشير بن عمر الأنصارى وقال لهم: إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة، واسمعوا ما يقول لكم فلما دخلوا على معاوية قال بشير بن عمرو:

«يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، والله محاسبك بعملك، ومجازيك بما قدمت يداك.

وإنى أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة، وألا تسفك دماءها بينها.

فقال معاوية: هلا أوصيت بذلك صاحبكم..؟

فقال له: إن صاحبى أحق هذه البرية بالأمر فى فضله ودينه وسابقته وقرابته، وإنه يدعوك إلى مبايعته فإنه أسلم لك فى دنياك، وخير لك فى آخرتك.

فقال معاوية: ويطل دم عثمان...؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً وعاد الوفد دون أن يحرز تقدماً فى جمع شمل الأمة الإسلامية وبعد عدة شهور والجيشان مرابطان على أرض صفين وفى شهر المحرم أرسل على وفداً آخر إلى معاوية بقيادة عدى بن حاتم.

فلما دخلوا على معاوية: قال عدى بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد : يا معاوية فإنا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمرنا ونحقن به الدماء، ويأمن به السبل، ويصلح ذات البين، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة، وأحسنها فى الإسلام أثراً وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذى رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك من شيعتك فإنه يا معاوية، لا يصبك الله ومن معك مثل يوم الجمل.

فقال له معاوية:

كأنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مصلحاً هيهات والله يا عدى، كلا والله إنى لابن حرب لا يقعقع لى بالشنان، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان، وإنك لمن قتلته، وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتلك الله به.

ثم تكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإنكم دعوتمونى إلى الجماعة والطاعة، فأما الجماعة فمعنا هى، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان، وهو يزعم أنه لم يقتله؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به، ولكنه آوى قتلته، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبث بن ربعى:

أنشدك الله يا معاوية، لو تمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان.

قال معاوية:

لو تمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان، ولكنى كنت قتلته بغلام عثمان.

فقال شبث بن ربعى:

وإله الأرض والسماء لا تعمل إلى قتل عمار حتى تندر الرءوس عن كواهلها، ويضيق فضاء الأرض، ورحبها عليك.

فقال معاوية:

لو قد كان ذلك كانت عليك أضيق.

وخرج الوفد من بين يديه وذهبوا إلى على فأخبره بما قال:

ثم توالت الرسل والوفود بين الجيشين وكل من الجيشين متمسك برأيه وبما خرج من أجله.

عندها تلاحم الجيشان فى معركة ضارية، و تساقط القتلى من الفريقين، وأوشكت الدائرة أن تدور على أهل الشام.

عندها أشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى كتاب الله وأمر جيشه برفع المصاحف فى وجوه جيش على.

واستجاب على- رضى الله تعالى عنه- إلى ذلك وقرأ على الصحابة الذين عارضوه فى رأيه كيف أدعى إلى تحكيم كتاب الله فأرفض والله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(١).

(١) سورة آل عمران آية رقم ٢٣.

أبو موسى الأشعرى وقصة التحكيم

اجتمع الحكمان أبو موسى الأشعرى، وعمرو بن العاص بدومة الجندل فى شهر رمضان وشهد معهم جماعة من رؤوس الناس، منهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة،وغاب عن الاجتماع سعد بن أبى وقاص- رضي الله عنه - الذى كان بالبادية معتزلاً- فخرج إليه ابنه عمر فقال يا أبة:

قد بلغك ما كان الناس بصفين وقد حكَّم الناس أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش،فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ واحد أصحاب الشورى، ولم تدخل فى شىء كرهته هذه الأمة، فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة.

فقال سعد: لا أفعل.

إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخفى التقى» والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً».

ثم رجع عمر بن سعد، وجاء لأبيه أخوه عامر فقال:

«يا أبة: الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا..؟

فقال سعد: يا بنى أفى الفتنة تامرنى أن أكون رأساً؟ لا والله حتى أُعطى سيفاً إن ضربت به مؤمناً نبا عنه، وإن ضربت به كافراً قتلته. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد الغنى الخفى التقى».

اجتماع الحكمين

اجتمع الحكمان وتراوضا على المصلحة للمسلمين، ونظرا فى تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا علياً ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما.

وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله عمر بن الخطاب.

فقال له عمرو: فولِّ ابنى عبدالله فإنه يقاربه فى العلم والعمل والزهد فقال له أبو موسى: إنك قد غمست ابنك فى الفتن معك، وهو مع ذلك رجل صدق.

ثم رجع عمرو عن تولية ابنه وقال: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم.

وكان ابن عمر فيه غفلة فقال له عبد الله بن الزبير:

أفطن وانتبه...؟

فقال عبد الله بن عمر: لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً، ثم قال: يا بن العاص: إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت السيوف وتشابكت الرماح فلا تردهم فى فتنة مثلها. أو أشد منها.

ثم إن عمرو بن العاص حاور أبا موسى أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه.

ثم حاوره ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة، فأبى أيضاً.

وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر بن الخطاب، فامتنع عمرو أيضاً.

ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعلياً، ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم.

ثم جاءا إلى المجمع الذى فيه الناس، وكان عمرو لا يتقدم بين يدى أبى

موسى بل يقدمه فى كل الأمور أدباً وإجلالاً.

فقال له: يا أبا موسى قم فاعلم الناس بما اتفقنا عليه.

فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه- ثم صلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها، ولا ألم لشعثها من رأى اتفقت أنا وعمرو عليه، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ونترك الأمر شورى، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه وإنى قد خلعت علياً ومعاوية.

ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا موسى قد قال ما سمعتم، وإنه قد خلع صاحبه، وإنى قد خلعته كما خلعه، وأثبت صاحبى معاوية، فإنه ولى عثمان بن عفان والمطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه(١).

عندها تفرق الناس فى كل وجه إلى بلادهم، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة.

وأما أبو موسى فاستحى من على فذهب إلى مكة.

هل خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعرى، وهل عمَّى عليه حقيقة ما يضمره حتى أوقعه فيما أوقعه فيه..؟

ولكن أليس المؤمن بمنأى عن الخداع..؟

أم أن الخداع ممكن أن ينطلى على المؤمن وغير المؤمن.

وذلك لقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقوله أيضاً: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾(٣).

(١) راجع البداية والنهاية بتصرف جـ٧ ص ٢٨٣- ٢٨٤.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٢.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٩.

إننا نرجح أن الداهية عمرو بن العاص قد خدع بحيلته أبا موسى الأشعرى والدليل على ذلك أن معاوية بعد التحكيم أراد أن يجعل أبا موسى الأشعرى يبايعه على الخلافة- وأغراه بأشياء كثيرة، ولكن أبا موسى رفض ذلك رفضاً باتّاً من ذلك.

قال أبو موسى: كتب إلىَّ معاوية سلام عليك أما بعد: «فإن عمرو بن العاص قد بايعنى على الذى قد بايعتى عليه، وأقسم بالله لئن بايعتى على ما بايعنى عليه، لأبعثن ابنيك أحدهما على البصرة والآخر على الكوفة، ولا يغلق دونك باب، ولا تقضى دونك حاجة وإنى كتبت إليك بخط يدى، فاكتب إلىَّ بخط يدك..

فكتب أبو موسى إليه قائلاً:

أما بعد: فإنك كتبت إلىَّ فى جسيم أمر أمة محمد ﷺ لا حاجة لى فيما عرضته علىَّ. .

وحدث مسروق بن الأجدع قال: كنت مع أبى موسى أيام الحكمين وفسطاطى إلى جانب فسطاطه، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من الليل فلما أصبح أبو موسى رفع رفرف فسطاطه فقال:

«يا مسروق بن الأجدع.'

قال: إن الإمرة ما اؤتمر فيها، وإن الملك ما غلب عليه بالسيف. نعم إن الملك فى حاجة إلى مجموعة من المردة والشياطين ليرعبوا الضعفاء ويخدعوا الأقوياء.

والملك فى حاجة إلى قوة لا تقهر، ومال لا ينفد، ورجال لا يعرفون غير السمع والطاعة.

وهذا ما كان ينقص جيش على- رضي الله عنه - وزخر به جيش معاوية رحم الله الجميع وحسابهم على الله.

أبـو مـوسـى
والدعوة إلى العلم..

روى أن رسـول الله ﷺ خطب على طـوائف من المسلمين خـيـراً ثم قـال: «مـا بال أقوام لا يفقـهـون جيرانهـم ولا يعلمـونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمـرونهم ولا ينهونهم..؟

والله ليـعلمن قوم جـيـرانهـم، ويفقـهـونهم، ويعظونهم، وليـتعلمن قـوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون، أو لأعاجلنهم بالعقوبة..».

ثم نزل رسول الله ﷺ.

فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء...؟

قالوا: الأشعريين قبيلة أبى موسى الأشعرى- رضي الله عنه.

فأتوا رسول الله - ﷺ- فقالوا: يا رسول الله ذكرت قوماً بخير، وذكرتنا بشر فما بالنا..؟

فأعاد عليهم ما ذكره فى خطبته، ليعلمن قوم جيرانهم، أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا..؟

فقالوا: يا رسول الله أنفطن غيرنا..؟

فأعاد عليهم ما قاله.

فقالوا:

يا رسول الله أمهلنا سنة، فأمهلهم وقرأ عليهم قول الله تعالى:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(١).

فالرسول ﷺ دعا الأشعريين- وهم كانوا أهل علم- أن يعلموا جيرانهم ويفقهونهم فى دينهم- وأعلن عليه السلام:

الحرب على الذين يقصرون فى طلب العلم، وأعطى مهلة عام واحدة للقضاء على الجهالة والجهل ولا عجب فى ذلك لأن أول ما نزل من القرآن كان دعوة إلى العلم. قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٢).

ولقد اتسم الإسلام منذ نزول الآيات هذه بالطابع العلمى، ودعا المسلم أن يطلب من ربه أن يزيده علماً بقوله:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾(٣).

يقول أبو موسى الأشعرى:

وهذه إحدى سمات المسلم، ومن استوى يوماه فهو مغبون، ومن لم يكن إلى زيادة فهو حتماً إلى نقصان.

وإن مداد العلماء المتقين ليوزن فى ميزان الخير والحسنات يوم القيامة بدم الشهداء.

فيرجح مداد العلماء.

(١) سورة المائدة الآيتان رقم ٧٨- ٧٩.

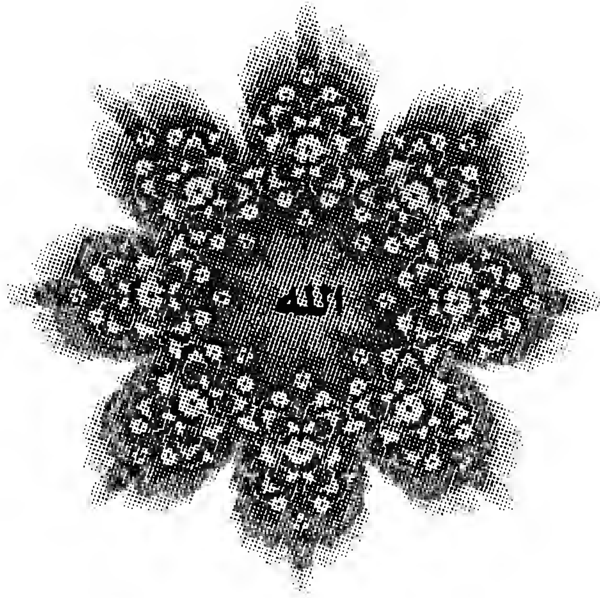
(٢) سورة العلق الآيات ١- ٥.

(٣) سورة طه آية رقم ١١٤.

والعلم فى مجال الإسلام لا يقتصر على الجانب المادى فقط، لأن النظرة الإسلامية إلى العلم، هى أوسع بكثير، وأعمق من النظرة الحديثة التى تقصر العلم على الجانب المادى.

فهو يشمل الحياة الدنيا بكل ما فيها من جوانب رحاب، من تعمير، وتشييد واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن وكنوز.

وهو يشمل أيضاً الحياة الأخرى وما تتطلبه من صدق وإخلاص، وعبادة الله تعالى وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه.





تذييل

العلم فى منهج الإسلام

العلم فى منهج الإسلام

إذا كانت المدارس الفكرية القديمة عرَّفت الإنسان بأنه حيوان ناطق فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

فنبه على أن قيمة الإنسان الحقيقية إنما تكون وتتحقق ببلوغه مرحلة من مراحل العلم، وتقدمه فى مضمار الثقافة.

والعلم فى الإسلام دعامة من دعائمه، وركن من أركانه، ولقد مدح الله القلم الذى يسطر العلماء به أفكارهم، حين أقسم به تعالى فى قوله: ﴿نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(٢).

ومدح العلماء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٣).

ورفع الله قيمة العلماء بقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٤).

وكثيراً ما كان صلوات الله وسلامه عليه يحض أصحابه رضوان الله عليهم على تعلم اللغات الأجنبية، ليضيفوا إلى معارفهم ثقافة غيرهم من

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٩.

(٢) سورة القلم آية رقم ١.

(٣) سورة فاطر آية رقم ٢٨.

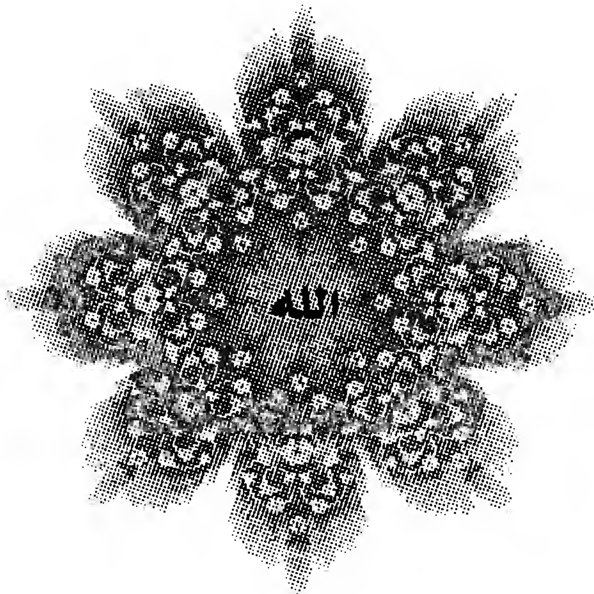
(٤) سورة المجادلة آية رقم ١١.

الأمم، بل إنه حدد عاماً واحداً لمحو الأمية.

والعلم فى مجال الإسلام لا يقتصر على الجانب المادى فقط، لأن النظرة الإسلامية إلى العلم، هى أوسع بكثير، وأعمق من النظرة الحديثة التى تقصر العلم على الجانب المادى.

فهو يشمل الحياة الدنيا بكل ما فيها من جوانب رحاب، من تعمير، وتشييد واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن وكنوز.

وهو يشمل أيضاً الحياة الأخرى وما تتطلبه من صدق وإخلاص، وعبادة لله تعالى، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه.



منهج الإسلام
فى الدعوة إلى العلم

سلك القرآن الكريم فى إرشادنا إلى العلم مسلكاً علميّاً وافياً يختلف كل الاختلاف عن المناهج الأخرى الجدلية والظنية التى تختلف بها العقول، وتتعارض فيها الأفهام.

ويقوم منهج الإسلام على دعامتين قويتين:

١- **أولاهما**: أن نستفيد من تجارب غيرنا سابقين لنا أم معاصرين وعبر عنها بالسماع قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(١).

٢- **وثانيهما**: استعمال العقل والتجارب فى طلب الحقيقة لنهتدى إلى ما لم يهتد إليه غيرنا، وعبر عنها بالعقل قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٢).

ولم يكتف القرآن بذلك بل وضع ضوابط، لعل الشاردين عن الجادة المتجهين إلى موائد الشرق والغرب يعودون إلى رشدهم ويعودون إلى كتاب الله تعالى، ينهلون من معينه ويغترفون من هداه. من ذلك:

١- ألا يكتم عالم ما اهتدى إليه من معارف وعلوم، فإن هذه المعارف ليست ملكاً خالصاً له، وإنما هى هداية من الله وبتوفيق منه، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

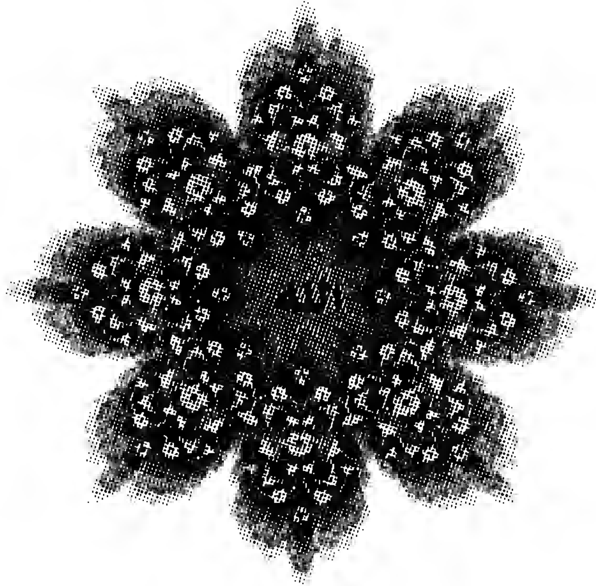
(١) سورة ق آية رقم ٣٧.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢٢.

الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١)

٢- أمانة العلم ينبغي أن تكون في المحل الأول من الاعتبار بحيث ينقل العالم معلوماته واضحة دقيقة لا لبس فيها ولا تحريف، ولا زيادة ولا نقصان قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

وقال أيضاً: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣)



(١) سورة البقرة آية رقم ١٥٩.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٥.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٢.

عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾.

(المنافقون: ٨)

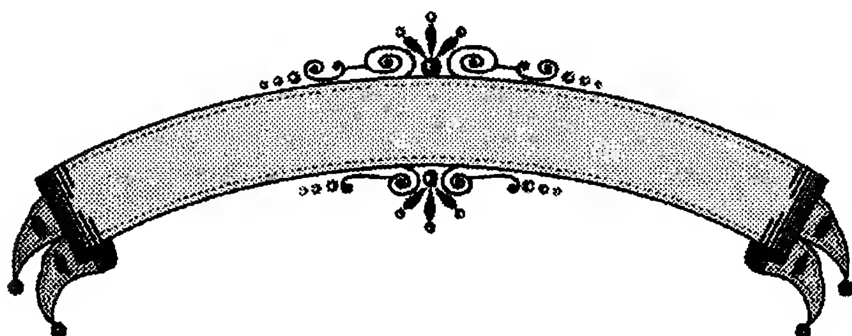
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

هذه الآية نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول زعيم المنافقين.

فقال عبد الله بن عبد الله- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يا رسول الله أنت العزيز وهو الذليل.

ثم وقف عبد الله على باب المدينة ومنع أباه من الدخول وشهر فى وجهه السيف حتى أذن له رسول الله ﷺ

فمن هو عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول..؟



قال عبد الله بن أبى ابن سلول: لإن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال عبد الله بن عبد الله بن أبى: يا رسول الله أنت العزيز وهو الذليل، والله لئن أذنت لى فى قتله لقتلته..؟؟

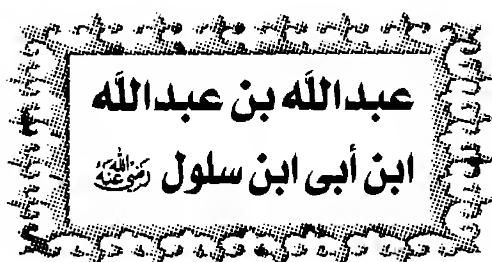
فقال عليه السلام: لا يتحدث الناس ويقولون محمداً يقتل أصحابه، ولكن برَّ أباك، وأحسن صحبته..»

الاستيعاب٣: ٦٤١



عبدالله بن عبدالله بن أبى ابن سلول

حياته ونشأته



حياته ونشأته:

من قبيلة الخزرج التى كان لها دوى فى الجاهلية وتاريخ الإسلام.

ومن الصحابة الذين تعمق الإيمان فى قلوبهم فصنع منهم سادة وقادة.

ومن هؤلاء الرجال الذين ضحوا بأموالهم وأرواحهم فى سبيل نصرة الإسلام والمسلمين.

ومن المحاربين الذين خاضوا المعارك التى خاضها الإسلام رغبة فى أن يستقر فى كل قلب، وتكون مبادئه، هى دستور الحياة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ونشأ فى بيت عز ومجد، وتعلم ركوب الخيل، واستعمال السيف ورمى الرمح وإصابة الهدف وهو فى أول فجر الشباب.

والده: عبد الله بن أبى ابن سلول: زعيم الخزرج فى الجاهلية، وكانت له ثروة كبيرة جمعها من عدة طرق، منها عروض التجارة، وقرضه لأصحاب الحاجات بالربا، ودفع الجوارى إلى مزاولة البغاء طلباً للكسب.

ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾(١).

وقبل هجرة الرسول ﷺ كان أهل المدينة وأصحاب المكانة فيها يجمعون له الخرز ليصنعوا له تاجاً ليتوجوه ملكاً عليهم. فلما جاء الرسول ﷺ انفض

(١) سورة النور آية رقم ٣٣.

الناس من حوله، والتفوا حول الرسول ﷺ وتبعهم فى ذلك أقرب الناس إليه وأسرته وأهل بيته ولم يجد عبد الله بن أبى من حيلة، فأظهر إسلامه، وأبطن كفره، وهو الذى أشاع حادث الإفك ومعه مجموعة من المنافقين وكان الهدف من ذلك:

١- الطعن فى عرض النبى ﷺ وأبى بكر الصديق- رضي الله عنه

٢- أن يضع من المكانة الخلقية للحركة الإسلامية.

٣- أن يشعل فى داخل المجتمع الإسلامى جذوة من نار الفتنة بين الحيين الأوس والخزرج، وبذلك ينفس عن حقده وغيظه الذى يملأ قلبه من جراء الرجل الذى سلبه ما كان يطمع فيه من ملك وتتويج.

عبد الله بن عبد الله يقف فى وجه أبيه ويمنعه من دخول المدينة

غزا رسول الله ﷺ بنى المصطلق فنزل على ماء من مياههم يقال له «المريسيع» فوردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - أجير له من غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه- فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بن عون بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين.

فغضب عبد الله بن أبى ابن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال: أوقد فعلوها..؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما أعدنا وجلاًليب قريش إلا كما قال الأول:

«سمن كلبك يأكلك».

أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ثم أقبل على من حضر من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم.. أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم.. أما والله لو أمسكتم عنهم ما

بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول اللهﷺ وذلك عند فراغ رسول اللهﷺ من عدوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب. فقال: «مر به عباد بن بشر فليقتله».

فقال رسول اللهﷺ فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه..؟ لا.

ولكن أذن بالرحيل، وذلك فى ساعة لم يكن الرسولﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس، وقد مشى عبد الله بن أبى ابن سلول إلى رسول اللهﷺ حين بلغه أن زيداً بن أرقم قد بلغه ما سمع، فحلف بالله: ما قلت ولا تكلمت به، وكان فى قومه شريفاً عظيماً. فقال: من حضر مجلس رسول اللهﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، وينزل قول الله تعالى فاصلاً فى هذه القضية: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول اللهﷺ وسار لقيه أُسَيّد بن حُضَيّر فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبى الله، والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها.

فقال له رسول اللهﷺ أو ما بلغك ما قال صاحبكم..؟

قال: وأى صاحب يا رسول الله..؟

قال: عبد الله بن أبى.

قال: وما قال..؟

قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأزل.

قال: فأنت يا رسول الله.. والله لتخرجنه منها إن شئت هو والله الذليل

(١) سورة المنافقون الآيات من ٧- ٨.

وأنت العزيز.

ثم قـال: يا رسـول الله أرفق به، فـوالله لقـد جـاء الله بك وإن قـومـه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكاً».

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه، فأتى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبى فيما بلغك عنه، فإذا كنت لابد فاعلاً فمرنى به، فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى، وإنى أخشى أن تأمر غيرى فيقتله، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى..؟ يمشى فى الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ «بل نرفق به، ونحسن صحبته ما بقى معنا».

وجعل بعد ذلك إذا أحدث حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه.

وقفل الناس راجعين إلى المدينة وكل منهم فى حلقه غصة مما قال عبدالله بن أبى ابن سلول..؟؟

ثم يفاجأ المسلمون بعبد الله بن أبى يقف على باب المدينة وقد استل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه قال له ابنه وراءك.

فقال الأب: مالك ويلك..؟

فقال الابن: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل.

فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير خلف الجيش فشكا إليه عبد الله بن أبى ما صنع ابنه.

فقال ابنه: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له.

فأذن له رسول الله ﷺ.

فقال الابن: أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن.

الرسول- يكفن والد عبد الله بقميصه ويصلى عليه عند وفاته..

مات عبد الله بن أبى: عندما جاءه أجله: ولكل أجل كتاب، ولا شك أن الابن امتلأ قلبه حزناً لفراق أبيه- بالرغم من عدم رضاه عما كان يصدر منه من أعمال. وهذا ما فعله عبد الله بن عبد الله تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(١).

وانطلق عبد الله إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أعطنى قميصك أكفنه فيه- وصل عليه- واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال عليه السلام: إذا فرغتم من تجهيزه فآذنونى.

فلما أراد أن يصلىَ عليه- جذبه عمر. وقال يا رسول الله أليس قد نهى الله أن تصلى على المنافقين..؟

فقال رسول الله ﷺ: «أنا بين خيرتين:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾(٢)

فصلى عليه:

ورضى الابن بذلك وأنزل الله عز وجل: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٣).

قال ﷺ: لو أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر لهم لزدت عليها.

---

(١) سورة لقمان آية رقم ١٥.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٨٠.

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.

استشهاد عبد اللّه
فى معركة اليمامة

لما توفى رسول الله ﷺ ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب ونجم النفاق وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، وعظم الخطب، واشتدت الحال.

وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾(١).

قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا. عندها عقد أبو بكر الصديق- رضي الله عنه - أحد عشر لواءً وسير كل لواء إلى جهة عينها له وكان عبد الله بن عبد الله بن أبى فى الجيش الذاهب إلى مسيلمة الكذاب فى اليمامة- ودارت المعركة وحمى الوطيس وتساقط القتلى من الجانبين ويقال إن عدد القتلى من الجانبين يزيد عن عشرة آلاف قتيل، وقتل من المسلمين ستمائة قتيل وفيهم من سادات الصحابة ثابت بن قيس، وزيد بن الخطاب وعبد الله بن عبد الله بن أبى، وأبو دجانة سماك بن خرشة ومنهم الطفيل ابن عمرو وغيرهم.

رحم الله شهداء اليمامة وأسكنهم فسيح جناته إنه الغفور الودود مجيب الدعوات ومفرج الكربات.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.



تذييل

الإيمان وأثره فى تقدم الشعوب

الإيمان وأثره فى تقدم الشعوب
عبد الله بن عبد الله بن أبى ومدرسة الإيمان

قامت هذه المدرسة على أسس الإيمان وإشارتها إليه: نعم الإيمان الجياش الصادق، الإيمان الذى حرر الوجدان من عبادة أحد غير الله والخضوع لأحد غير الله.

خرجت امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ.

فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ..؟

قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت:

«كل مصيبة بعدك جلل».

إنها تولول، ولم تفقد صوابها، ولم تدع بدعوى الجاهلية «لم تفعل ذلك لأنها آمنت إيماناً لا تزعزعه الجبال أن قتلاها فى الجنة عند مليك مقتدر، ووعت قول ربها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[(١)].

إن قتلاها أدوا ما كلفوا به، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه أما الرسول- فخسارة المسلمين فيه عظيمة، فلابد من بقائه حتى يبلغ رسالة ربه ويتم نور الله.

ومن هنا كانت كلمتها الصادقة: كل مصيبة بعدك جلل. أى قليل.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩.

وقدم أبو سفيان المدينة، فدخل على ابنته حبيبة- زوج الرسول ﷺ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه..

فقال: يا بنية، والله ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى..؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس..

هكذا فعلت الفتاة العربية مع أبيها، وجابهته بحقيقته. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾(١)

وما دام الإيمان لم يخامر قلبه، وكلمة التوحيد لم يجريها على لسانه فهو نجس حتى يتطهر.

وإذا كان ذلك كذلك فمحال أن يمس هذا الفراش فضلاً عن أن يجلس عليه، حتى ولو كان هو الوالد الذى له حق التربية والتوجيه.

قال عروة بن مسعود الثقفى لأصحابه: بعدما رجع من الحديبية التى يعسكر فيها جيش الإسلام بقيادة رسول الله- ﷺ:

«أى قوم والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى وقيصر، والنجاشى والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره.

وإذا توضأ كانوا يقتتلون على وَضوئه. وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.

ليس الحب فقط، وليس التعظيم والاحترام لرسول الله- ﷺ- رسول الله الذى أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٣.

رفعوا الصحابى الجليل خبيباً بن الأرت على خشبة ليقتلوه أو يصلبوه ثم نادوا عليه: أتحب أن يكون محمد مكانك..؟

قال: لا والله العظيم ما أحب أن يفدينى بشوكة يشاكها فى قدمه فتعجبوا منه وقتلوه.

وترس أبو دجانة يوم أحد على رسول الله ﷺ ويقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه. وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبى إلى رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «ألا ترى ما يقول أبوك...؟

قال: ما يقول بأبى أنت وأمى يا رسول الله..؟

قال: يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل..؟؟

فقال: لقد صدق والله يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل..؟

أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرَّ منى، ولكن إن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتيتهما به.

فقال رسول الله- ﷺ - لا. بر أباك وأحسن صحبته.

فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبى على بابها بالسيف لأبيه ثم قال:

أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل..؟؟

أما والله لتعرفن أن العزة لله ولرسول الله- ﷺ- والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله..

فقال: يا للخزرج، ابنى يمنعنى بيتى..؟؟

يا للخزرج ابنى يمنعنى بيتى؟؟

فقال: والله لا يأويه أبداً إلا بإذن منه.

فتجتمع إليه رجال فكلموه.

فقال والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله.

فأتوا النبى - ﷺ- فأخبروه.

قال: اذهبوا إليه فقولوا له خله ومسكنه، فأتوه. فقال أما إذا جاء أمر النبى- ﷺ - فنعم وعندما عرف شباب الإسلام هذا الطريق، طريق الإيمان والحب حملوا المصحف للهداية.

وحملوا السيف لإزالة الباطل.

ثم ماذا..؟ انداحوا فى أربعة أركان الأرض، ينشرون الأمن بعد الخوف، والنور بعد الظلام، والهدى بعد الضلال، فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال، وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين.

إن الإيمان وحده هو الذى فعل فيهم هذا، نقلهم من رعاة إبل جفاة غلاظ يشعلون الحرب لأوهى الأسباب إلى هداة ودعاة هداة إلى الحق، ودعاة إلى الله الواحد الأحد.

فالإيمان هو الذى أزال الصدأ عن الجوهر المكنون فى النفس العربية وجعل من سكان البادية أساتذة العالم، يختطون من شئون السياسة والتنظيم الاجتماعى ما تعمل الدول جاهدة للوصول إليه.

هؤلاء العمالقة الذين تشربوا روح الإيمان، أفرغت فيهم الحياة أفضل ما تملك من قوى حسية ومعنوية.

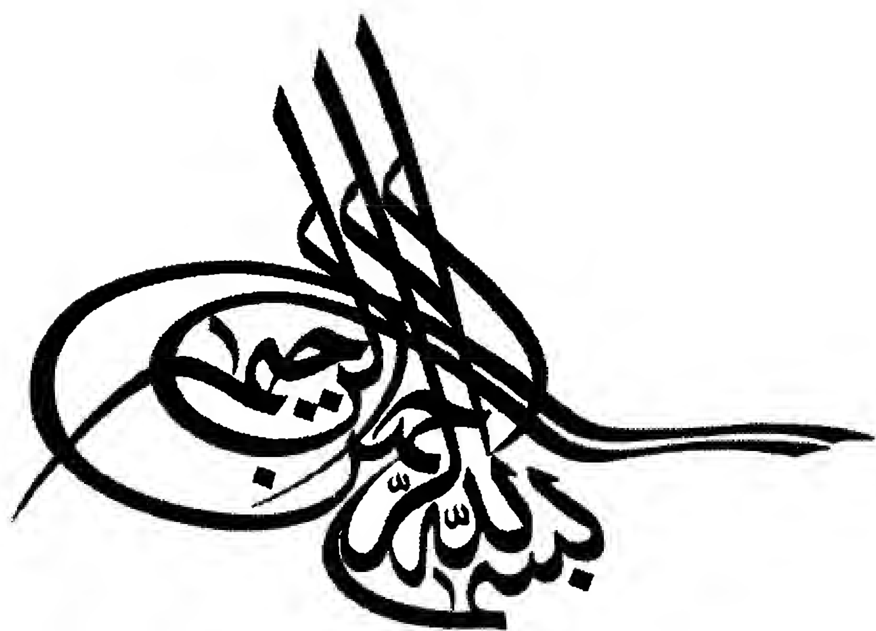
خرجوا إلى الدنيا والظلام شامل، والجهل حاكم والعقائد زيف وأباطيل فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للإنسان.

الإنسان: بغض النظر عن معتقده وجنسه ولونه. وسرى فى الكون كله قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١).

(١) سورة النحل آية رقم ٩٠.

سعيد بن العاص بن أمية

رضى الله عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(البقرة: ٢٦٢)

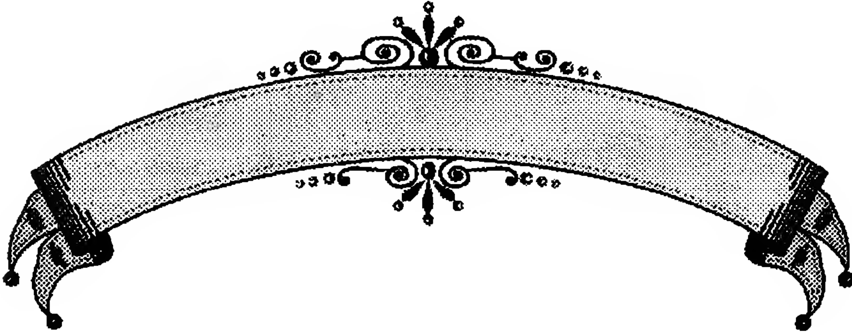
أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

قال العلماء والمفسرون نزلت هذه الآية فى سعيد بن العاص- رضي الله عنه-، وعثمان بن عفان- رضي الله عنه- وعبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه.

راجع تفسير القرطبى ٢ : ٣٠٥ وما بعدها.

وأسباب نزول القرآن للواحدى ص ٨٩.

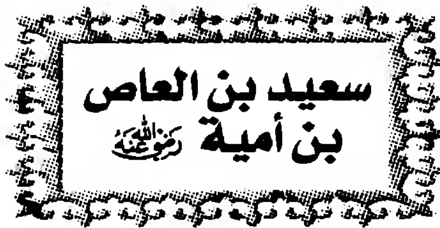
فمن هو سعيد بن العاص..؟



جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببُرّد وقالت: يا رسول الله إنى نذرت أن أعطى هذا الثوب أكرم العرب، فقال ﷺ: أعطه هذا الغلام- يعنى سعيد بن العاص فلذلك سميتّ الثياب السعيدية به، وأنشد الفرزدق قوله:

ترى الغر الجحاجح من قريش
إذا ما الخطب فى الحدثان عالا
قياماً ينظرون إلى سعيد
كأنهم يرون به هلالا


سعيد بن العاص بن أمية
رضى الله عنه



حياته ونشأته

كان أكرم العرب بشهادة الرسول ﷺ

وأميرا من الأفذاذ الذين تولوا أكثر من ولاية.

ومن هؤلاء الرجال القانتين العابدين الذين تولوا جمع القرآن الكريم ويعلمونه للناس.

وحكيم يعرف جيداً مداخل الأمور ومخارجها.

وعابد قانت، كان يصوم النهار ويقوم الليل، ولم يتخلف قط عن صلاة الجماعة فى المسجد الجامع.

والده: العاصى بن أمية كان من صناديد قريش ومن أشرافها، وممن وقفوا أمام دعوة الإسلام وقدم المال والسلاح لحرب أتباعها والوقوف أمام نشرها.

ثم قتل فى غزوة بدر كافراً.

وزوجته أم البنين بنت الحكم بن العاص نفاه الرسول ﷺ للطائف وبقى فيها إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فرده إلى المدينة.

وأخوها مروان بن الحكم كان يقال له: خيط باطل، وضرب يوم الدار على قفاه، فجرى لقبه، فلما بويع له بالإمارة قال فيه أخوه عبدالرحمن بن الحكم:

فــوالله مـــا أدرى وإنى لســـائل
حليلة مضروب القـفا كيف يصنع
لحا الله: ما أمـروا حبط باطل(١)
على الناس يعطى ما يشاء ويمنع

نشأ سعيد: فى بيت عثمان بن عفان رضي الله عنه صهر الرسول ﷺ تزوج رقية وولدت له غلاما سماه عبد الله، وماتت رقية فزوجه الرسول ﷺ أم كلثوم فماتت عنده أيضاً فقال ﷺ: لو كانت عندى ثالثة لزوجتها عثمان.

يقول الرسول ﷺ: «أصدق الناس حياء عثمان» فى هذا البيت الذى يعبق فيه أريج النبوة، ويملؤه الإيمان والحياء- نشأ سعيد بن العاص، فتعلم القرآن ووعى سنة الرسول فكان فقيهاً فى دينه، عالماً بشريعة ربه، خطيباً فصيح اللسان، قوى الحجة تخرج كلماته صادقة قوية فتستقر فى قلوب سامعيه.

استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والياً على العراق عمر الذى كان إذا أراد والياً دقق وفحص، واختبر وجرب، وكان يرهق الناس معه فى البحث عن الولاة، من ذلك أن عمر قال لأصحابه دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى...؟

قالوا: يا أمير المؤمنين فلان.

قال: لا حاجة لنا فيه.

قالوا: فمن تريد..؟

قال: أريد رجلاً إذا كان فى القوم وليس أميرهم، كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم.

ولعل سعيد- كانت تتمثل فيه هذه الصفات، وإلا لعزله عن الولاية قبل

(١) يقال: حبط عمله: أى بطل والحبط: انتفاخ فى البطن أو ورم من أثر الجروح، أو فساد عمل.

وفاته رضي الله عنه.

ثم لما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافة المسلمين جعله فيمن يكتب المصاحف، وكان سعيد أشبه الناس لحية برسول الله ﷺ.

ثم ولاه عثمان رضي الله عنه ولاية الجيش لمحاربة طبرستان وكان فى الجيش الحسن والحسين، والعبادلة الأربعة، وحذيفة بن اليمان، ومعهم جماعة من صحابة رسول الله ﷺ فسار بهم سعيد فمر على بلدان شتى يصالحونه على أموال جزيلة، حتى انتهى إلى جرجان فقاتلوه حتى احتاج جيشه أن يقيم صلاة الخوف.

وسأل سعيد حذيفة بن اليمان كيف صلى رسول الله ﷺ..؟ فأخبره فصلى الجيش كما أخبرهم حذيفة.

ولما طال أمد حصار المسلمين لحصن جرجان طلب أهلها الأمان فأعطاهم سعيد الأمان على ذلك على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، على أن يدفعوا له الجزية التى أمر بها الإسلام.

وأخذوا منهم أموالاً طائلة.

ثم نقض أهل جرجان ما كان صالحهم عليه سعيد بن العاص وامتنعوا عن دفع الجزية وهى ثلاثمائة ألف دينار، فما كان من سعيد إلا أن وجه لهم جيشاً بقيادة يزيد بن المهلب، فدمر حصونهم، وغنم أموالهم، وأجبرهم على الاستمرار فى دفع الجزية طبقاً للشروط السابقة.

سعيد بن العاص والياً على الكوفة

وصل إلى مسامع الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أن الوليد بن عقبة والى الكوفة صلى بأهلها الصبح أربعاً ثم التفت إلى المصلين وقال أزيدكم..؟

فقال عبد الله بن مسعود ﷺ مازلنا معك فى زيادة منذ اليوم..؟

ويصور الشاعر العربى هذه الحادثة على لسان الحطيئة قائلاً:

شـهـد الحطيـئـة يوم يلقى ربه

أن الولـيــد أحق بالـغــدر

نـادى وقـد تمت صـلاتهـمـو

أأزيـدكم سكـراً ومــا يـدرى

فــأبوا أبا وهـب ولـو أذنـوا

لقـــرنت بين الشـــفع والوتر

كــفـوا عنانك إذا جــريت ولو

تركـوا عنانك لم تزل تجـرى[1]

لقد أصيب المسلمون بشرخ كبير هز وجدانهم وكيانهم، وكان بداية ذلك عندما أخذ يثب على ولايات المسلمين من له قرابة أو مصاهرة، أو صاحب حظوة لدى الحاكم.

لقد رفض محمد ﷺ أن يولى عمه العباس، ولاية من الولايات ورفض أن يوليه على الصدقات، وعندما ألح عليه فى ذلك قال له:

«يا عباس أنت عمى ولا أغنى عنك من أمر الله شيئاً ولكن سل ربك العفو والعافية».

(١) راجع ترجمة وافية للوليد بن عقبة فى كتابنا (رجال أنزل الله فيهم قرآنا).

واقتدى بهدى الرسول ﷺ وسار على نهجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يسجل التاريخ عنه حادثة واحدة أنه ضعف أمام أحد أقاربه، وكذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما بال خليفة رسول الله ﷺ عثمان بن عفان يولى أخاه على الكوفة ويعزل الرجل الذى كان يقول عنه الرسول ﷺ هذا خالى فليرنى امرؤ خاله..؟

ويعزل: عمرو بن العاص عن ولاية مصر، ويولى أخاه عبد الله بن سعد بن أبى السرح الذى أمر الرسول ﷺ بقتله حتى لو وجد متعلقاً بأستار الكعبة.؟؟

وانتشرت حادثة الأمير وأصبحت حديث السمار فى مجالس الكوفة عندها أصدر الخليفة عثمان بعزله عن ولاية الكوفة، وتوليتها لسعيد بن العاص رضي الله عنه .

وأمر عثمان باستقدام الوليد إلى المدينة، وأقيم عليه فى الميدان العام حد الشرب أربعين جلدة.

وسار سعيد بن العاص فى ولايته سيرة حسنة، وأقام بين أهلها ميزان العدالة، وجيش منهم الجيوش لحرب المعاندين المناوشين للإسلام من أهل الروم والترك.

وكان أول عمل يصدر من سعيد بن العاص بعد توليه ولاية الكوفة أن أمَّر سلمان بن ربيعة على جيش لغزو البلاد المجاورة، وكتب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة(١) نائب تلك الناحية بمساعدته، فسار سلمان بجيشه حتى بلغ (بلنجر) فحاصروها ونصبت عليها المجانيق والعرادات.

وعندما علم أهل (بلنجر) بذلك خرجوا إليهم فى جيش كبير وعاونهم الترك بالرجال والعتاد واشتبك الجيشان فى معركة طاحنة، وقتل يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة- وكان يقال له ذو النور- وانهزم المسلمون وتفرقوا وكان فى

(١) عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلى، والى من الصحابة، كان يلقب ذا النور ولاه عمر بن الخطاب قضاء الجيش الذى وجهه إلى القادسية بقيادة سعد بن أبى وقاص، وعهد إليه بقسمة الغنائم.

هذا الجيش الصاحبيان الجليلان أبو هريرة، وسلمان الفارسى ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة، استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة، وأمدهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجند الشام يقودهم الصحابى الجليل حبيب بن مسلمة، وفيها فتح ابن عامر (مرو) و (الطلقان) و (القاريات) و (الجوزجان) و (طخارستان) وقد خرجت منهم خارجة فأرسل إليهم أبو عامر: الأحنف بن قيس فحاصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى هزمهم، وفروا إلى حصونهم، ثم صالحوه على مال جزيل، وعلى أن يضرب على أراضى الرعية الخراج، فصالحهم الأحنف على ذلك، وكتب لهم كتاب صلح ثم بعث الأحنف الأقرع ابن حابس إلى (الجوزجان) ففتحها بعد قتال وقع بينهم، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين ثم نصروا نصراً مؤزراً.

ثم صار الأحنف إلى (بلخ)[1] فحاصرهم حتى صالحوه على أربعمائة ألف، ثم ارتحل يريد الجهاد، وداهمه الشتاء فقال لأصحابه ما تشاءون..؟

فقالوا: قد قال عمرو بن معديكرب:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

فأمر الأحنف بالرحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ثم عاد إلى ابن عامر فقيل لابن عامر: ما فتح على أحد ما فتح عليك.

فقال: لا جرم، لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أحرم بعمرة من موقفى هذا مشمراً فأحرم بعمرة من نيسابور.

لقد فتحت الدنيا أمام المسلمين، ورزقهم الله الرزق الكثير الوفير الذى «لا يحصى ولا يعد، وصدق فيهم قول الله تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ

(١) بلخ من أجل مدن خراسان وأكثرها خيراً بناها الإسكندر وكانت تسمى الإسكندرية قديماً وهى قريبة من ترمذ.

عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(١).

لقد أدى سعيد بن العاص واجبه نحو ربه ونحو دينه وافتتح الكثير من البلدان، وجمع منها الأموال الكثيرة، التى ساعدت المسلمين للضرب فى فجاج الأرض ونشر دين الله.

ولكن أهل الكوفة لم يوافق هواهم سعيد بن العاص، كما رفضوا الكثير من الولاة قبله، وفى ذلك قال شاعرهم:

فررت من الوليد إلى سعيد
كأهل الحجر إذا جزعوا فباروا
يلينا من قريش كل عام
أمير محدث أو مستشار
لنا نار تخوفنا فنخشى
وليس لهم ولا يخشون نار

وتم عزل سعيد بن العاص من ولاية الكوفة- ثم ماذا ..؟ قتل عثمان رضي الله عنه قتلته الأيدى الآثمة ودخل المسلمون بعدها فى فتنة طاحنة الفتنة التى قال الله تعالى عنها: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾(٢).

(١) سورة الطلاق آية رقم ٢- ٣.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩١.

اعتزال سعيد وبعده عن شئون الحكم

قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاعتزل سعيد فى بيته، وقد كان كما يصفه الرواة حسن السيرة، جيد السريرة، وكان كثيراً ما يجمع أصحابه فى كل جمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف، والبر الكثير، وكان يصر النقود فى الصرر ويضعها بين أيدى المصلين من ذوى الحاجات فى المسجد وعن خالد بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال:

«جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببرد فقالت: إنى نذرت أن أعطى هذا الثوب أكرم العرب» فقال ﷺ: اعطه هذا الغلام- يعنى سعيد بن العاص- وهو واقف وأنشد الفرزدق فى ذلك قوله:

ترى الغر الجحاجح من قريش

إذا ما الخطب فى الحدثان عالا

قياماً ينظرون إلى سعيد

كأنهم يرون به هلالا

ولما استقرت الأمور لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمَّره على ولاية المدينة فسار فيها سيرة حسنة، وكان محبوباً من أهلها، قريباً إلى قلوبهم لأنه كان دائماً يتعرف على شئونهم، ويسرع فى قضاء مصالحهم، وينصف مظلومهم من ظالمهم.

قال عبد الملك بن عمير بن قبيصة: بعثنى زياد فى شغل إلى معاوية، فلما فرغت من أمورى قلت:

«يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك..؟

فسكت ساعة ثم قال:

«يكون الأمر بين جماعة: إما كريم قريش سعيد بن العاص.

وإما فتى قريش حياء ودهاء وسخاء: عبد الله بن عامر.

وإما رجل سيد كريم كالحسن بن على بن أبى طالب.

وإما القارئ لكتاب الله الفقيه فى دين الله الشديد فى حدود الله: مروان بن الحكم.

وإما رجل فقيه فيه عقل ورزانة: عبد الله بن عمر بن الخطاب.

وإما رجل فقه الشريعة مع دواهى السباع وزوغان الثعلب: عبد الله بن الزبير.

لقد حصر معاوية الخلافة من بعده فى سبعة أشخاص.

فالأول: كريم شجاع له دراية ودربة بشئون السياسة، وقواعد الحكم حيث كان والياً على الكوفة مرة وعلى المدينة مرات.

والثانى: له خبرة ودراية بالولايات فقد كان والياً على البصرة ووالياً على فارس، وكان سخيّاً كريماً، حليماً ميمون النقيبة، كثير المناقب، وكان قائداً شجاعاً افتتح أطراف فارس كلها وعامة خراسان وأصبهان وحلوان وكرمان، يقول عنه زياد الأعجم[1]:

أخ لك لا تراه الدهر إلا
على العلات بساماً جوادا
سألناه الجزيل فما تلكا
وأعطى فوق منيتنا وزادا
مراراً ما رجعت إليه إلا
تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

الرابع: كان رجلاً حازماً قويّاً صلباً فى دينه، تولى أكثر من ولاية.

(١) هو زياد بن سليمان الأعجم أبو أمامة العبدى، كانت فى لسانه عجمة فلقب بالأعجم ولد ونشأ فى أصفهان وانتقل إلى خراسان فسكنها ومات فيها.

والخامس: الفقيه القانت الحكيم العاقل الذى رفض أبوه أن يوليه ولاية، وقال يكفى آل الخطاب ما نالهم من الخلافة.

والسادس: صاحب سياسة ودهاء، وعقل وفكر، وقد تقلد الخلافة ولم يدم بها كثيراً حتى قتل شر قتلة فى بيت الله الحرام.

والسابع: بويع بالخلافة ولكنه كان فيها زاهداً وتنازل عنها لمعاوية.

روى ابن كثير فى البداية والنهاية أن سعيد بن العاص استسقى يوماً فى بعض طرق المدينة فأخرج له رجل من داره ماء فشرب، ثم بعد حين مر من هذا المكان فوجد الرجل يعرض داره للبيع، فسأله: لماذا يبيع داره..؟

فقال عليَّ دين مقداره أربعة آلاف دينار.

فبعث إلى غريمه فقال: هى لك عليَّ، ثم قال لصاحب الدار: استمتع بدارك.

إنها أريحية الإسلام، إنه التعاون على الخير، إنه التعاون على البر كما أمرهم الله تعالى بقوله:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(١).

وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة فقالت له امرأته: إن أميرنا هذا يوصف بكرم، فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشىء..؟

فقال: ويحك لا تخلقى وجهى.

فألحت عليه فى ذلك، فجاء فجلس إليه، لما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً فى مكانه.

فقال له سعيد: أظن جلوسك لحاجة...؟

فسكت الرجل.

فقال سعيد لغلمانه: انصرفوا، ثم قال له سعيد: لم يبق غيرى وغيرك.

(١) سورة المائدة آية رقم ٢.

فسكت ، فأطفأ سعيد المصباح، ثم قال:

«رحمك الله لست ترى وجهى فاذكر حاجتك».

فقال: أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك.

فقال له: إذا أصبحت فقابل وكيلى فلاناً،فلما أصبح الرجل، فقال له الوكيل: إن الأمير قد أمر لك بشىء كثير فأت بمن يحمله معك.

فقال: ما عندى من يحمله،ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها وقال: حملتينى على بذل وجهى للأمير، فقد أمر لى بشىء يحتاج إلى من يحمله.

وما أراه أمر لى إلا بدقيق أو طعام، ولو كان مالا لما احتاج إلى من يحمله، ولأعطانيه.

فقالت له المرأة: فمهما أعطاك فإنه يقوتنا فخذه.

فرجع الرجل إلى الوكيل.

فقال له الوكيل: إنى أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة الأرقاء يحملونه معك...؟؟

فذهب الرجل، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم.

فقال الرجل لهؤلاء الأرقاء:ضعوا ما معكم وانصرفوا.

فقالوا: إن الأمير قد أطلقنا لك، فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذى يحملها من جملة العطاء.

قال: فحسن حال الرجل.

إن سعيد بن العاص يعلم علم اليقين، أن هذا المال الذى هو فى حوزته: هو مال الله.

الذى يقول فى محكم كتابه:

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(١).

فالمال عارية مردودة، إلى خلق الله تعالى، ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى يضاعف لصاحبه أضعافاً مضاعفة، يقول الله تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾(٢).

وقوله أيضاً:

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣).

وروى أن سعيد خطب أم كلثوم بنت على من فاطمة التى كانت تحت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فأجابت إلى ذلك وشاورت أخويها فكرها ذلك، وفى رواية إنما كره ذلك الحسين وأجاب، فهيأت دارها ونصبت سريراً وتواعدوا للكتاب، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزوجها منه فبعث إليها بمائة ألف وفى رواية بمأتى ألف مهراً، واجتمع عنده أصحابه ليذهبوا معه.

ولكنه ترك التزويج جملة وترك جميع ذلك المال هدية لها.

وروى ابن عساكر: أن أعرابى سال سعيد بن العاص، فأمر له بخمسمائة.

فقال الأعرابى: خمسمائة درهم أو دينار...؟

فقال سعيد: إنما أمرت لك بخمسمائة درهم، وقد جاش فى نفسك أنه دنانير، فادفع إليه خمسمائة دينار.

فلما قبضها الأعرابى جلس يبكى.

فقال له سعيد مالك..؟ ألم تقبض نوالك...؟

قال: بلى والله..؟؟ ولكن أبكى على الأرض كيف تأكل مثلك.

(١) سورة الحديد آية رقم ٧.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦١. (٣) سورة البقرة آية رقم ٢٤٥.

وقال عبد الحميد بن جعفر:

«جاء رجل فى حمالة أربع ديات سأل فيها أهل المدينة، فقيل له: عليك بالحسن بن على بن أبى طالب».

أو عبد الله بن جعفر(1).

أو سعيد بن العاص بن أمية.

أو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

فانطلق الرجل إلى المسجد فإذا سعيد بن العاص داخل إليه فقال:

من هذا..؟

فقيل: سعيد بن العاص، فقصده فذكر له ما أقدمه، فتركه حتى انصرف من المسجد إلى المنزل فقال للأعرابى:

ائت بمن يحمل معك..؟

فقال: رحمك الله إنما سألتك مالاً لا تمراً.

فقال: أعرف ذلك ائت بمن يحمل معك..؟

فأعطاه أربعين ألفاً فأخذها الأعرابى وانصرف ولم يسأل غيره.

ودخلت على سعيد امرأة من العابدات- وهو أمير الكوفة- فأكرمها وأحسن إليها فقالت:

لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا زالت المنة لك فى أعناق الكرام.

وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردها عليه.

إنها دعوات صادقة خرجت من قلب مؤمن كان فى كربة ففرجه الله عليها عن طريق سعيد بن العاص، جعلها الله فى حسناته يوم القيامة.

---

(1) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى: صحابى ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبوه إليها، وهو أول من ولد فيها من المسلمين، وأتى الأمراء فى جيش على يوم صفين، ومات بالمدينة عام ٨٠هـ رحمه الله.

راجع الإصابة: ت ٤٥٨٢.. وفوات الوفيات ١: ٢٠٩.

حكم ووصايا سعيد بن العاص..

يقول الله تعالى:

﴿يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً﴾ (١).

أوتى القصد والاعتدال فلا يميل يمنة أو يسرة، أوتى الحكمة فلا يتعدى الحدود، أوتى الحكمة فهو يدرك العلل والغايات فلا يضل فى تقدير الأمور وأوتى البصيرة المستنيرة التى تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال وذلك خير كثير يهبه الله تعالى لمن يشاء من عباده.

كما قال الرسول ﷺ «من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين» ومن أوتى الحكمة: يتذكر فلا ينسى، وينتبه فلا يغفل، ويعتبر فلا يدخل الضلال والهوى.

ولقد كان الصحابى الجليل سعيد بن العاص، كذلك ملئ فقهاً وعلماً، وسخاء وجوداً.

يقول لابنه: يا بنى قدم لله المعروف ابتداء من غير مسألة، فأما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه فى وجهه، أو جاءك مخاطراً لا يدرى أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته.

ويقول سعيد رضي الله عنه: لجليسى علىَّ ثلاث:

١- إذا دنا رحبت به.

٢- وإذا جلس أوسعت له.

٣- وإذا حدث أقبلت عليه.

ويوصى ابنه قائلاً: يا بنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنىء فتهون عليه- وفى رواية- فيجترئ عليك.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٩.

لقد كان سعيد رضي الله عنه يعمر دنياه لآخرته تنفيذاً لقوله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(١).

فكان- والحق يقال- كثير الإحسان، كثير العطاء، كريم الإخلاص عميق الوفاء صاحب خلق ودين.

وفاة سعيد بن العاص..

لما حضرت سعيد الوفاة جمع بنيه وقال لهم: لا يفقدن أصحابى غير وجهى وصلوهم بما كنت أصلهم به، وأجروا عليهم ما كنت أجرى عليهم، واكفوهم مؤنة الطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه، وارتعدت فرائصه مخافة أن يُرَدَّ.

ثم ماذا ..؟؟ غاب عن الوعى، ولكن لازالت الحياة تجرى فى جميع جسده، ولما عاد له الوعى،أوصى بسداد جميع ديونه مما تركه من عقار ومال ، ثم نطق بالشهادة وفاضت روحه إلى بارئها.

رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين.

(١) سورة القصص آية رقم ٧٧.



تـذيـيـل

قضية التوحيد
والقرب من الله

قضية التوحيد والقرب من الله تعالى

أين الله...؟

هل الله غائب حتى نفتش عنه..؟

وهل هو بعيد عنا حتى نقطع الأميال سعياً إليه..؟

إن الله معنا دائماً نحسه فى داخل شعورنا يحفظنا ويرعانا.

ونحسه فى داخل كياننا قوة تدفعنا إلى العمل.

ونلمسه فى كل خلجة قلب إيماناً يملأ الصدور.

ونلمسه فى كل همسة نفس نوراً يبدد ظلام الشك، ويمتد هذا النور حتى يحيط الكون كله ويشمل العالم بأسره. قال تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾(١).

أما أننا نريد أن نعرف كنه ذاته وحقيقة صفاته..؟

إن كان ذلك كذلك فالرسول- ﷺ - يقول:

«تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا».

هذا **أولاً**.

أما **ثانياً**: فإن عقولنا المحدودة محال أن تحيط به...؟؟

لكنها يمكن أن تشير إلى آياته وإبداعه فى الكون والحياة..

(١) سورة النور آية رقم ٣٥.

والحكمة المصرية القديمة تقول:

«محال على من يفنى أن يكشف النقاب الذى تنقب به من لا يفنى».

ولكن الحكمة المصرية لم تحل مشكلة... لماذا..؟

لأن للإنسان طلعة والنفس البشرية تواقة إلى معرفة المجهول.

وقد سئل أحد العارفين: كيف عرفت الله..؟

قال: عرفت الله بالله...

فقيل له: فما بال العقل...؟

قال: العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله.

وليس هذا يقدح فى العقل ومداركه...؟

بل العقل ميزان صحيح.

وأحكامه يقينية- فى كثير من الأحوال. لا غبار عليها.

غير أنك لا تطمع أن تعرف به كنه الله وحقيقة ذاته، فإن ذلك طمع فى محال.

ومثال ذلك رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع فى أن يزن به الجبال...؟

وهذا لا يدل على أن الميزان فى أحكامه غير صادق. ولكن العقل قد يقف عند حد محدود ولا يتعدى طوره.

ونتساءل: هل إجابة «العارف» تستطيع أن تحل المشكلة...؟

وتبدد الشكوك عند هؤلاء الناس...؟

وهم لا يؤمنون إلا بالحس.

ولا يعترفون إلا بما يقع عليه نظرهم أو تلمسه أناملهم...؟

وهل نلتمس العذر لهؤلاء الناس لأنهم يعيشون فى القرن الواحد والعشرين لقد ولدت فى القرن الماضى : الماركسية وقد رفضت الأديان جملة.

- وقاتلها الله إن كان لها بقية باقية- لم تعترف بوجود الإله.؟؟

وتمخض القرن الماضى- عن الوجودية- وأصحابها يعتبرون الدين خرافة لأنه كان عصر «الهيبز» عصر الفوضوية والإلحاد.

فما بالك بالقرن الحادى والعشرين..؟

ونقول: إن هذه المذاهب ليست جديدة على البشرية.

فهى قديمة موغلة فى القدم.

إنها مذهب اللذة عند «الأبيقورية» فى دولة اليونان.

ومذهب «المانوية» و «المزدكية» فى دولة الفرس.

ومذهب «الخرمية» و «الباطنية» و «القرمطية» فى دولة العرب..؟

وفى القرن الثالث الهجرى- القرن الذى فشت فيه المذاهب الهدامة من «مانوية» و «مزدكية» و «باطنية».

سأل تلميذ أستاذه نفس السؤال:

أين الله..؟

ثم تابع كلامه قائلاً: إننى لا أجده أحقيق أنه موجود..؟

وأجابه أستاذه إجابة قبلها عقله، واطمأنت بها نفسه، وهتف من أعمق أعماقه آمنت أنه لا إله إلا الله.

لقد أحضر أستاذه كمية من اللبن.

ثم سأل تلميذه.

أترى أن هذا «اللبن» يشتمل على شىء من الزبد...؟

وأجاب التلميذ: نعم.

وسأله الأستاذ مرة أخرى أستطيع أن ترى الزيد..؟

وأجاب التلميذ بالنفى.

وكرر الأستاذ أتستطيع أن تحدد مكان الزيد...؟

قال التلميذ: لا.

وهنا قال الأستاذ: إنك لا تنكر الزيد. ومع ذلك لا تستطيع أن تراه ولا أن تحدد مكانه...؟

لماذا: لأن نظرك قاصر لا يستطيع أن ينفذ إلى داخل شىء بسيط كاللبن لأن الحجب تحول بينك وبين ذلك.

فكيف تستطيع بأدواتك القاصرة، ونظرك المحدود أن ترى من لا تدركه الأبصار ولا تستطيع أن تحيط به الأكوان...؟

وصدق ربى فى قوله:

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١).

إن البصر لا يرى إلا المحسوسات.

والبصيرة (النور الذى يقذفه الله تعالى فى قلب عبده) ترى المعنويات.

البصر: لا يرى إلا الكثيف.

والبصيرة: ترى اللطيف.

البصر: لا يرى إلا الحادث.

والبصيرة: ترى القديم.

البصر: لا يرى إلا الأكوان.

والبصيرة: ترى المكون.

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٠٣.

وهنا ناجى الأستاذ ربه - عندما رجع تلميذه إلى طريق الحق بقوله:

ذكــرتك لا أنى نســيــتك لمحــة
وأيسـر مـا فى الذكر ذكر لسـانى
وصـرت بلا وجد أهيم من الهوى
وهـام علىَّ القلب بالخــفــقـــان
فلمـا أرانى الـوجـد أنك حـاضرى
شــهــدتك مــوجــوداً بكل مكانِ
فـخـاطبت مـوجـوداً بغـيـر تكلم
وشــاهـدت مــوجــوداً بكل مـكان

وصدق ربى فى قوله:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

ولقـد حلت المشكلة بالنسـبـة إلى التلمـيـذ «الطلعـة» فى القـرن الثـالث الهجـرى. فهل نستطيع فـى القـرن الحـادى والعشـرين أن نزيل ضـبـاب الشك وأوهـام الضـلال..؟[2] .

(١) سورة المجادلة آية رقم ٧.

(٢) راجع كتابنا مع الإلحاد وجهاً لوجه.

عمير بن وهب بن خلف

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

(النور: ٥٥)

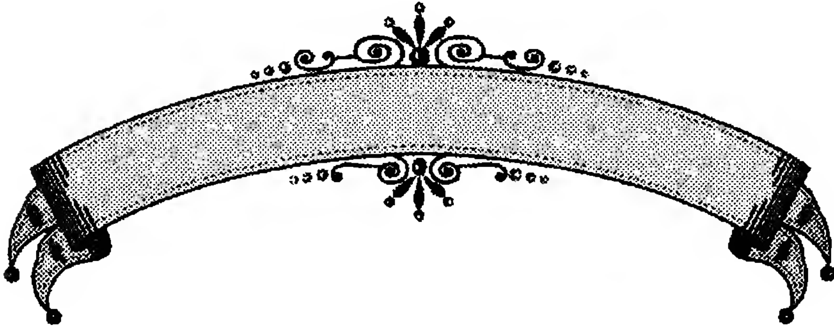
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال صاحب كتاب أسباب التنزيل الإمام الواحدى.

نزلت فى كل من آمن من كفار قريش ومنهم عمير بن وهب بن خلف.

ورواه الحاكم «أبو عبد الله» فى المستدرك عن محمد بن صالح. عن الدارمى بسنده.

فمن هو عمير بن وهب بن خلف..؟



قال عمير بن وهب يوم بدر لقريش:

يا معشر القوم: لقد رأيت المنايا تحمل البلايا.

ثم سكت قليلاً وقال:

نواضح يثرب تحمل الموت الناقع..؟؟

قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم.. أما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعىٰ..؟

والله ما أرى أن نقتل منهم رجلاً حتى يقتل منا رجل

فإذا أصابوا منكم عددهم، فما خير فى العيش بعد ذلك..؟

فروا رأيكم...

عمير بن وهب


عمير بن وهب بن خلف
رضى الله عنه



حياته ونشأته

فارس من فرسان مدرسة النبوة.

ومن قبل: كان فارساً من فرسان قريش المغاوير.

وبطلاً من أبطالها الصناديد.

ولم لا يكون كذلك وهو من قبيلة جُمَح..

إحدى القبائل العملاقة فى الجاهلية والإسلام.

يصمت التاريخ فلا يتناول طفولته من قريب أو بعيد.

ولكن التاريخ يستدرك فيتابع خطوات عمير بن وهب الفتى اليافع الذى يمتلأ شباباً وقوة.

ثم يصغى لأحاديثه المتتابعة فى دار الندوة، والتى كان ينبهر بها الشباب، ويستحسنها الشيوخ...

ليس هذا فحسب.

ولكن كانت ذاكرة التاريخ تلتقط حركاته، ومفاجآته وسبحاته.

وحركاته: وهو يجندل الطيور فى أكنانها.

ومفاجآته: وهو يسابق الغزلان فى قفزاتها.

وسبوحاته: وهو يغوص خلف الأسماك فتفر مذعورة مع أسرابها.

ثم يعود عمير فى المساء.

وهو يحمل بعيره بما ينوء بحمله من طيور برية، وأسماك بحرية.

تلك كانت حياة عمير مليئة بالسعى الدؤوب.

وتغمرها السعادة والرضا.

وكان عمير يسمع عن فتى بنى عبد المطلب- محمد بن عبد الله.

الذى سفه الأحلام.

وسخر من الأصنام والأوثان.

ودعى إلى عبادة الواحد الأحد.

عندها ركبت قريش رأسها وأكدت العزم على حرب محمد وأتباعه.

وأخذت تدعو شبابها وشيوخها للانضمام إلى الجيش الذى يستأصل أتباع الدين الجديد.

وكان من هؤلاء الذين انضموا إلى جيش قريش عمير بن وهب.

عمير بن وهب فى غزوة بدر

خرجت قريش بعدتها وعتادها وأحباشها ورجالها- للقضاء على الفئة المؤمنة.

وساروا فإذا المسلمون قد سبقوهم إلى ذلك المكان.

فسقط فى أيديهم.

وأخذوا فى إرسال العيون والجواسيس تحيط بجيش المسلمين.

حتى يعجموا عودهم.

ويتعرفوا على عددهم وقوتهم.

وكان أحد هؤلاء العيون عمير بن وهب..

وعندما عاد من جولته قال لقيادة جيش قريش:

«لقد صوبت فى الوادى وصعدت، فلم أجد لهم مدداً ولا كميناً.

قالوا: ما عدد القوم..؟

قال: ثلاثمائة إن زادوا زادوا قليلاً، ومعهم سبعون بعيراً وفرسان..؟؟

فتصايح القوم وقالوا:

«ستحصدهم سيوفنا حصداً.

وستروى الأرض من دمائهم. غدا.

عندها قال عمير:

«يا معشر القوم: لقد رأيت المنايا تحمل البلايا.

ثم سكت قليلاً وقال:

«نواضح يثرب تحمل الموت الناقع..؟؟

قوم ليست لهم منعة، ولا ملجأ إلا سيوفهم، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون..؟ يتلمظون تلمظ الأفاعى..؟

والله ما أرى نقتل منهم رجلاً حتى يقتل منا رجل..؟؟

فإن أصابوا منكم عددهم، فما خير فى العيش بعد ذلك..؟

فروا رأيكم..؟

فتكلم حكيم بن حزام... فقال خيراً ودعى للعودة إلى مكة..

وأتى شيبة وعتبة، وكانا ذوى تقية فى قومهما:

فأشاروا على الناس بالانصراف.

وقال عتبة: لا تردوا نصيحتى ولا تسفهوا رأيى.

فحسده أبو جهل حين سمع كلامه- فأفسد الرأى ، ودعا إلى الحرب..؟

ثم نشب القتال.

وأبلى المسلمون بلاء حسناً.

ودارت الدائرة على قريش.

ونصر الله المؤمنين نصراً مؤزراً.

ونزل قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(١).

وعاد عمير بن وهب إلى مكة.

عاد مع قافلة المنهزمين يجتر أحزانه وآلامه.

لأن المسلمين أسروا ابنه وفلذة كبده «وهب بن عمير»..؟؟

وأخذ يتذكر كلمات عتبة بن ربيعة، وهو يطالب الناس بالرجوع إلى مكة وعدم القتال.

وكان مما قال عتبة:

يا معشر قريش:

إنكم إن أصبتموهم:

لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه.

لأنه قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته..؟؟

فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب.

(١) سورة آل عمران الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦.

لو استمع الناس إلى كلمات عتبة ما كانت الحرب.

ولو لم يكن قتال ما أسر ابنه.

ولكن أيترك فلذة كبده هكذا أسيراً فى أيدى محمد وأصحابه..؟

محال أن يكون ذلك..؟

ولكن كيف الوسيلة وما السبيل..؟

عمير يتآمر على قتل محمد ﷺ

نقول: ما كاد عمير يصل إلى هذه المرحلة من الهواجس.

حتى وجد يداً تربت على ظهره وتطالبه بالصبر والحكمة...؟؟

ولم تكن هذه اليد إلا يد صفوان بن أمية.

صفوان الذى قُتل أباه فى هذه الغزوة أيضاً.

ويأكل الحزن والأسى قلبه على أبيه الميت.

كما يفعل الحزن والأسى بعمير بن وهب على ابنه الحى.

قال صفوان:

«والله ما فى العيش بعدهم خير» «يقصد قتلى بدر».

قال عمير:

والله، أما والله لولا دين على ليس له قضاء عندى، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله...؟؟

قال صفوان: كيف..؟

قال عمير: فإن لى قبلهم علة... ابنى أسير فى أيديهم..؟؟

فاغتنم صفوان هذه وقال:

«على دينك أنا أقضيه عنك.

وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا...؟؟

قال عمير: فاكتم شأنى وشأنك.

قال صفوان: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم.

ولما تم له ذلك أزمع الذهاب إلى يثرب.

وانطلق على فرسه يسابق الريح، إلى طلبته.

وما هى إلا أيام قليلة حتى كانت حوافر فرسه تطأ مدخل المدينة.

ثم توغل على دروبها.

حتى وصل إلى مسجد الرسول ﷺ.

فرآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يجلس أمام باب المسجد مع جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وما كاد عمر ينظر إليه حتى قال:

«هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء إلا لشر...؟؟

وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر..

عمير يرجع عن غدره ويعلن إسلامه..

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال:

«يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه..؟؟

قال عليه السلام: فأدخله على.

فأقبل عمر إليه حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها وقال:

لرجال ممن كان معه من الأنصار.

«ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون..؟؟

واستجاب الأنصار لأمر عمر..

ودخل به على رسول الله ﷺ.

وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه.

قال عليه السلام: أرسله يا عمر.

ثم قال: ادن يا عمير.

فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً.

وكانت هذه تحية الجاهلية بينهم..؟؟

فقال رسول الله ﷺ:

«قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير:

«بالسلام تحية أهل الجنة».

فقال: أما والله يا محمد إن كنت بهذا لحديث عهد.

قال: فما جاء بك يا عمير..؟

قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه..

قال: فما بال السيف فى عنقك..؟

قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً..؟؟

قال: أصدقنى ما الذى جئت له..؟

قال: ما جئت إلا لذلك.

قال عليه الصلاة والسلام:

«بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش.

ثم قلت: لولا دين علىَّ وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً.

فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلنى له...؟؟

والله حائل بينك وبين ذلك.

قال عمير: أشهد أنك رسول الله.

قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحى.

وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان.

فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله.

فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق.

ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ:

«فقهوا أخاكم فى دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره».

ففعلوا... رضي الله عنه.

عمير يعود إلى مكة ومعه ابنه..

ثم قال عمير بن وهب: يا رسول الله، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل.

وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم على مكة.

فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ.

وإلى الإسلام.

لعل الله يهديهم إلى الدين الحق.

وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم.

فأذن له رسول الله.

وركب مطيته مودعاً بالحفاوة والتكريم- يريد مكة.

وأحس عمير أن فى داخله شيئاً جديداً.

وتغير واقع الأشياء فى نظره.

إنه الآن- هكذا كان يحدث نفسه- ليس عمير بن وهب الذى خرج من مكة منذ فترة ليعيث فى الأرض فساداً، ويقتل رسول الله- خاتم المرسلين.

ولكنه الآن: المسلم الملتزم الذى يعبد الله كأنه يراه.

فإن لم يكن يراه، فإن الله تعالى يراه.

إنه المسلم القوى الشجاع الذى لا يهاب ملة الكفر مجتمعة.

لأن الله معه، وهو ناصره وحافظه.

وصدق الله فى قوله:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١).

(١) سورة محمد آية رقم ٧.

وسارت به المطى حتى دخل مكة.

وعلم صفوان بحضور عمير.

ولكنه لم يأت إليه.

ولم يسمع بقتل محمد كما كان يترقب.

فعرف أن عميراً قد أسلم.

فقاطعه وحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.

ولم يبال عمير بصفوان.

وأخذ يدعو إلى دين الإسلام.

فأسلم على يديه أناس كثر..

عمير فى فتح مكة..

وتمر الأيام وتكر الليالى: وعمير بن وهب جالس فى مكة، داعياً إلى دين الله حتى أراد الله تعالى أن يفتح للمسلمين مكة.

وعاد المهاجرون والأنصار خلف رسول الله ﷺ وهو يطهر بيته من الأصنام والأوثان.

ويزيل هذا الركام المتعفن من الشرك والضلال.

عندها رأى عمير حبيبه رسول الله.

يحيط به الأنصار والمهاجرون.

فانضم إلى صفوفهم يشاركهم فرحتهم.

ويحظى بالقرب من سيد الخلق- محمد رسول الله ﷺ.

يقول عمير:

«عندما فتحت مكة قام رسول الله ﷺ على الصفا يدعو الله وقد أحدقت به الأنصار.

فقالوا فيما بينهم:

«أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها...؟

فلما فرغ من دعائه قال:

ماذا قلتم..؟

قالوا: لا شيء يا رسول الله.

فلم يزل بهم الرسول- حتى أخبروه.

فقال النبى ﷺ :

«معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم».

ويقول عمير:

رأيت فضالة بن عمير يريد قتل النبى ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح.

فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة..؟؟

قال: نعم فضالة يا رسول الله.

قال: ماذا كنت تحدث به نفسك..؟

قال: لا شيء كنت أذكر الله عز وجل.

فضحك النبى ﷺ ثم قال: «استغفر الله».

ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه.

فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلىَّ منه.

هروب صفوان بن أمية..

وفى ذلك الوقت: خرج صفوان بن أمية يريد جَدَّة، ليركب منها إلى اليمن.

فقال عمير بن وهب:

يا نبى الله:

إن صفوان سيد قومه.

وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه فى البحر فأمنه يا رسول الله..

قال ﷺ هو آمن..

قال عمير: يا رسول الله أعطنى آية يعرف بها أمانك..

فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل بها مكة.

فخرج بها عمير حتى أدركه - وهو يريد أن يركب فى البحر.

فقال: يا صفوان فداك أبى وأمى الله الله فى نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله- قد جئتك به..

قال: ويحك..؟؟

أغرب عنى فلا تكلمنى...

قال: أى صفوان فداك أبى وأمى ثم تابع حديثه بقوله:

«أفضل الناس وأبر الناس، وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك، وشرفه شرفك وملكه ملكك».

قال: إنى أخافه على نفسى.

قال: هو أحلم من ذاك وأكرم.

فرجع معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ.

فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى.

قال ﷺ : صدق.

قال: فاجعلنى بالخيار شهرين..؟؟

قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر.

وهكذا أنقذ عمير صفوان من قتل نفسه، ومن وصمة الكفر التى كان يتصف بها.

عمير فى غزوة حنين..

جاءت غزوة حنين بعد فتح مكة.

فأبلى عمير فيها بلاء حسناً، ودافع عن رسول الله ﷺ واستطاع أن يفتح ثغرة فى صفوف المشركين.

حتى دق فى يده العديد من السيوف.

ومن تاريخ إسلامه: أصبح فى المعارك والحروب والتى تثار ضد المعوقين الواقفين ضد الدعوة إلى الإسلام.

الفارس الذى لا يشق له غبار، المقاتل باسم الله.

المجندل جنود الكفر والطاغوت.

فإذا كان سلماً: أصبح المسلم الملتزم بدينه، وتعاليم رسوله، يقرأ القرآن، ويتفقه فى الدين، ويدعو إلى الله على بصيرة.

ومن هذا التاريخ أصبح عمير بن وهب فارساً من فرسان مدرسة النبوة.

هؤلاء الرجال الذين خرجوا إلى دنيا الناس.

والظلام شامل، والجهل حاكم، والعقائد زيف وأباطيل.

فمدنوا الدنيا. وهذبوا العالم.

وقرروا الحق للإنسان.

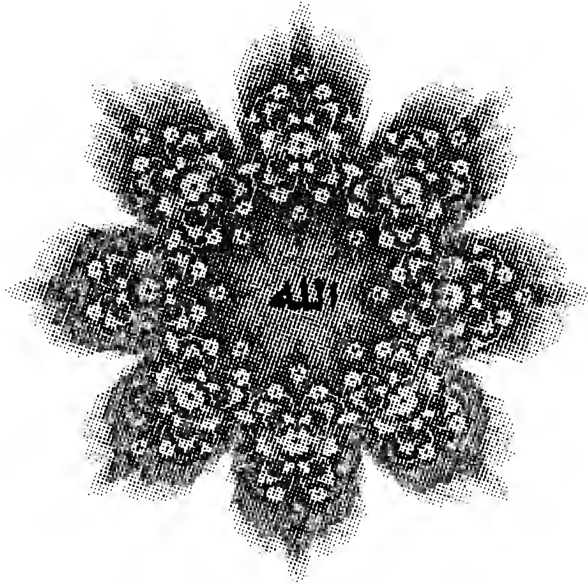
فلماذا غاب هؤلاء الرجال عن دنيا الوجود..؟

ومتى يعودون إليها رحمة مهداة من رب العالمين.

ومعرفة وإيمان.

حتى يخرجوا البشرية كلها من ترابية الأرض إلى شفافية السماء.

متى يا رب..؟





تــذيــــل

منهج القــرآن
في تربية الرجال

منهج القرآن فى تربية الرجال..

لقد كان جرحاً غائراً الذى أصاب قريش فى غزوة بدر الكبرى.
لقد استطاع أتباع محمد ﷺ فى فترة وجيزة من عمر الزمن.
أن يتفوقوا على القوة الضاربة لقريش.
فى فنون الحرب والقتال.
ولم يمض على ذلك كبير وقت حتى كان فرسان مدرسة النبوة.
القوة الضاربة التى هزمت جيوش الفرس الجرارة.
وأوقعت الهزيمة الساحقة فى جيوش الروم على مشارف الشام.
ويتساءل المرء ما الذى حدث لهم؟
وما العامل الجوهرى الذى نقلهم هذه النقلة الكبيرة..؟
فى فترةوجيزة من عمر الزمن..
حتى أصبحوا سادة وقادة.
ما الذى جعل هؤلاء الرجاليختطون من شئون المعارك.
ويتفننون فى إدارة دفة الحروب.
ما عجزت عنه الدول فى تتابع القرون..؟
أهو الدربة على القتال..؟
والتدريب المتواصل فى أوقات متتابعة..؟
أهو القراءة والبحث والتعرف علىأساليب الدول الأخرى..
الحقيقة أنه لم يكن هذا ولا ذاك..

وإنما الشىء الذى جعل منهم سادة وقادة.

هو القرآن الكريم الذى نزل به الروح الأمين من رب العالمين.

القرآن هو الذى انتشل أمة العرب.

من ترابية الأرض إلى شفافية السماء.

القرآن هو الذى جعل بينهم وبين خالق الأرض والسماء خيوطاً غير منظورة فكان كل واحد منهم يعبد الله كأنه يراه.

يراه معه فى كل وقت وحين..

يراه معه حين يصبح وحين يمسى..

يراه فى ضوء النهار وفى ظلام الليل..

يراه فى الحقل، وفى المصنع، ويراه فى المنتدى وفى المنزل.

يراه فى ظعنه وإقامته.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (١).

ويقول أيضاً:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢).

وعندما يصل إيمان الفرد إلى هذا الحد يتحول إلى إنسان جديد.

إنسان تربطه بالسماء أسباب غير منظورة.

فإذا ضعف أمام مغريات الحياة.

واستطاع الشيطان أن يفتح له نافذة إلى الشر.

---

(١) سورة الحديدة آية رقم ٤.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٧.

ثم ارتكب جريمته فى ظلام الليل.

استيقظ إيمانه.

وقتله الحزن والأسى.

ولا يخرجه من ذلك إلا أن يعترف بجريمته.

ويطالب المجتمع بتطهيره من هذا الإثم وذلك بإقامة الحد عليه.

لقد كان الإنسان منهم فى جاهليته.

يشرب الخمر، ويقتل النفس.

ويرتكب جريمة الزنا، ويأخذ أموال الناس بالباطل.

حتى إذا دعى إلى الإسلام ونطق بكلمة: لا إله إلا الله.

عندها يتحول إلى إنسان سوى.

وهذا ما حدث لعمير بن وهب.

لقد خرج من بيته يتلمظ غيظاً على قتل محمد.

خرج هذا الرجل بعد أن أعد عدته.

واتخذ سلاحه بعد شحذه.

وجمع الأهبة للسير إلى يثرب.

وفى الطريق إليها كان يحدث نفسه بالخطة التى رسمها.

والشر الذى نواه، والدماء التى يريد أن يريقها.

حتى ولو قدم فى سبيل ذلك نفسه وروحه.

ولكن ما كاد يدخل مدينة الرسول ﷺ حتى أخذ الخوف بمجامع قلبه.

والوساوس تناوشه من كل جانب.

إنه لا يستطيع أن يقتل محمداً وحوله هؤلاء الرجال.

ليس فى مقدوره أن يرفع السيف ويقتل هذا الرجل العملاق.

وما هى إلا برهة، حتى خنس الشيطان فى داخله.

وتحول إلى كومة من لحم.

يجذبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويوثقها بحبل لا يستطيع منه فكاكاً.

ثم تأتى الثانية: عندما أخبره الرسول ﷺ بخبره مع صفوان، والاتفاق الذى تم بينهما.

عندها ينهار الرجل ويعترف بكل شىء.

ويشهد بكلمة التوحيد.

ويؤمن إيماناً لا تزحزحه الجبال.

أن ما ينطلق به محمد ليس من عند نفسه وإنما هو وحى من الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾(١).

ويعود رجل الجاهلية ربيب الكفر، إلى ساحة الإسلام إلى واحة الإيمان.

ويبرز إلى الوجود فارس آخر من فرسان مدرسة النبوة.

هؤلاء الفوارس الذين هذبوا الدنيا، ومدنوا العالم وقرروا الحق للإنسان.

فمتى يعود أبطالها مرة أخرى إلى ساحة الوجود..؟

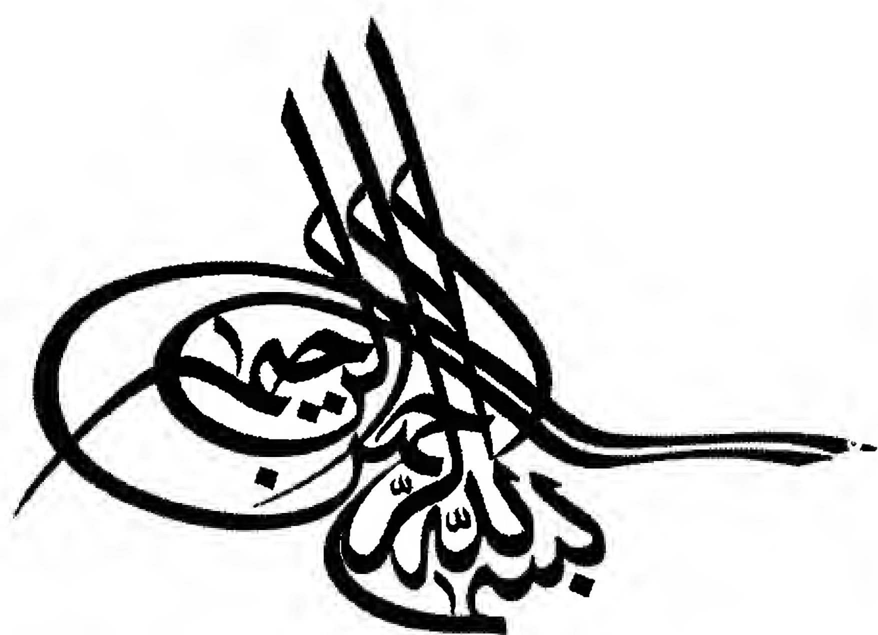
متى يارب..؟ إنا لمنتظرون..؟؟

---

(١) سورة غافر آية رقم ١٩.

خالد بن سعيد بن العاص

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

(النحل: ٤١- ٤٢)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

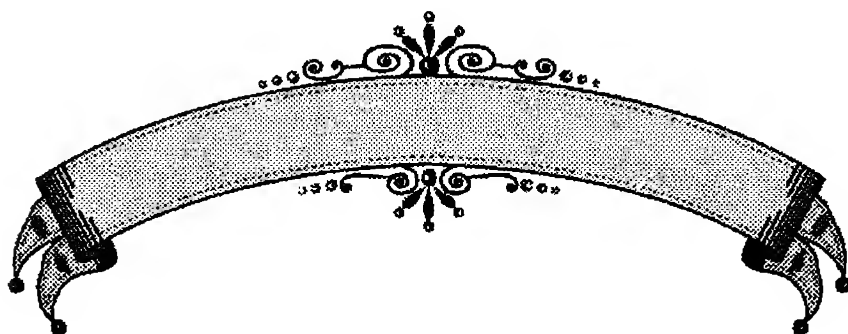
قال القرطبى: نزلت فى أصحاب رسول الله- ﷺ.

ثم قال هذه الآية تشمل كل من أوذى بعد إيمانه وهاجر إلى أرض الحبشة ومنهم خالد بن سعيد بن العاص.

راجع تفسير القرطبى ج٥ ص ١٠٧.

وقاله الواحدى فى كتابه أسباب النزول ص ٢٨٥.

فمن خالد بن سعيد بن العاص..؟ رضي الله عنه.



قال خالد بن سعيد:

رأيت فى المنام قبل مبعث النبى ﷺ ظلمة غشيت مكة، حتى ما أرى جبلاً ولا سهلاً.

ثم رأيت نوراً يخرج من زمام مثل ضوء الصبح كلما ارتفع عظم وسطع حتى ارتفع فأضاء لى أول ما أضاء البيت.

ثم عظم الضوء حتى ما بقى من سهل ولا جبل إلا وأنا أراه، ثم سطع فى السماء، ثم انحدر حتى أضاء لى نخل يثرب.

تهذيب تاريخ دمشق

ج٥ ص٤٩


خالد بن سعيد رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته:

خالد ابن الصحراء المكشوفة.

وكانت نشأته وسط الطبيعة الصافية.

والحرية المطلقة التى لا تحدها حدود ولا قيود.

نشأ فى بيت من بيوتات مكة.

ونمت طفولته بين هضابها وجبالها.

وجاء شبابه مبكراً بين لداته.

فدربه والده على صيد الطيور الجارحة، والوحوش الكاسرة ومجالدة الفرسان فوق صهوات الخيل.

ومقارعة الرجال فى حلقات المبارزة.

والده: سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس.

من قبيلة القادة والفرسان التى تجيد ركوب الخيل.

وقهر الخصوم والأعداء.

عرف هذا الوالد فى الجاهلية بصلابة الرأى، وقوة العزيمة الفارس المغوار الذى لا يعرف طعم الهزيمة أو التراجع فى القتال.

ونشأ أولاده هذه النشأة، وكان ينصحهم بقوله:

«الرجل لا تكتمل رجولته إلا إذا قضى شطراً من عمره فوق ظهور الخيل».

وصدق الرسول ﷺ :

«الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»[1] .

من هنا نشأ خالد قوياً كما تنشأ الأسود فى الغابة أو الطير فوق هامات الشجر، وعلى قمم الجبال.

وكان يمتاز خالد بصفاء النفس.

ونقاء السريرة، وفراسة المؤمن.

ثم يزن الأمور بميزان العقل الراجح.

ويخاطب الناس بالرأى الألمعى.

ولقد أكسبه هذا الشىء الكثير فى حياته، وتقدير الشيوخ له.

(١) الحديث رواه البخارى فى المناقب ٣٨ ومسلم فى الزكاة ٣٥ والإمارة ٩٦، ٩٩ وأبو داود فى الجهاد ٤١ وابن ماجه فى التجارات ٣٩ والدارمى فى الجهاد ٣٣.

رؤيا خالد والبشرى ببعثة خاتم الأنبياء

كان خالد كثير الرؤى والأحلام فى منامه.

من ذلك ما يرويه صالح بن كيسان، أن خالد بن سعيد قال:

رأيت فى المنام- قبل مبعث النبى ﷺ ظلمة غشيت مكة.

حتى ما أرى جبلاً ولا سهلاً .

ثم رأيت نوراً يخرج من زمزم.

مثل ضوء الصبح.

كلما ارتفع عظم وسطع حتى ارتفع فأضاء لى أول ما أضاء البيت.

ثم عظم الضوء حتى ما بقى من سهل ولا جبل إلا وأنا أراه.

ثم سطع فى السماء.

ثم انحدر حتى أضاء لى نخل يثرب.

وسمعت قائلاً يقول فى الضوء:

«سبحانه سبحانه، تمت الكلمة، وهلك ابن مارد..؟

هلك بهضبة الحصى بين أذرح والأكمة.

سعدت هذه الأمة.

جاء نبى الأميين.

وبلغ الكتاب أجله.

كذبته هذه القرية.

تعذب مرتين، تتوب الثالثة.

ثلاث بقيت ثنتان بالمشرق، وواحدة بالمغرب.

واستيقظ خالد من نومه..

وكلمات الرؤيا تملأ أذنيه، وتذهب به كل مذهب.

وتساءل بينه وبين نفسه.

ما هذه الظلمة التى شملت الكون كله فى لحظة..؟

وما هذا الضوء الذى يخرج من زمزم..؟

ثم يكبر وينتشر حتى يملأ الكون قاطبة.

ويرسل ضياءه على السهل والجبل.

ويشرق ويغرب حتى يتناول الأرض من أطرافها..؟

إن هذا الأمر عجيب؟؟

أترى ماذا يقصد هذا الهاتف بقوله: نبى الأميين الذى أخذ يبشر به..

ألغاز وطلاسم تطن فى أذنيه..؟

أم أن هذا الأمر واضح وضوح الصبح؟

ولكن عقله الصغير لا يستطيع أن يحيط به..؟

وما كاد يبلغ هذا الحد من التفكير، حتى انطلق مسرعاً إلى أخيه عمرو ابن سعيد..

ووضع بين يديه جملة حاله.

وحدثه برؤياه.

فقال عمرو: لقد رأيت يا أخى عجباً.

وإنى لأرى هذا أمراً يكون فى بنى عبد المطلب، إذ رأيت النور خرج من زمزم...؟؟

قال خالد: وهو يسرح طرفه فى السماء:

«إنه النبى الذى أُخبرنا به..».

قال خالد: أى نبى هذا الذى يتكلم عنه؟

ومن الذى أخبرك بخبره.

قال عمرو: لقد كان ذلك من عشرات السنوات.

عندما قدم كاهن إلى مكة، فرأى الطفل اليتيم- محمد بن عبد الله- مع عمه أبى طالب- وما كاد الكاهن يقع نظره على الطفل، حتى شخص إليه.

وتجاهل جميع من حوله ثم قال:

بعد أن صوب النظر إليه وأخفضه.

يا معشر قريش: قالوا: لبيك يا كاهن.

قال: اقتلوا هذا الصبى، فإنه يقتلكم ويفرقكم.

فهرب أبو طالب بابن أخيه..؟؟

ثم ماذا يا عمرو..؟

هنا رأى عمرو. أن أبيهما قد اقترب منهما، فتركا ما هما فيه، وأخذا فيما أمرهما به أبوهما.

وتوالت الأيام وكرت الأعوام.

ونسى خالد ما رآه فى نومه.

وشغلته الحياة عما يجرى فى مكة، وداخل أنديتها من أحاديث وأخبار.

وفى إحدى الليالى المقمرة.

عاد خالد من البادية، ومعه حملٌ كبير من طيور البرية وحيواناتها.

عاد بعد يوم شاق فى الصيد والقنص.

ومعه لداته وأصحابه من هواة الصيد وركوب الخيل.

رؤيا جديدة لخالد واعتناقه الإسلام

ما كاد خالد يتناول طعامه حتى آوى إلى مخدعه.

وأخذ يغط فى نوم عميق.

وعاودته مرة أخرى الرؤى التى كان يراها فتفزعه وتقلق راحته.

لقد رأى فى نومه هذه الليلة:

«أنه واقف على شفير النار- وهى واسعة عميقة مزمجرة بلهيبها، لواحة باللظى».

ورأى أباه خلفه يريد أن يدفعه وسط هذه النيران.

ورجل آخر يمسك بيده ويحول بينه وبين ذلك.

ففزع من نومه فقال:

«أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق...».

وما كاد الضياء يظهر للوجوه.. ويقبل فجر يوم جديد.

حتى خرج خالد من بيته..

يبغى من يعبر له رؤياه.

وكان كلما التقى بأحد من الناس قص عليه ما رأى، واستمع إلى تعبيره.؟

ولكن هذه التعابير لا تشفى ما بداخله.

ولا تحرك ساكناً فيه.

حتى التقى بأبى بكر الصديق- رضي الله عنه.

وما كاد أبو بكر يرى خالداً، حتى وجد على وجهه علامات اليأس والضيق والتبرم من الحياة فأخذه إلى بيته.

وما كادا يجلسان: حتى أخذ خالد فى سرد رؤياه.

فاستمع له أبو بكر.

وما كاد ينتهى حتى قال له:

يا خالد: لقد أريد بك خيراً.

كيف يا ابن أبى قحافة، وأنا أقف على شفير النار...؟

قال أبو بكر: هذا رسول الله ﷺ فإنه سينقذك من النار، وأبوك واقع فيها.

وسار معه أبو بكر حتى منزل رسول الله ﷺ.

قال خالد: يا محمد إلى ما تدعو..؟

قال: أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

وأن محمداً عبده ورسوله.

وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر.

نعم حجر لا يسمع ولا يبصر.

حجر: لا ينفع ولا يضر.

حجر: لا يدرى من عبده ممن لم يعبده.

قال خالد: فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

ودخل فى جماعة المسلمين.

وأصبح فرداً من أفراد المجموعة النقية، الطيبة الطاهرة.

المجموعة: التى اختارها الله لحمل رسالته.

واشتد إيذاء قريش لهذه الصفوة.

حالوا بينهم وبين التجارة.

وحالوا بينهم وبين العبادة.

وصبوا عليهم العذاب صبّاً.

وأخذ الشهداء يتساقطون من العذاب.

عندها أمرهم الرسول ﷺ بالهجرة وقال:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

وتتابع المسلمون على الهجرة، واستقبلهم النجاشى أحسن استقبال وأكرم وفادتهم.

ولم تطل الإقامة لخالد وأسرته بأرض الحبشة.

فقد هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب.

وفى المدينة تم تكوين جيش الإسلام.

وأخذ هذا الجيش يعمل لنشر دين الله.

ومحاربة الطغاة الذين يقفون فى وجه الدعوة الجديدة.

وأخذ هذا الجيش يعمل جاهداً على تطهير الجزيرة العربية من عصابات اليهود.

اليهود الذين أخذوا يشككون فى الدعوة.

ويفرقون بين جماعات المسلمين.

يؤلبون الأحزاب على قتال الرسول ﷺ.

ولم يمض على ذلك إلا فترة وجيزة حتى تم طردهم جميعاً من أرض الإسلام ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذى أَخْرَجَ الَّذينَ كَفَرُوا منْ أَهْلِ الْكتَاب من ديَارهمْ لأَوَّل الْحَشْر مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانعَتُهمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّه فَأَتَاهُمُ اللَّهُ منْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسبُوا وَقَذَفَ فى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْديهِمْ وَأَيْدى الْمُؤْمنين فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ﴾(١).

---

(١) سورة الحشر آية رقم ٢.

خالد يخرج للجهاد على أرض الشام ويوصى حاكم المسلمين قبل خروجه

لما أراد خالد الخروج إلى الشام: لبس سلاحه وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم.

ثم أقبلوا من العسكر إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

فصلوا معه الغداة فى مسجد الرسول ﷺ.

فلما انصرفوا قام إليه إخوته فجلسوا إليه.

ثم قام خالد فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال:

يا أبا بكر: إن الله قد أكرمنا وإياك والمسلمين بهذا الدين.

فأحق من أقام السنة وأمات البدعة، وعدل فى السيرة.

الوالى على الرعية.

فاتق الله يا أبا بكر فيما ولاك الله من أمره.

وارحم الأرملة واليتيم.

وأعن الضعيف والمظلوم.

ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر فى الحق عندك منه إذا سخطت عليه..

ولا تغضب ما قدرت عليه، فإن الغضب يجر الجور.

ولا تحقد وأنت تستطيع فإن حقدك على المؤمن يجعله لك عدوّاً.

فإن اطلع على ذلك منك عاداك.

فإذا عادت الرعية الراعى، كان ذلك مدعاة لهلاكم جميعاً..

وألن جانبك للمحسن.

واشدد وطأتك على المريب.

ولا تأخذك فى الله لومة لائم.

ثم قال: هلم يدك يا أبا بكر: أودعك، فإنى لا أدرى هل تلقانى فى الدنيا أم لا..؟

فإن قضى الله لنا الالتقاء فنسأل الله لنا عفوه وغفرانه.

وإن كانت هذه الفرقة التى ليس بعدها لقاء فنرجو أن يوفقنا الله وإياك إلى لقاء النبى ﷺ فى جنات النعيم.

ثم أخذ أبو بكر بيده وبكى.

وبكى المسلمون وظنوا أنه يريد الشهادة فطال بكاؤهم...

ثم إن أبا بكر قال له انتظرنى حتى أمشى معك.

قال خالد: ما نريد أن تفعل.

قال أبو بكر: لكنى أنا اريد ذلك ومن أراده من المسلمين.

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر:

قد أنصفت لك إذا أوصيتنى، وقد وعيت وصيتك، فأنا موصيك فاسمع وصيتى:

إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة فى هذا الدين.

وفضيلة عظيمة فى الإسلام.

والناس ناظرون إليك.

ومستمعون من حديثك.

وقد خرجت فى هذا الوجه وأنا أرجو أن يكون خروجك بنية صادقة.

فثبت العالم وعلم الجاهل.

وعاتب السفيه المترف.

وانصح لعامة المسلمين.

واخصص الوالى على الجند بنصيحتك ومشورتك بما يحق للمسلمين.

واعمل لله كأنك تراه.

واعدد نفسك فى الموتى.

واعلم أنا عما قليل ميتون، ثم مقبورون، ثم مبعوثون، ثم مسؤولون.

جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين.

ولعقابه من الخائفين.

ثم أخذ بيده فودعه، وودع إخوته.

فلما ركبوا خيلهم أدبروا قال أبو بكر:

«اللهم احفظهم من بين أيديهم. ومن خلفهم.

وعن أيمانهم وعن شمائلهم.

واحطط عنهم أوزارهم، واعظم أجورهم».

قتال خالد واستشهاده..

قال إسحاق بن بشير: بينما المسلمون قد طمعوا فى فتح المدينة يوم أجنادين إذ قيل لخالد هذا الجيش قد أقبل مدداً لدمشق مَن ملك الروم.

فنادى خالد فى الناس: أن انصرفوا عن هذه المدينة.

إلى المدد الذى قد جاء من عند صاحب الروم.

ثم عبى خالد الناس فسيروا الأثقال والنساء.

ثم جعل يزيد بن أبى سفيان أمامهم، بينهم وبين العدو.

وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس.

ثم رجعوا نحو الجيش وكان خمسين ألفاً، فلما نظر إليهم خالد بن الوليد.

نزل فعبى أصحابه تعبئة القتال.

ثم زحف إليهم.

فوقف خالد بن سعيد فى مقدمة الجيش يحرضهم على القتال، ويرغبهم فى الشهادة.

فحملت عليهم طائفة من العدو.

واستمر القتال، وحمى الوطيس، وتقدم فرسان مدرسة النبوة واخترقوا جيش الأعداء ففروا مذعورين.

وركب أبطال المسلمين أكتافهم- فتساقط القتلى، وكان النصر المؤزر والفتح المبين.

استشهاد خالد بن سعيد

لم يترك خالد بن سعيد ساحة القتال- باحثاً ومنقباً عن قتلى المسلمين وجرحاهم، وتابع فلول المنهزمين.

فاختبأ له جندى من جنود الروم ورماه فقتله وسقط شهيداً.

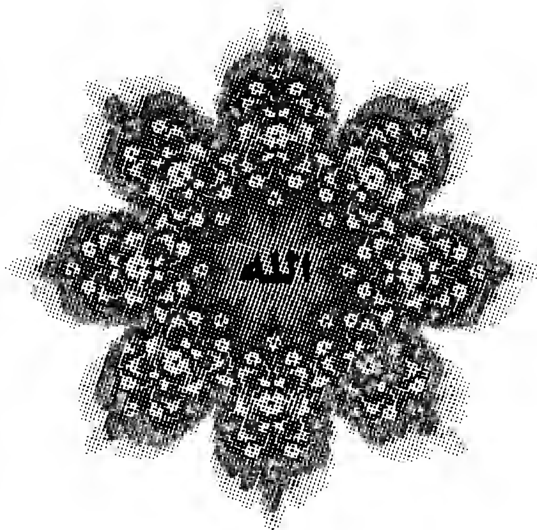
ولكن الرومى بعد أن فعل فعلته.

أذهله ما رأى من نور ينبعث من جثته إلى عنان السماء.

فترك ترسه وأعلن إسلامه واستأمن.

وقال: إنى ما كدت أرمى بسهمى اليه حتى رأيت نوراً ساطعاً يضىء الكون إلى السماء، فآمنت إنكم على الحق، ونحن على الباطل.

رحم الله خالد بن سعيد وأسكنه فسيح جناته.





تـــذيـــيـــل

الازدواجية بين الإسلام والنظريات المعاصرة

الازدواجية بين الإسلام والنظريات المعاصرة

من سنن الله الكونية أن جعل الازدواج قواماً لجميع الكائنات حتى يكمل بعضها بعضا، وتتوالى آثارها الناتجة عن هذا الازدواج فى تعمير الكون وتحقيق دور الخلافة فى الأرض قال الله تعالى:

﴿سبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُون﴾(١).

وهذه الآية تدل على أن كل الأحياء، وأولها النبات تتألف من ذكر وأنثى ويتم التلقيح بينها إما عن طريق الرياح التى تهب فى موسم الإخصاب قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾(٢).

فهى بهبوبها تحمل طلع النبات الذكر إلى النبات الأنثى وبهذا يتم التلقيح وإما عن طريق الحشرات والفراشات التى تنتقل من زهرة إلى أخرى فتحمل أرجلها وأجنحتها حبيبات اللقاح، وإما أن يتم عن طريق الأمطار التى تهطل فى هذه المواسم فتحمله معها إلى شتى النباتات قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾(٣).

وبعض أنواع النبات تحمل فى ذاتها الزوج الآخر فهى تضم أعضاء التذكير والتأنيث مجتمعة فى زهرة واحدة أو متفرقة قال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٤).

وهذا النبات كائن حى له روح كما كان يقول الفيلسوف أرسطو فى دولة اليونان، واستمر الوضع على ذلك حتى القرن الثالث عشر أعلن «كارل فرن لينى» أن النبات له مواصفات الحيوان والإنسان إلا أنه ليس له قدرة على الحركة.

---

(١) سورة يس آية رقم ٣٦.
(٢) سورة الحجر آية رقم ٢٢.
(٣) سورة طه آية رقم ٥٣.
(٤) سورة الرعد آية رقم ٤.

وفى القرن التاسع عشر أعلن «دارون» أن النباتات المتسلقة تتمتع باستقلالية الحركة، وأكد ذلك «رؤول فرانسيه» بقوله: إن النبات يحرك جسمه بحرية ورشاقة، وبشكل لا يقل عن الإنسان أو الحيوان.

ومن حركته سموق فروعه إلى أعلى وزحف جذوره فى باطن التربة إلى مسافات بعيدة فإذا اعترضها حاجز صخرى، أو حائط دارت خلفه حتى تصل إلى بغيتها.

وعلماء النبات فى هذه الآونة يقدمون الأدلة القاطعة التى حصلوا عليها عن طريق التجارب: أن النبات يرى ويسمع، ويلمس ويتذوق، ويشم بحساسية فائقة، ليس هذا فحسب بل تراهم يقولون: إن النبات يستطيع أن يقرأ أفكار البشر والحيوانات ويستجيب لعواطفهم، ويدافع عن نفسه ضد من يريد الضرر به.

ومن الأشياء التى رصدها العلماء النخلة الأنثى، أنه إذا كان يجاورها ذكر، وعملوا على قطعه حزنت عليه حزناً شديداً وتعبر عن حزنها هذا بعدم حملها للثمار، وقد يستمر هذا الحزن سنة أو أكثر لا تعود إلى طرح الثمار إلا إذا جاء صاحبها مهدداً بأنه سيعمل على قطعها إن لم تثمر فى العام القابل.

وإذا كان الأمر كذلك فالازدواجية أوجدها الله تعالى فى عالم النبات لأنه كائن حى ككل المخلوقات الأخرى التى تعمل بمشيئة الله وقدرته على استمرار نوعها وامتداده عبر دروب الزمن.

والنبات ككل المخلوقات الأخرى تخاف الله وتطيعه فى أوامره وتسبح له آناء الليل وأطراف النهار قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(١).

وإنه لمشهد فريد حين يتصور القلب كل حصاة، وكل حجر، وكل حبة، وكل ورقة، وكل زهرة، وكل ثمرة، وكل نبتة، وكل شجرة، وكل حشرة، وكل

(١) سورة الإسراء آية رقم ٤٤.

زاحفة، وكل حيوان وكل إنسان، وكل دابة على الأرض، وكل سابحة فى الماء والهواء كلها تسبح لله وتتوجه إليه فى علاه، ولكن لماذا لا نفقه تسبيحهم؟ ولماذا لا نسمع تراتيل أصواتهم؟

لا يحدث هذا لأننا محجوبون بصفاقة من الطين، فغشى على بصائرنا فلا نرى، وأغلق على آذاننا فلا نسمع، ولكن حين تشف الروح وتنجلى البصائر فإنها تزال من أمامها الحجب والمساتير فترى ما لم تكن ترى، وتسمع ما لم تكن تسمع، وعندما يتحول الإنسان من ترابية الأرض إلى شفافية السماء، فيكون الله تعالى سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها كما جاء فى الحديث القدسى الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه.

وهذا النبات ملتزم بالضوابط والموازنات التى وضعها الله سبحانه وتعالى بالنسبة لخلقه جميعاً، فإذا تعدى النبات أو الجماد أو الإنسان ما قدر له وجد أمامه جند الله لتصده وترده من غلوائه.

والواقعة الآتية مثل بارز على أهمية تلك الضوابط، فمنذ سنوات عديدة زرع نوع من الصبار فى أستراليا كسياج وقائى، ولكن هذا الزرع مضى فى سبيله حتى غطى مساحة تقرب من مساحة إنجلترا، وزاحم أهل المدن والقرى وأتلف مزارعهم، وحال دون الزراعة الأخرى، ولم يجد الأهالى وسيلة تصده عن الانتشار وصارت أستراليا فى خطر من اكتساحها بجيش من الزرع صامت يتقدم فى سبيله دون عائق.

وطاف علماء النبات والحشرات بنواحى العالم يبحثون عن وسيلة توقف جيش الاحتلال هذا، وأخيراً وجدوا حشرة شرهة لا تعيش إلا على ذلك الصبار ولا تتغذى بغيره، وهى سريعة الانتشار، وليس لها عدو يعوقها فى أستراليا، وما لبثت هذه الحشرة حتى تغلبت على الصبار وقضت على كل أسلحته، ثم ذهبت جيوش هذه الحشرات من حيث أتت ولم يبق منها سوى

بقية قليلة للوقاية، تكفى لصد الصبار عن الانتشار إلى الأبد.

وصدق ربى فى قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(١).

وأيضاً قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾(٢).

وهذه واقعة أخرى للضوابط والموازنات التى وضعها الله سبحانه وتعالى لهذا الكون والتى تدل دلالة قاطعة على قدرة الله تعالى وأن كل شىء عنده بمقدار وصدق ربى فى قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾(٣).

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٤).

لقد كان الاستعمار البريطانى يرابط على أرض الهند، وكان الجنود لا يجدون شيئاً يتخلصون به من فراغهم القاتل وأيامهم الرتيبة سوى العبث بمقدسات البلاد أو الإطاحة ببعض الرقاب. وفى يوم من الأيام أخذ أحد الجنود أجازته وقرر أن يقضيها فى بلدته إنجلترا ولكن ماذا يأخذ من الهدايا لعروسه من هذه البلاد؟ وبعد أن أعياه التفكير قرر أن يأخذ جلد ثعبان لما فيه من نقوش زاهية وأشكال هندسية بديعة، وعندما هبطت به الطائرة على أرض بلده كان يضع هذا الجلد على كتفه وكأنه لوحة فنية تبهر العيون، ولمح الجلد أحد تجار الأحذية فقرر أن يستولى عليه مهما كان الثمن، وفعلاً تحقق ما أراد، وصنع منه مجموعة من أحذية السيدات وما كاد هذا الصنف الجديد ينزل إلى سوق الأحذية، حتى تهافتت النساء على شرائها بأثمان باهظة، وتكاثر الطلب عليه الأمر الذى جعل تجار الجلود يتجهون إلى الهند لشراء العديد منها وانتشر هواة الصيد يقتنصون الثعابين ويسلخون جلودها ويبيعونها بمثل وزنها ذهباً.

وما هى إلا فترة وجيزة من عمر الزمن حتى تناقصت الثعابين إلى درجة كبيرة بل كادت أن تتلاشى بالكامل.

(١) سورة الفتح آية رقم ٧. (٢) سورة المدثر آية رقم ٣١.

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٢. (٤) سورة القمر آية رقم ٤٩.

وكانت الهند فى ذلك الوقت تزرع أراضيها بحقول القمح، وعندما اقترب موسم الحصاد، وذهب الفلاحون لجمع محصولهم وجدوا أن الفئران قد التهمته كله وكانت هذه ظاهرة عجيبة لم تحدث لهم من قبل، وأخيراً اهتدوا إلى أسباب الكارثة، لقد كانت الثعابين- وهى جند من الله- تتغذى على الفئران فكانت تقل ولا تكثر ولهذا كانت تسلم لهم حقول القمح ولكن عندما انقرضت الثعابين- انتشرت جيوش الفئران، فقضت على الغذاء الأساسى الذى كانوا ينتظرونه، وصدق ربى فى قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾(١).

وأيضاً: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾(٢).

فإذا تدخل الإنسان بطمعه وجشعه لتغيير هذا النظام عاجله ربه بالعقوبة وصدق ربى فى قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾(٣).

وإذا كانت الازدواجية هذه بالنسبة للنباتات فهل نجدها أيضاً فى دنيا الجمادات والمائعات؟

لقد أثبت العلماء أن الجماد يتكون من الذرات، وأن كل ذرة مزدوجة تتكون من نواه (بروتون) وكويكب (إلكترون) يدور حولها، وأن النواة كهرباء موجبة والكويكب كهرباء سالبة، فكل ما فى الجماد مزدوج ولا يتم كيانه إلا بهذا الازدواج.

والعجيب فى الأمر أن الموجب إذا التقى بالسالب فى عالم الكهرباء أنتج الضوء والحرارة، وسير المركبات والطائرات، وفجر البحار وشق الأنهار وتوالت الإنتاجية له والتى لا تقف عند حد.

فإذا التقى السالب بالسالب، أو الموجب بالموجب صار عقيماً لا ينتج شيئاً فلا يرسل دفئاً ولا يبعث ضوءاً.

---

(١) سورة الرعد آية رقم ٨.
(٢) سورة الفرقان آية رقم ٢.
(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٣١.

وعالم المغناطيسية كالكهرباء تماماً مكون من قطب سالب وآخر موجب فإذا التقى السالب بالموجب انجذب كل منهما إلى صاحبه، أما إذا كان سالباً وسالباً أو موجباً وموجباً فإنهما يتنافران ولا يلتقيان ويتباعدان ولا يقتربان.

يحدث هذا فى عالم الجماد، ويحدث فى عالم النبات والحيوان ولا يحدث العكس إلا فى عالم الإنسان عندما تفسد الفطرة وتنتكس الجبلة وتعيش فئة من البشر فى بؤرة التعفن، والانسلاخ من أبسط قواعد الآدمية، لقد كان من نتائج انجذاب الموجب مع الموجب والسالب مع السالب فى عالم الإنسان أن تفشى ما يسمى بالطاعون الجديد، أو طاعون الشواذ، أو القنبلة الموقوتة فى جسم الإنسان، وأخيرًا الاسم الحركى له «الإيدز».

لقد سمو «الإيدز» بطاعون الشواذ ونفس هذه التسمية هى التى أطلقها الرسول ﷺ منذ أربعة عشر قرناً حيث قال: «ما ظهرت الفاحشة فى قوم إلا أصابهم الله بالطاعون» نعم طاعون الشواذ أو الإيدز.

الذى يقول عنه الدكتور «كليفورد لين» إن ديناميكية التكاثر فى هذا الفيروس تعد من أعظم التأثيرت التى رأيتها فى علم «البيولوجيا» وهذا يفسر الأثر التخريبى أو التدميرى لهذا المرض.

ذلك أن الفيروس عندما تختفى من أمامه خلايا (أ) المساعدة عند تقدم المرض يعمل على تدمير بنيته وتدمير الخلايا الباقية أيضاً ويظل المريض إزاء ذلك بمنأى عن الشفاء.

إنها عملية تدمير، تدمير لكل الخلايا، وتدمير لبنية المجتمع قاطبة الذى يسمح لهؤلاء الشواذ بالإقامة فيه.

وهنا تبرز عظمة الإسلام وحكمته فى جعل الزنا واللواط من أبشع الجرائم وجعل الحدود المتعلقة بهما فى مكانهما الصحيح.

وتبرز عظمة الإسلام أيضاً فى تصوير عقاب المجتمع الذى ينساق وراء هذه الشهوة القبيحة حيث يدمرهم تدميراً قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ

﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾(١).

وهى صورة للتدمير الكامل الذى يقلب كل شىء ويغير المعالم ويمحوها ويقول الله أيضاً: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(٢).

وهذه الصورة المقلوبة أشبه بالفطرة المقلوبة الهابطة المرتكسة من قمة الإنسان إلى درك الحيوان بل إن كثيراً من الحيوانات تعف ملتزمة عند حدود فطرتها. ومن سنوات قليلة فى البلاد التى تسمى ببلاد التمدن والتحضر خرجت المسيرات والمظاهرات التى يقودها الشواذ جنسيّاً فى أوروبا وأمريكا مطالبين ببعض الحقوق التشريعية والمدنية الخاصة بهم وأمكنهم أن ينالوا بعض الحقوق المتعلقة بالحرية الشخصية وممارسة الفحشاء جهراً فى حماية القانون. وتحقق لهم ما أرادوا وأمكنهم بذلك أن يستغلوا قانون البشر الذى يخطئ ويصيب، ويجامل ويحابى، ويغفل وينسى فى تحقيق أغراضهم، فهل أمكنهم الإفلات من قانون الله تعالى؟ أو من عقاب السماء؟

لا. ليس فى استطاعتهم ذلك لقد حاصرهم الله تعالى وقضى على كل مقاومتهم عن طريق «الإيدز» الذى لا فكاك منه ولا مهرب من شباكه ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾(٣).

وإذا كانت الازدواجية فى عالم الجماد قد شملت الذرة والمغناطيسية فنجد الازدواجية أيضاً فى ملح الطعام الذى يتكون من صوديوم وكلوريد والأول شديد الاشتعال، والثانى غاز سام- إنه الموجب والسالب ونحن لا نستطيع بأى حال من الأحوال الاستغناء عن ملح الطعام إلا فى الضرورات الملحة التى تفرض علينا ذلك، وهذا الشىء الذى نحبه لا نقبله إلا عن طريق الازدواجية، فإذا انفصلا أشعل أحدهم الحرائق، ودمر المنشئات، وكان الآخر

---

(١) الصافات الآيات رقم ١٣٣- ١٣٦.
(٢) سورة هود الآيتان رقم ٨٢- ٨٣.
(٣) سورة الفجر آية رقم ١٤.

سما قاتلاً لكل من يلمسه أو يقترب منه.

والازدواجية نجدها أيضاً فى الماء، الماء الذى يعد أول شىء برز فى هذا الكون قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾(١).

والماء أيضاً هو أساس تكوين الخلية الأولى فى النبات والحيوان والإنسان قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(٢)

وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾(٣).

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾(٤).

هذا الماء يتكون من الهيدروجين والأكسجين والأول مشتعل والثانى يساعد على الاشتعال، الأول موجب والثانى سالب، وبغير تزاوجهما ما كان هناك نبات ولا حيوان ولا إنسان ولاختفت الحياة جملة من على هذا الكوكب.

والنتيجة أن كل ما فى الكون محتاج إلى ما يكمله، وانفرد بالوحدانية المطلقة الله وحده فإنه غير محتاج إلى ما يكمله، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾(٥).

وكل ما نشاهده أو ندركه خاضع لهذا الازدواج من ليل ونهار، وحياة وموت، وجسم وروح، وأرض وسماء، وطاقة ومادة، حتى الصفات والأحوال من قوة وضعف، ورضا وغضب، وغنى وفقر، وصحة ومرض، وخير وشر، ونبات وجماد، وكواكب ونجوم، وناطق وصامت، وحيوان وإنسان.

نعم الإنسان الذى خلقه الله تعالى من طين الأرض ونفخ فيه من روحه فأصبح مكوناً من مادة وطاقة، وظهر فيه عنصر الازدواجية قال تعالى: ﴿وَإِذْ

(١) سورة هود آية رقم ٧.
(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠.
(٣) سورة النور آية رقم ٤٥.
(٤) سورة الفرقان آية رقم ٥٤.
(٥) سورة الإخلاص كاملة.

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(١) .

وقال أيضاً : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾(٢) .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى: قد فطرنا من عنصر فيه طبيعة المادة فإن الله سبحانه وتعالى خلق عالمين آخرين من عنصر الطاقة هما: عالم الملائكة المخلوقين من النور، وعالم الجن المخلوقين من النار، والإنسان ينقاد لهذين العالمين المزدوجين عالم الملائكة الممثل للخير وعالم الجن الممثل للشر.

فالإنسان يقضى حياته فى صراع عنيف بين هذين الجانبين، فإذا نجح فى هذا الصراع وفاز فى هذا الابتلاء فهو من المفلحين، وإذا فشل وانجذب إلى الشر فقد خسر نفسه ودنياه وذلك هو الخسران المبين.

والملائكة تتنزل على المؤمنين الأتقياء قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾(٣).

والشياطين تتنزل على الفجار الآثمين قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾(٤) .

ومن هنا كان الإنسان مبتلى بحافزين قويين هما حافز الخير وحافظ الشر والسعيد من هداه الله والشقى من أضله الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٥).

يقول صاحب الظلال: «إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، لأن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هى التى تصمد للابتلاء بالخير».

(١) سورة الحجر الآيتان رقم ٢٨- ٢٩
(٢) سورة السجدة الآيات ٧- ٩.
(٣) سورة فصلت الآيتان ٣٠- ٣١.
(٤) سورة الشعراء الآيات رقم ٢٢١- ٢٢٣.
(٥) سورة الأنبياء آية رقم ٣٥.

كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف ولكنَّ قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة، ويكبحون جماح القوة الهائجة فى كيانهم.

كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل، ولكن قليلون هم الذين يصبرون على الثراء وما يغرى من متاع وما يثير من شهوات وأطماع.

كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء فلا يخيفهم ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم، ولكن قليلون هم الذين يصبرون على الإغراء بالرغائب والمناصب والمتاع والثراء.

كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الدعة والمرح ثم لا يصابون بالحرص الذى يذل أعناق الرجال وبالاسترخاء الذى يقعد الهمم ويذل الأرواح.

إن الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب فتكون القوى كلها معبأة بالاستقبال للشدة والصمود لها، أما الرخاء فيرخى الأعصاب وينيمها ويفقدها القدرة على اليقظة والمقاومة، لذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا فى الابتلاء[1].

ومن مظاهر الازدواج، أن لكل إنسان قريناً من الملائكة يحفزه إلى الخير وقريناً من الشياطين يدفعه إلى الشر.

روى الإمام مسلم والإمام أحمد عن ابن مسعود عن النبى ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير».

وروى الترمذى وابن حبان والنسائى عن النبى ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن

(١) راجع فى ظلال القرآن الكريم (٤: ٢٣٧٧- ٢٣٧٨).

آدم، وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان». وهذ الإنسان الذى خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته لم يخلق عبثاً وإنما وجد لغاية، وهى عبادة الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(١).

واهبط على الأرض ليقوم بدور الخلافة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢).

وحياته رحلة قصيرة، وأيامه معدودة فوق هذا الكوكب الأرضى وأجزاؤه وتركيباته وأطرافه صنعت لتلائم هذا الدور وتتناسب مع تلك المدة فهو لا يبقى فى رحلته أكثر مما قدر له، وإلا تلفت أعضاؤه وفسدت خلاياه فلا يستطيع القيام بدور أو المشاركة فى حياة.

وهذا الإنسان لا يكلف أكثر مما يطيق، ولا يعطى من المعرفة فوق ما تحتاجه هذه الرحلة، وإلا اختلطت عليه الأشياء وتعددت أمامه السبل.

وهذا الكون مخلوق ليتناسب وقدراته ويتلاءم مع مواهبه فلا يرهق من أمره عسراً.

وكل شىء محدود ومقدر ليس للصدفة مكان ولا للرأى العجل موضع ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٣).

وهذا الإنسان الفانى الضعيف يستطيع أن يتصل بالقوى الكبرى، قوة الله يتصل بلا وساطة أو كهانة، قال تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٤).

وكل إنسان يأخذ حقه كاملاً لا ينقص منه شىء وحياته ليست بقاءه على ظهر الأرض فقط، وليست هذه الرحلة القصيرة المحدودة ولكن هناك حياة باقية بعد هذه الحياة الفانية، فما نقص هنا ادخر له هناك، وما حرم منه فى الدنيا يضاعف له فى الدار الآخرة.

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦.
(٢) سورة البقرة آية رقم ٣٠.
(٣) سورة القمر آية رقم ٤٩.
(٤) سورة غافر آية رقم ٦٠.

وإذا كـان ذلك كـذلك فـمـا الداعى إلى القلق الذى يمـزق الإنسـان فى داخله؟ أو الحسرة على ما فات أو التألم على ما حرم منه؟ وهل استطاعت البشرية بما اخترعت من مبادئ وأفكار أن توجد الرضا فى داخل النفس؟

إن الواقع المشاهد ينفى ذلك.. ويقرر أنها أوجدت التكالب والصراعات والحروب المدمرة لأنها لم تستطع أن تسوى بين الأفراد جميعاً ولن تستطيع.

والمذاهب المادية على مـا بذلتـه من وعـود، ومـا سـودته من قـرارات لم تستطع أيضاً أن تزيل الدمامة عن مشوه الصورة أو تعوض إنسانا فقد عضوا واحدا من أعضائه، ولم تستطع بالرغم من تقدمها فى عالم المادة أن تجعل من ضعف النظر قوة ومن قصر القامة طولاً أو من العقم إخصاباً، أو أن تتحكم فى نوع الإنجاب ولكن الدين وإن لم يفعل ذلك فهو يقدم البديل لذلك كله.

إنه يقدم الاطمئنان إلى عدل السماء وحكمة الخالق يقول الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١).

ومع ذلك فنصيبه مدخر، وأجره محفوظ، وقد لا تنكشف لنا حكمة الخالق وعدله من قريب فعلينا أن نترصد لها، وحكمة الله مبذولة لخلقه، وتعطى لمن يصطفى من عباده.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٢).

وإلهامات الله لا تقف عند حد ولا تنتهى عند عصر ولا يختص بها جيل من الأجيال، يقول الرسول ﷺ: «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»(٣).

والله أعلم.

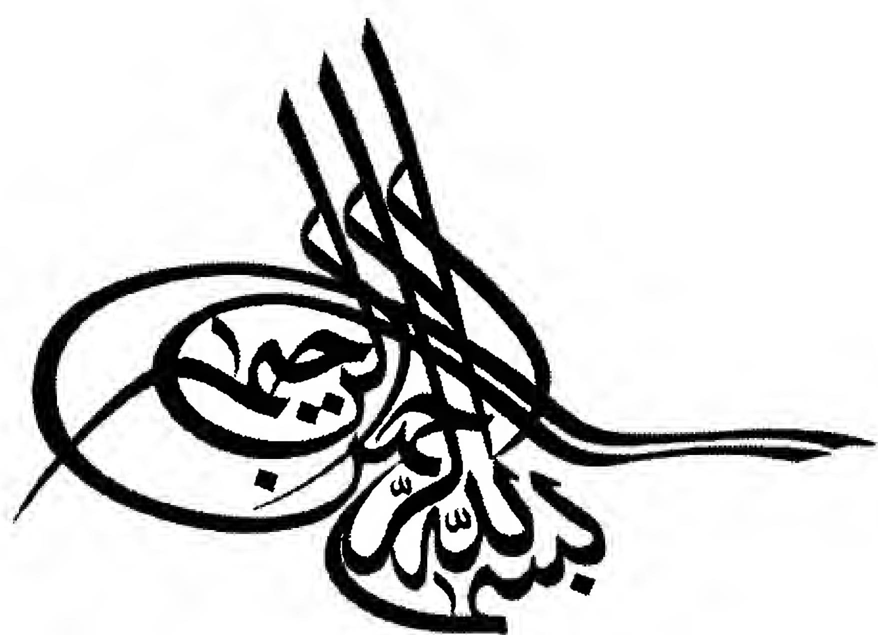
---

(١) سورة النساء آية رقم ١٩. (٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٩.

(٣) رواه الترمذى الحكيم فى النوادر والطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد مثله.

الوليد بن الوليد بن المغيرة

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

(الزمر: ٥٣)

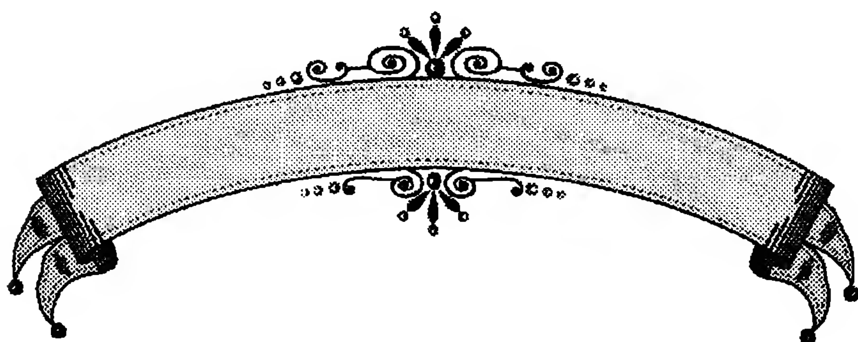
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء ورجال التفسير نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة، والوليد بن الوليد قال ذلك الإمام السيوطى فى الدر المنثور ٥: ٣٣٠.

وقاله ابن جرير فى التفسير ٢٤: ١٠.

وذكره الإمام الواحدى فى كتابه أسباب نزول القرآن ص ٣٨٤.

فمن هو الوليد بن الوليد..؟



يا عـين فـأبكى للوليـد بن الوليـد بن المغـيـرة
قد كان غيثاً فى السنين ورحمـة فينا وميرة؟
كان الوليد بن الوليد أبو الوليد فتى العشيـرة

أم سلمة زوج الرسول ﷺ



الوليد بن الوليد بن المغيرة

رضى الله عنه



حياته ونشأته

فتى قريش الذى نشأ فى بيت عز ومنعة.

وفدائى مغامر له فى نصرة المسلمين مواقف كتبت على جبهة التاريخ بأحرف من نور.

ومؤمن استقر الإسلام فى قلبه فصغرت فى عينيه الدنيا فترك المال وفرَّ بدينه إلى الله.

والده الوليد بن المغيرة: كان يقال له العدل، وسمى: أوحد العرب وأطلق عليه ريحانة قريش.

وكان أحد قضاة العرب فى الجاهلية.

وزعيماً من زعماء قريش فى دار الندوة.

ومن زنادقها الذين حملوا لواء الكيد والتعذيب ضد أتباع الدعوة الإسلامية. وفيه نزل قول الله تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ

يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾(١).

ومع ذلك يضعه بعض المؤرخين بأنه كان رزيناً هداه عقله إلى بعض الحق، منها أنه عرف أن الخمر لا تليق بالرجل الوقور، فحرمها على نفسه وهو فى الجاهلية قبل ظهور الإسلام، وحرمها على أبنائه، وضرب ابنه هشاماً على شرابها.

وكان يعرف للبيت حرمته وقدسيته فكان يكسو الكعبة وحده عاماً وتكسوها قريشاً عاماً آخر. من هنا جاء لقب العدل، لأنه كان يعدل قريش وأخو الوليد. خالد بن الوليد- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- . الذى سماه رسول الله ﷺ: «سيف الله».

والذى قال فيه أبو بكر الصديق- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«عجزت النساء أن يلدن مثل خالد».

نقول بأن الوليد بن الوليد نشأ فى بيت عز ومنعة.

وترعرع وهو محاط بكل أنواع الطيبات والنعم، ولما شب عن الطوق نزل مع إخوته إلى ساحة التدريب على ركوب الخيل، والقفز فوق ظهورها وهى تجرى، وكيفية إرسال السهم خلف الحيوانات البرية. وطرق المبارزة والمحاربة، وأماكن الضعف فى الرجال وكيفية أن يصيب أحدهم فى مقتل.

وسمع من أبيه مبكراً الامتناع عن شرب الخمر، فلم يذقها قط، ووشى على أخيه هشام عندما رآه فى يوم من الأيام يتجرعها عند أبيه فكان نصيبه الضرب والحبس حتى عاهد والده بعدم شربها مرة أخرى.

وكان الوليد بن الوليد: يحب مجالس الكبار، ويتابع والده فى مجالسه ويتسمع إلى حديثهم. بشأن وفود الحجيج والتجارة.

(١) سورة المدثر الآيات من ١١- ٢٨.

ويشارك إخوته عندما يذهبون إلى سوق عكاظ ويشاهدون مبارات الشعراء فى قول الشعر والمفاخرة بأمجاد القبيلة.

وحضر مع والده فى يوم من الأيام- دار الندوة وشاهد غضب الشيوخ على فتى بنى طالب. نعم يتيم بنى طالب.

هذا اليتيم الذى يدعى أنه رسول الله، ويأتيه الوحى من السماء، ويدعو إلى نبذ الأوثان والأصنام. وعبادة الواحد الأحد.

ويشاهد الوليد انتفاخ أوداج أبيه ويقول لشيوخ الندوة.

كيف ينزل وحى السماء على هذا اليتيم ويترك الوليد.

إننا لن نتبعه أبداً وما جاء به ليس إلا سحراً.

ويردد الشيوخ خلفه صدقت يا أبا خالد. لن نصدقه فيما يقول، ولن نتبعه فيما يدعو إليه. ثم قالوا: يا إله محمد- كنا نسمع، لو أنزلت قرآنك هذا ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(١)

كنا اتبعناه فيما يدعو وحشدنا جمعنا لدعوته..؟؟

ويرد عليهم القرآن سريعاً فى أمانيهم الباطلة، وتطلعاتهم الحاقدة بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٢).

وتعى ذاكرة الوليد بن الوليد اللاقطة كل هذه الأشياء التى تحدث فى محيطه والصراع الدائم بين محمد وسادة قريش.

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٣١.

(٢) الزخرف آية رقم ٣٢.

الوليد بن الوليد فى غزوة بدر..

استيقظت قريش فى يوم على صوت ينادى ويقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة فخرجوا سراعاً. فرأوا ضمضم بن عمرو الغفارى، وهو يصرخ ببطن الوادى واقفاً على بعيره، وقد قطع أنفه وحول رحله، وشق قميصه وهو يقول: أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.

فتجهز الناس سراعاً فكانوا بين رجلين، إما خارج، وإما باعث مكانه رجلاً وخرجت أشرافها فلم يتخلف منهم أحد.

وكان الوليد بن الوليد أحد هؤلاء الرجال الذين خرجوا لحرب محمد وأصحابه ومنع عير قريش أن ينالها مكروه.

وعلم الرسول- ﷺ - بخروج قريش، فخرج بأصحابه وكان عددهم لا يزيد على ثلاثمائة رجل واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وقبل التحرك من المدينة قال عليه السلام لأصحابه: أشيروا علينا أيها الناس..؟

فقام المقداد بن عمرو من المهاجرين فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك.. والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(١).

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد- موضع بناحية اليمن- لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال له رسول الله- ﷺ -: «خيراً ودعا له به».

ثم قال عليه السلام: أشيروا علىَّ أيها الناس- وإنما يريد الأنصار..؟

فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله..؟

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

قال: أجل..؟

قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ما يتخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً وإنا لصُبُرٌ فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك فسر بنا على بركة الله.

فسُرَّ رسول الله- ﷺ- يقول سعد ونشّطه ذلك. ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم ثم ساروا حتى وصلوا إلى أدنى ماء من بدر فنزلوا به.

فقال الحباب بن المنذر بن الجموح[1]: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأى والحرب والمكيدة..؟

قال عليه السلام: بل هو الرأى والحرب والمكيدة؟

فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نُغَوِّر ما وراءه من القُلُبِ ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء. ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

فقال الرسول- ﷺ-: «لقد أشرت بالرأى».

ثم إن قريشاً أرسلت عمير بن وهب الجمحى ليتعرف على عدد المسلمين وقوتهم فلما عاد إليهم قال: أما عدهم فهم ثلاث مئة رجل يريدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد..؟

قال: فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئاً. فرجع إليهم فقال:

(١) من الأنصار وكان يقال له ذو الرأى، وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ - مات فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ما وجدت شيئاً، ولكنى قد رأيت يا معشر قريش: البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإن أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك..؟

فروا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام[1] ذلك مشى فى الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال:

يا أبا الوليد: إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها. هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر..؟

قال: وما ذاك يا حكيم..؟

قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى..؟

قال: قد فعلت. فأت أبا جهل لعله يقبل.

قال حكيم فأتيت إليه فقلت: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا للذى قال:

فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه. كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد.

ثم التقى الجمعان، وتبارز بعض القوم، ثم التحموا وكانت موقعة ضارية جندل فيها فرسان النبوة صناديد قريش وأسروا بعضهم ثم فر الباقى لا يلوى على شىء. وفرح المسلمون بنصر الله ينصر من يشاء.

وتفقد رسول الله- ﷺ- الأسرى وكان فيهم الوليد بن الوليد بن المغيرة - أسره عبد الله بن جحش- رضي الله عنه.

---

(١) هو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج النبى، ولد فى الكعبة، وكان من أشراف قريش وتأخر إسلامه إلى عام الفتح توفى بالمدينة فى خلافة معاوية سنة ٥٤هـ.

فداء الوليد بن الوليد

دعى الرسول- ﷺ- قريش إلى فداء أسراها، فقدم خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة فى دفع فداء أخيهما فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتداه بأربعة آلاف. فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك.

فقال هشام لخالد: إنه ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت.

ويقال إن النبى- ﷺ- أبى أن يفديه إلا بشكة أبيه الوليد بن المغيرة، فأبى ذلك خالد، وأطاعه هشام بن الوليد لأنه أخوه لأبيه وأمه، وكانت الشكة درعاً فضفاضة وسيفاً وبيضة، فأقيم ذلك بمائة دينار وطاعا به وسلماه.

إسلام الوليد بن الوليد..

لقد شاهد الوليد- رضي الله عنه- يتيم بنى طالب كما كان يسميه أبوه. رجلاً يختلف عن كل الرجال. ما يكاد الرجل يراه ويتحدث إليه حتى يمتلئ قلبه حبّاً له. هذه واحدة.

الثانية: التى رآها الوليد أن قريشاً وقفت أمامه بقضها وقضيضها لتمنع الناس عن الإيمان به ففشلت فشلاً كبيراً.

الثالثة: هاجر إلى يثرب وأصبح له جيش من المهاجرين والأنصار يأمرهم فيطيعون، وينهاهم فينتهون. وأصبح عند كثير منهم أغلى من المال والولد وكل شىء.

الرابعة: التى رآها الوليد واقتنع بها وآمن أنه نبى الله حقّاً وصدقاً معركة بدر. لقد كان المسلمون قلة قليلة فى العدد والعدة والسلاح وكانت قريش، وهم أهل المعارك والحروب فى كثرة كثيرة من العدد والعدة والسلاح.

وشاهد الوليد وهو فى المعركة تساقط القتلى من المشركين دون أن

تتقدم إليهم سيوف المسلمين- وتساءل بينه وبين نفسه من يقتل هؤلاء. ولماذا لا يرى السيوف التى تطيح برقابهم. وأصبح هذا شغله الشاغل.

وعندما كان فى الأسر ينتظر حضور إخوته لدفع فديته وسمع أحد المسلمين يردد قول الله تعالى الذى نزل على رسوله بعد غزوة بدر وهو:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(١).

عندها آمن إيماناً كاملاً بأن الملائكة كانت مع المسلمين فى غزوة بدر وأن النصر الذى حققه المسلمون ما كان لهم أن يحققوه لو لم يكن الله معهم. لأن النصر من عند الله.

وجاء إخوته: ودفعوا فديته، وساروا به إلى مكة حتى بلغا به ذا الحليفة فأفلت منهم وأتى النبى- ﷺ - فأسلم وحسن إسلامه. فقال له خالد: هلا كان هذا قبل أن تفتدى وتخرج مأثرة أبينا من أيدينا فاتبعت محمداً إذ كان هذا رأيك..؟

فقال: ما كنت لأسلم حتى أفتدى بمثل ما افتدى به قومى، ولا تقول قريش إنما أتبع محمداً فراراً من الفدى.

ثم خرجا به إلى مكة وهو آمن لهما فحبسا بمكة مع نفر من بنى مخزوم كانوا أقدم إسلاماً منه. هما:

عياش بن أبى ربيعة.

(١) سورة الأنفال الآيات من ١٢- ١٦.

وسلمة بن هشام.

وكانا من مهاجرة الحبشة، فدعا لهما رسول الله- ﷺ-، قبل بدر، ودعا بعد بدر للوليد بن الوليد معهما.

فدعا ثلاث سنين لهؤلاء الثلاثة جميعاً.

ثلاث سنوات قضاها هؤلاء المسلمين الذين- قالوا ربنا الله- وكفروا بالأصنام والأوثان التى لا تنفع ولا تضر.

ولقد استطاع الوليد بن الوليد- بعد هذه الفترة الطويلة فى سجن قريش أن يتفلت منهم وقدم على الرسول- ﷺ- بالمدينة.

ففرح به الرسول- ﷺ- وسأله عن عيّاش بن أبى ربيعة وسلمة بن هشام.

فقال الوليد: يا رسول الله تركتهما فى ضيق وشدة وهما فى وثاق، رِجْل أحدهما فى رجل صاحبه..؟؟

فقال له رسول الله- ﷺ- انطلق حتى تنزل بمكة على القين فإنه قد أسلم فتغيب عنده واطلب الوصول إلى عياش وسلمة.

فدائية الوليد بن الوليد

واستجاب الوليد لأمر الرسول- ﷺ- وعاد مرة أخرى إلى مكة. عاد الفدائى إلى أرض الغضب والثورة على الإسلام والمسلمين عاد إلى مكة ليكون قريباً من القيد والحبس، ولكن الله معه وحافظه وأعانه الله على الوصول إلى مكان الأسيرين، وتسور عليهما البيت الذى حبسا فيه، وأخبرهما برغبة الرسول- ﷺ- وحطم قيودهما.

يقول الوليد: ففعلت ذلك فخرجا وخرجت معهما فكنت أسوق بهما مخافة من الطلب والفتنة حتى انتهينا إلى ظهر حرة المدينة.

وخرج خالد بن الوليد فى أثرهما ومعه مجموعة من فرسان قريش،

ولكن عميت عليهم الطرق، وسدت أمامهم المسالك. حتى وصل وفد الإيمان إلى رسول الله- ﷺ- سالماً غانماً ما عدا إصبع الوليد بن الوليد فقد أدميت لاصطدامها بحجر فى الطريق- فقال رضي الله عنه:

هل أنت إلا أصبع دميت

وفى سبيل الله ما لقيت

وعاش الوليد بن الوليد فى مدرسة النبوة قريباً من رسول الله- ﷺ- يعب من هديه، ويتطلع إلى آخر ما نزل من الوحى على رسول الله- ﷺ- ليكون دستور حياته ونوراً لقلبه وضياء لعينه. وكان مسجد الرسول- ﷺ- هو ساحة العلم والتعلم. حيث صحابة رسول الله- ﷺ- الذين سبقوه إلى رحاب الإيمان يجلس بين يديهم، ليتفقه فى دينه، ويتعلم شريعة ربه، وأركان الإسلام، وفقه الدين الحنيف.

الوليد بن الوليد فى عمرة القضاء

شاهد الوليد- رسول الله- ﷺ- وصحابته يتجهزون ويعدون للسفر عدته، لتكون وجهتهم بيت الله الحرام. لأداء العمرة والطواف بالبيت الذى منعهم من الدخول إليه فى العام السابق- كفار قريش.

وفيها نزل قول الله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١).

حتى سأل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فى ذلك فقال: يا رسول الله أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوّف به..؟

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٧.

قال: بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا..؟ قال: لا.

قال النبى- ﷺ-: فإنك آتيه ومطوف به.

وكان خروج الرسول- ﷺ- وصحابته إلى عمرة القضاء فى ذى القعدة من سنة سبع.

فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنها ودخلها المسلمون وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته وهو يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير فى رسوله

يا رب إنى مؤمن بقيله

أعرف حق الله فى قبوله

فاليوم نضربكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله

فلما دخل رسول الله- ﷺ- أدخل بعض ردائه تحت عضده الأيمن، وجعل طرفه على منكبه الأيسر، وأخرج عضده اليمنى. ثم قال: رحم الله امرءًا أراهم اليوم من نفسه قوة.

«ثم استلم الركن، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول:

كان الناس يظنون أنها ليست عليهم، وذلك أن رسول الله- ﷺ- إنما

صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم. حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها.

وقد أقام الرسول- ﷺ- وصحابته بمكة ثلاثاً. فأتاه حويطب بن عبد العزى(١)رسول قريش فى اليوم الثالث. وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله وصحابته من مكة بعد الثالث.

فقال: يا محمد إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا.؟؟

فقال النبى- ﷺ:

«وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً».

قال: لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا.

فخرج رسول الله- ﷺ- وخلف وراءه أبا رافع مولاه على ميمونة- التى كان قد خطبها- حتى أتاه بها بسرف. فبنى بها رسول الله ﷺ هناك.

ثم انصرف رسول الله- ﷺ- إلى المدينة فى ذى الحجة.

وخرج الوليد بن الوليد معه.

لقد رفضت قريش بقاء الرسول- ﷺ- بمكة أياماً معدودة ولكن لم يمض على ذلك إلا فترة وجيزة من عمر الزمن- حتى دخلها مع جماعة المسلمين عنوة. وفر هؤلاء الرجال إلى الصحارى والجبال ليكون مقرهم مع الوحوش الفاتكة والحيوانات الضارية- وتم تطهير بيت الله الحرام من الأوثان والأصنام. وفتحت الكعبة أبوابها للركع السجود الذين آمنوا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد. ونزل قول الله تعالى على رسوله:

(١) أحد مسلمة الفتح، أدركه الإسلام وهو ابن ستين سنة وأعطى من غنائم حنين مائة من الإبل، وأمره عمر بن الخطاب بتجديد الحرم وكان ممن دفن عثمان بن عفان.

رأى الملائكة فى غزوة بدر تقتل وتأسر المشركين، وشهد صلح الحديبية مع سهيل بن عمرو، وشهد حنيناً والطائف مسلماً. ومات بالمدينة ٥٤هـ.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ② وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾(١).

وتم النصر العزيز، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً. ونتساءل: أين الوليد بن الوليد- رضي الله عنه ..؟

هل حضر فتح مكة..؟ وشاهد هذا النصر العظيم؟

هل شاهد الذين عذبوه وسجنوه، وهم أذلاء يفرون إلى الصحارى والبرارى خوفاً من جيش الفتح.

إن أوثق المصادر تقول إنه مات متأثراً بجراحه إثر عودته إلى المدينة بعد رجوعه من عمرة القضاء، وكتب إلى أخيه خالد يدعوه إلى الإسلام.

وبكته نساء المدينة وذكرت فضائله أم سلمة بقولها:

يا عين فابكى الوليد بن الوليد بن المغيره

قد كان غيثاً فى السنين ورحمة فينا وميره

كان الوليد بن الوليد أبو الوليد فتى العشيره

فقال الرسول- صلى الله عليه وسلم -:

لا تقولى هكذا يا أم سلمة، ولكن قولى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٢).

عن ابن سعد بسنده عن يحيى بن المنذر قال:

قالت أم سلمة بنت أبى أمية:

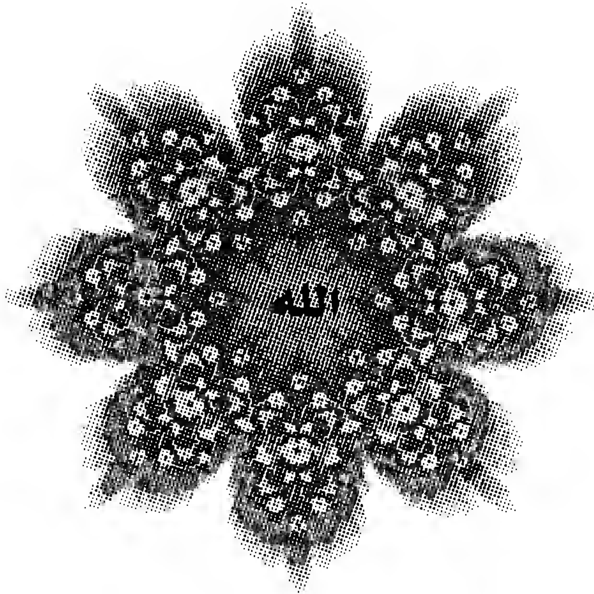
(١) سورة الفتح الآيات من ١- ٣.

(٢) سورة ق آية رقم١٩.

جزعت حين مات الوليد بن الوليد جزعاً لم أجزعه على ميت. فقلت لأبكين عليه بكاء تُحدث به نساءُ الأوس والخزرج. وقلت غريب توفى فى بلاد غُربة.

فاستأذنت رسول الله- ﷺ- فى ذلك فأذن لى فى البكاء.

رحم الله الوليد وأسكنه فسيح جناته.





تذييل

الجهاد فى سبيل الله

الجهاد فى سبيل الله

إن قوى البغى والعدوان منذ خلق الله البشر، وهى تعمل عملها فى دنيا الناس.

والمعركة مستمرة ودائمة بين أهل الإيمان وحزب الشيطان.

والصراع قائم بين أهل الهدى والضلال.

والحرب على أشدها بين عباد الرحمن وأبالسة الشيطان.

وعندما أخرجت قريش أتباع محمد- ﷺ- من ديارهم وصبت عليهم العذاب ألواناً. انتصر الله لعباده.

وأنزل على رسوله- ﷺ- قرآناً يتلى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾(١).

عندها بدأت الفدائية المؤمنة تعمل عملها لصد عدوان المعتدين، وتخليص الفئة المؤمنة من طغيان عصابات الشرك والكفر.

وكان بداية ذلك عن طريق الفدائى المؤمن والصحابى الجليل مرثد بن أبى مرثد الغنوى والذى كلف من الرسول عليه السلام بفك أسارى المؤمنين المحتجزين بين مخالب قريش. ونقلهم إلى مدينة الرسول- ﷺ-.

قال مرثد- رضي الله عنه- كنت تواعدت مع رجل من هؤلاء. فجئت فى نفس الموعد حتى انتهيت إلى حائط من حيطان مكة فى ليلة قمراء.

فجاءت «عناق» امراة من قريش كان بينهما صداقة فى الجاهلية. فأبصرت سواد ظلى بجانب الحائط.

(١) سورة الحج آية رقم ٣٩- ٤٠.

فلما انتهت إلىَّ عرفتنى فقالت: مرثد.

قلت: نعم مرثد.

قالت: مرحباً وأهلاً، هلمَّ فبت عندنا الليلة...؟

قال: قلت: يا عناق إن الله حرم الزنا.

وعندما تأكدت عناق من تصميمى على الرفض، ويأست من استجابتى لها.

قالت: يا أهل مكة: هذا الرجل هو الذى يحمل أسراكم إلى يثرب.

قال: وما هى إلا لحظات حتى تبعنى ثمانية رجال- فسلكت جبال مكة، حتى انتهيت إلى كهف من كهوفها فاختبأت فيه.

ولحقوا بى حتى قاموا على رأسى، ولكن الله أعماهم عنى، ولما يئسوا من العثور علىَّ عادوا من حيث أتوا.

وعدت إلى صاحبى فحملته، وكان رجلاً ضخم الجثة ثقيلاً حتى انتهيت إلى خارج مكة. فجلست وفككت عنه أساره.

ثم أخذت فى حمله، وكلما ثقل علىَّ- جلست لاستريح ثم أعاود الحمل والسير حتى قدمت المدينة. ووضعته أمام الرسول- ﷺ.

ولقد كانت هذه الفدائية تتكرر كثيراً فى العديد من الأيام.

وفى يوم من الأيام أردت أن يكون بيت عناق مأوى لراحتى- وقربى من المحتجزين واشركها معى فيما أقدم به من عمل إرضاء لله ولرسوله، وصالح المؤمنين.

فقلت يا رسول الله: أتزوج عناقاً..؟

فأمسك رسول الله- ﷺ- فلم يرد علىَّ شيئاً.

حتى نزل قول الله تعالى:

﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

فدعانى رسول الله- ﷺ- وقال: لا تتزوجها..؟!

ثم اتسع نطاق الفدائية المؤمنة عن طريق الصحابيين الجليلين «أبى بصير وأبى جندل» رضي الله عنهما- ومعهما رفاق أشداء من حملة السلاح. والذين أجبروا قريش على التنازل عن شروطها المجحفة فى صلح الحديبية- عندما قطعوا عليها طريق القوافل. واستولوا على كل ما تحمله قوافلهم من أموال وعروض التجارة..

وذهب زعيم قريش أبو سفيان بن حرب- ذليلاً خاضعاً للرسول- ﷺ- راجياً مستعطفاً أن يضم أبا بصير وجماعته إليه..

ولقد كان للوليد بن الوليد دوره الكبير فى فك أسار المسجونين من صحابة الرسول- ﷺ- بمكة ونقلهم إلى يثرب.

من ذلك أن الوليد بن الوليد ما كاد يعلن إسلامه- حتى أغلقت أمامه المنافذ ووضع مقيداً محجوزاً هو وصاحبيه قرابة ثلاثة أعوام.

حتى أراد الله سبحانه وتعالى أن يفك قيده. خرج متستراً بظلام الليل إلى أن وصل إلى يثرب على قدميه..؟!

وما كاد الوليد يلتقى بالرسول- ﷺ- حتى سأله:

كيف حال عياش بن أبى ربيعة، وسلمة بن هشام..؟

قال الوليد: تركتهما فى ضيق وشدة- وهما فى وثاق واحد رجل أحدهما مع رجل صاحبه.

عندها قال له الرسول- ﷺ:

«انطلق حتى تنزل مكة على القين الأشجعى فإنه قد أسلم، فتغيب عنده

(١) سورة النور آية رقم ٣.

واطلب الوصول إلى عياش وسلمة..

فإذا تمكنت من ذلك فأخبرهما أنك رسول رسول الله. وهو يأمركما أن تخرجا حتى تنطلقا إليه.

قال الوليد: ففعلت ذلك فخرجا بعد أن كسرت قيدهما- وخرجت معهما، فكنت أسرع بهما مخافة الطلب والفتنة حتى انتهينا إلى أبواب مدينة الرسول- ﷺ.

إنها الفدائية المؤمنة- التى استجابت لقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾(١).

وعندما جمعت قريش جموعها وبطونها وقبائلها ثم تعاقدت مع حلفائها اليهود بالمدينة على حرب محمد والقضاء على أصحابها.

وعبر القرآن الكريم عن ما حل بأهل يثرب من الخوف والرعب بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾(٢).

عندها تقدم نعيم بن مسعود- رضي الله عنه- أحد الفرسان المغاوير والمحارب المحنك الخبير بنفوس الرجال.

إلى رسول الله ﷺ- وقال: يا رسول الله إنى أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى. فمرنى بما شئت.

فقال رسول الله- ﷺ:

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١.

(٢) سورة الأحزاب الآيات ٩، ١٠، ١١.

«إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت.. فإن الحرب خدعة».

عندها خرج نعيم حتى أتى يهود بنى قريظة- وكان لهم نديماً فى الجاهلية- فقال:

يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم- وخاصة ما بينى وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال نعيم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، ولا تقدرون التحول إلى غيره.

وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره. فليسوا كأنتم.

فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل..؟

ولا طاقة لكم به إن خلا بكم..؟؟

فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه.

فقالوا: لقد أشرت بالرأى..

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبى سفيان بن حرب، ومن معه من رجال قريش: قد عرفت ودى لكم وفرارى من محمد.

وإنه قد بلغنى أمراً قد رأيت علىَّ حقاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم، فاكتموا عنى..؟؟

فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين

محمد- وقد أرسلوا إليه:

إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم..؟

فأرسل إليهم: أن نعم.

فإن بعث إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

عندها أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبى جهل لجماعة اليهود فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الإبل والخيل فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً.

فقالوا: لسنا بالذين نقاتل محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً.

فإنا نخشى إن نالت منكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم وتتركونا مع الرجل- والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك.

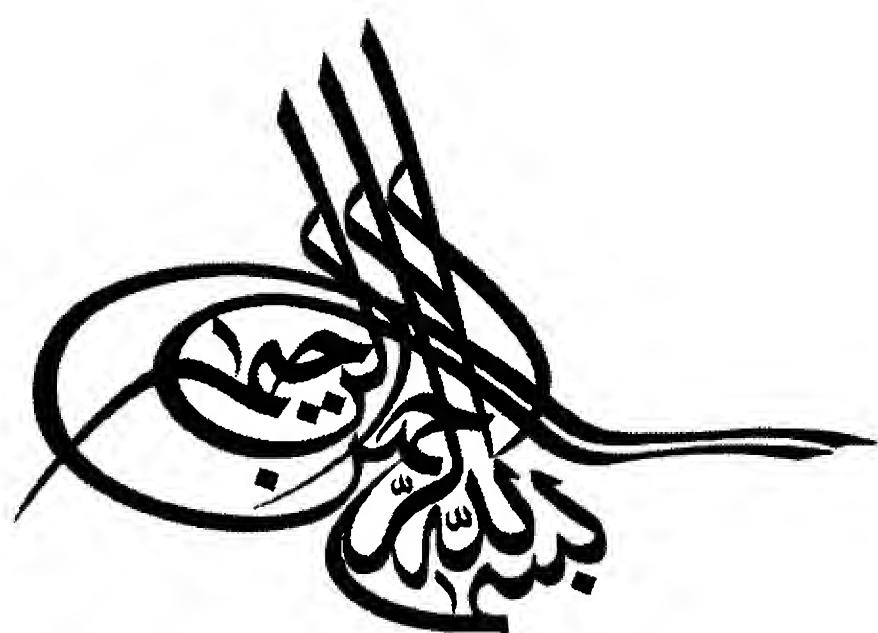
وعندما عاد عكرمة بما قاله اليهود.

قالت قريش وغطفان: والله إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة. وقالوا: والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً.

عندها قالت بنو قريظة: إن الذى ذكر لكم نعيم إنه لحق.

وخذل الله بينهم. وبعث عليهم الريح فى ليال شاتية باردة فملأت قلوبهم بالرعب والخوف، وفروا هاربين إلى مكة. وكفى الله المؤمنين القتال. وكان الله قوياً عزيزاً.

أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب
رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ
بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(آل عمران ١٦٩- ١٧٠)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

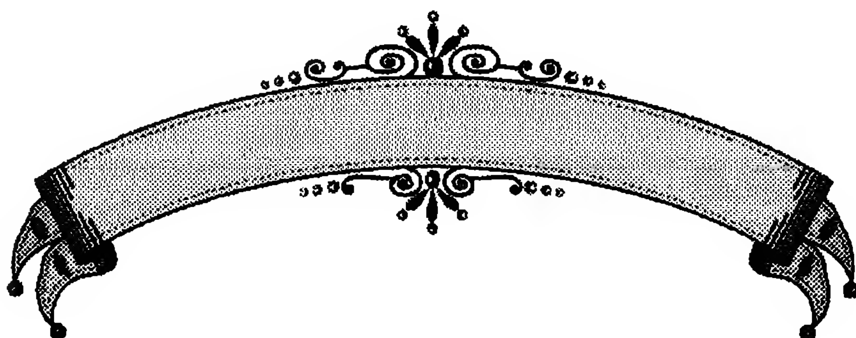
قال صاحب كتاب أسباب النزول نزلت في قتلى غزوة أحد من المسلمين. وتشمل كل مقتول شهيد في سبيل الله ومنهم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

وذكره أبو داود في كتاب الجهاد ٢٥٢٠.

وكذلك الحاكم في المستدرك ٢: ٨٨- ٢٩٧.

وصححه ووافقه الذهبي في الموضعين. وأحمد بن حنبل في مسنده ١: ٢٦٦ وأخرجه ابن جرير في التفسير ٤: ١١٣ وذكره ابن كثير في تفسير هذه الآية.

فمن هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب..؟



قال الرسول ﷺ:

«أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: من شباب أهل الجنة أو قال: أو سيد فتيان أهل الجنة».

راجع الاستيعاب فى معرفة الأصحاب

٤: ١٦٧٥


أبو سفيان بن الحارث
حياته ونشأته



أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب رضي الله عنه

ولد قريباً من بيت الله الحرام. أول بيت وضع على ظهر المعمورة. والذى قال الله تعالى فيه:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١].

وفتح أبو سفيان عينيه على أفواج الحجيج وهم يأتون من كل بقاع الأرض، يأتون زرافات وجماعات.

يأتون وكلهم شوق وحنين، ولهفة ورغبة للطواف بالبيت وأداء مناسك الحج والتقرب إلى الأوثان والأصنام. وتقديم القرابين لها. وذبح الذبائح تحت أقدامها.

وكان موسم الحج قبل البعثة المحمدية سوقاً رائجة.

للبضاعة المزجاة التى تأتى من كل أنحاء الكرة الأرضية.

وسوقاً رائجة للتجارة الرابحة والخير الوفير.

وما يحمله بعض الحجيج معهم من توابل وملابس وأطعمة.

(١) سورة آل عمران الآيتان ٩٦- ٩٧.

وكان يقام فى هذه المواسم: أسواق عكاظ، ومجنة، وذى المجاز، وفى هذه الأسواق. يتبارى الشعراء والحكماء.

ويبالغون فى ذكر مفاخر القبيلة، ووصف الطبيعة، وذكر الهجر والقرب ودلال النساء. وشكاية المحبين.

وبعضهم: يصور المعارك والحروب والهزيمة والنصر، المعارك التى كانت تقام لأوهى الأسباب ويستمر اشتعالها العديد من السنين.

فتهلك الحرث والنسل، وتؤيم النساء بقتل الأزواج وتجعل الأمهات ثكلى لقتل فلذات الأكباد!!

وكان أبو سفيان- وهو الفتى اليافع- حريصاً على مشاهدة ذلك كله، وتلتقط أذنه الواعية- كل ما يقوله الشعراء، أو يتلفظ به الحكماء، أو يلوح به الخطباء.

وترصد عيونه حركات الحجيج. لأداء المناسك.

يشاهدهم وهم يطوفون حول الكعبة.

يشاهدهم وهم يتجرعون من ماء زمزم.

يشاهدهم وهم يتزاحمون فى السعى بين الصفا والمروة.

وكان يجد فى ذلك لذة ونشوة تنسيه وقدة الجوع، وشدة الظمأ، فإذا جاء المساء، وحلت ظلمة الليل.

أطلق ساقيه تسابقان الريح- إلى منزله- فإذا وصل إلى الدار ارتمى بين أحضان أمه- يقص على مسامعها- ما التقطته أذناه، وما شاهدته عيناه طول يومه.

حتى إذا قامت الأم لتضع له طعامه وشرابه- لم يكف عن الكلام، ولم ينقطع عن الثرثرة- ورواية ما حدث. حتى يأتى الطعام ويأخذ فى ازدراده.

فإذا أخذ كفايته من الطعام- تناول بعض التمرات- ويروح فى نوم عميق.

والده: الحارث بن عبد المطلب بن هاشم- يسجل له التاريخ الكثير من المواقف العملاقة. مع أبيه عبد المطلب.

ومن أهمها- مشاركته أبيه فى حفر بئر زمزم- ووقوف قريش ضد والده ورغبتها فى مشاركة عبد المطلب فيها؟؟

ورفض عبد المطلب ذلك. فكان الحارث سفيراً فوق العادة بين أبيه وقريش.

وجده: عبد المطلب بن هاشم الذى ذهب إلى أبرهة- صاحب الفيل الذى جاء لهدم بيت الله الحرام. فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه، وأجلسه بجواره.

فقال عبد المطلب لترجمان أبرهة: مطلبى أن يرد علىَّ الملك مئتى بعير أصابها لى..؟؟

فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حتى رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى، أتكلمنى فى مئتى بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه..؟؟

قال له: عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإنَّ للبيت ربّاً سيمنعه..؟؟

قال الملك: ما كان ليمتنع منى..؟ قال عبد المطلب: أنت وذاك.

وحمى رب البيت بيته وهزم أبرهة هزيمة منكرة.

وعبد المطلب: هو الذى أُمِرَ بحفر زمزم لتكون شراباً سائغاً للحجيج وزوار البيت..؟؟

قال عبد المطلب: إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت فقال: احفر طيبة..

قلت: وما طيبة..[1]؟

قال: ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال احفر برة[2].

---

(١) قيل لزمزم طيبة. لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم عليه السلام.

(٢) قيل لها برة: لأنها فاضت على الأبرار وغاضت على الفجار.

قلت: وما برة..؟

قال: ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فجاءنى فقال: احفر المضنونة.

فقلت: وما المضنونة(١)..؟

قال: ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه. فجاءنى فقال: احفر زمزم.

قلت: وما زمزم..؟

قال: لا تنزف(٢) أبداً ولا تُذم(٣)، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم(٤)، عند قرية النمل(٥).

فلما تيقن عبد المطلب مما يقوله الهاتف: غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث ابن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الحجارة التى طوى بها البئر. كبَّر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها..

قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم..؟؟

فقالوا: فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها.

---

(١) قيل لها مضنونة: لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع بها منافق.

(٢) لا تنزف: لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

(٣) لا تذم: أى لا توجد قليلة الماء تقول: أذمت البئر إذا وجدتها قليلة الماء.

(٤) الأعصم من الغربان: الذى فى جناحه بياض. وقيل غير ذلك.

(٥) زمزم يرد إليها الحجيج من كل جانب ويحملون لها البر والشعير وهى لا تحرث ولا تزرع وكذلك قرية النمل لا تحرث ولا تزرع وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب: راجع الروض الأنف وما يعول عليه فى قرية النمل.

قال: فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه..؟

قالوا: كاهنة بنى سعد هذيم.

قال: نعم. وكانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: والأرض ذلك مفاوز.

قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه. فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم.

وقالوا: إنا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم. قال لأصحابه: ماذا ترون.؟

قالوا: ما رأينا إلا تبع لك. فمرنا بما شئت.

قال: فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته بنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم رجلاً واحداً. فضيعة رجل واحد أبر من ضيعة ركب جميعاً.

قالوا: نعم ما أمرت به.

فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً.

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد. ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون.

تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب. فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم. ثم دعا القبائل من قريش. فقال: هلم

إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا، فجاءوا فشربوا واستقوا ثم قالوا: «قد قضى الله لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً. إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة، هو الذى سقاك زمزم. فرجع ورجعوا ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبينها.

فأبو سفيان هذا حفيد عبد المطلب بن هاشم.

وابن عم محمد- ﷺ- خاتم الأنبياء والمرسلين.

ولكن الله تعالى- لأمر أراده- لم يشرح صدره للإسلام، ولم يجعله من أولئك السابقين المهاجرين الذين شملهم قول الله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾(١).

بل وقف فى وجه الدعوة إلى الإسلام- يصد عنه بالكلمة، ويعامل أتباعه بقسوة، وينال من الرسول- ﷺ -.

ينال من أخيه من الرضاعة، فقد أرضعتهما حليمة السعدية.

واستمر على ذلك حتى أراد الله سبحانه وتعالى به الخير. فانضم إلى جند الله، ولكن المرء ليتساءل كيف غاب عن عقله نور النبوة وهدى الإسلام..؟

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

أبو سفيان مع المشركين فى غزوة بدر

غزوة بدر الكبرى- تلك الملحمة الرائعة التى نصر الله فيها المسلمين نصراً مؤزراً وهزم المشركين هزيمة منكرة.

وكان أبو سفيان من هؤلاء الذين خرجوا مع قريش فى جيش جرار يريدون أن ينالوا من محمد وصحابته.

يريدون بجهلهم وقصور عقولهم. إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وكان مع أبى سفيان أخوه نوفل بن الحارث الذى وقع أسيراً فى أيدى جند الله المسلمين. الذين هيأهم الله لإخراج الناس كل الناس، من عبودية الشرك إلى رحابة الإسلام.

ويصف أبو سفيان ما حدث فى غزوة بدر لأبى لهب فيقول:

«والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا.؟؟

وايم الله ومع ذلك ما لمت الناس على هزيمتهم.

لقد لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق- بين السماء والأرض- والله ما تبقى شيئاً ولا يقوم لها شىء.

عندها قال أبو رافع، مولى العباس بن عبد المطلب- وكان قريباً من مجلسهم- تلك والله الملائكة.

قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة..

ونتساءل هل نزلت الملائكة وحاربت المشركين فى غزوة بدر..؟

إن بعض المنافقين ينكر ذلك..

وإذا لم تكن الملائكة- فما هو الشىء الذى رآه أبو سفيان بين السماء

والأرض..؟

إنه يقول: إنه رأى رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض.

أتكون هذه خيالات.

ولكن أبا سفيان شاهد سيوفهم- وهى تحصد رقاب أصحابه وأتباعه من المشركين وشاهد هذه الرقاب- والرءوس وهى تتدحرج على الأرض..؟

إذن ما رآه أبو سفيان لم يكن أوهاماً ولم يكن نوعاً من الخيالات ولكنه كان حقيقة مجسمة شاهدها ورآها عن قرب - وهو فى قلب المعركة.

ومما يؤكد ذلك ويجزم بصدقه قول الرسول- ﷺ- الذى رواه الإمام صاحب الموطأ بسنده عن طلحة بن عبيد قال: قال رسول الله- ﷺ: «ما رئى إبليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة».

قالوا: لما يا رسول الله؟

قال: وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب. إلا ما رأى يوم بدر..؟؟

قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر..؟

قال: أما أنه رأى جبريل يدفع الملائكة.

وعن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه راية فى صورة رجل من بنى مدلج وقال لقريش: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإنى جار لكم».

وجاء الشيطان فى صورة سراقة بن مالك. فلما اصطف الناس أخذ رسول الله- ﷺ- قبضة من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه- وكانت يده فى يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده فولى مدبراً هو وشيعته. فقال الرجل: يا سراقة تزعم أنك جار.. ثم تولى وتهرب منا؟ قال: «إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف

الله»- وذلك حين رأى الملائكة: ويقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(١).

أما نوفل بن الحارث الذى قلنا وقع أسيراً، فقد قال له الرسول- ﷺ- «افد نفسك..»؟

قال: ليس لى مال أفتدى به..

قال: افد نفسك بأرماحك التى بجدة.

قال: والله ما علم أحد أن لى بجدة أرماحاً غير الله تعالى. أشهد بأن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله. ونوفل: كان ممن ثبت مع الرسول ﷺ- يوم حنين. وأعان رسول الله- ﷺ- عند الخروج إلى حنين بثلاثة آلاف رمح.

فقال ﷺ:

كأنى أنظر إلى أرماحك هذه (وهى) تقصف ظهور المشركين.

إسلام أبى سفيان بن الحارث

خرج الرسول- ﷺ- فى عشرة آلاف مقاتل لغزو قريش وعميت الأخبار عن قريش حتى نزل مرَّ الظهران وفى مكان «نيق العقاب» فيما بين مكة والمدينة إلتقى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبدالله بن أمية بن المغيرة برسول الله- ﷺ- وإلتمسا الدخول عليه فكلمته أم سليم فيهما. فقالت:

«يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك.

قال: لا حاجة لى بهما.. أما ابن عمى فهتك عرضى، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال..؟؟

(١) سورة الأنفال آية رقم ١٢.

فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبى سفيان بنى له.

قال: والله ليأذن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فقال على بن أبى طالب- رضي الله عنه- لأبى سفيان بن الحارث: إيتِ رسول الله- ﷺ- من قبل وجهه فقل له: ما قال إخوة يوسف ليوسف عليه السلام: ﴿تَاللَّه لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحدٌ أحسن قولاً منه. ففعل ذلك أبو سفيان.

فقال له الرسول- ﷺ-: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١).

وقبل منهما، وأسلما وأنشده أبو سفيان قوله فى إسلامه، واعتذاره مما سلف منه:

لعمرك إنى يوم أحمل راية
لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالمظلم الحيران أظلم ليله
فهذا أوانى حين أهدى فأهتدى
هدانى هادٍ غير نفسى ودلنى
على الله من طرَّدته كل مطرَّد
أصدُّ وأناى جاهداً عن محمد
وأدعى وإن لم أنتسب من محمد(٢)

قال ابن اسحاق: فذكروا أنه حين أنشد رسول الله- ﷺ- قوله: «من طرَّدته كلَّ مطرَّد» ضرب رسول الله- ﷺ- صدره وقال: أنت طرَّدتنى كلَّ مطرد.

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٩٢.
(٢) راجع الاستيعاب ٤: ١٦٧٥.

أبو سفيان فى موقعة حنين

وشهد أبو سفيان غزوة حنين، وأبلى فيها بلاء حسناً عندما فرَّ جماعة من المسلمين، ولم يفر يومئذ، ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله- ﷺ- حين انصرف الناس عنه- وغزوة حنين التى نزل فيها قول الله تعالى:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾(١).

لقد كان أبو سفيان بن الحارث- يشبه النبى- ﷺ- وكيف لا يكون كذلك، وهو ابن عمه وأخوه من الرضاعة، وعمرهما متقارب لهذا كان الرسول- ﷺ- يحبه بعد إسلامه، وشهد له بالجنة.

وكان عليه السلام يقول له: «أرجو أن تكون خلفاً من حمزة»- رضي الله عنه- وهو أيضاً معدود من فضلاء الصحابة.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال رسول الله- ﷺ-: «أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة، أو سيد فتيان أهل الجنة».

وعندما حضرته الوفاة: قال لأهله وأولاده: لا تبكوا علىَّ، فإنى لم أتلطخ بخطيئة منذ أسلمت. وبشرنى الرسول بالجنة..

إنه طاهر الظاهر والباطن. قريب من الرسول- ﷺ- لم يفارقه منذ إسلامه وكان دائماً معه فى حله وترحاله، فى ظعنه وإقامته، فى سلمه وحربه.

وكيف يفارقه- بعد أن فَتَح الله بصيرته وشَرَح صدره للإسلام، إنه لم يفعل.

(١) سورة التوبة الآيتان ٢٥- ٢٦.

حتى كان يوم ليس كمثله يوم نعى الناعى إليه خاتم النبيين ورسول البشرية كلها إلى يوم الدين- وصاحب الدين الذى لا يقبل الله من أحد غيره قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾(١).

وقال أيضاً:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٢).

فكان الحزن كبيراً لفراق أحب الخلق إلى الله، وقال مرثيته الحزينة والتى بدأها قائلاً:

أرقت فبات ليلى لا يزول

وليل أخى المصيبة فيه طول

لقد عظمت مصيبتنا وجلت

عشية قيل قد قُبض الرسول(٣)

وهى طويلة جداً وتعد من عيون الشعر العربى بعامة. ثم ختمها بقوله:

أفاطم إن جزعت فذاك عذر

وإن لم تجزعى ذاك السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر

وفيه سيد الناس الرسول

رحم الله أبا سفيان بن الحارث بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٩.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٨٥.

(٣) راجع أسد الغابة ٦: ١٤٧.



تذييل

أخلاقيات المجتمع الإسلامي

أخلاقيات المجتمع المسلم..

هناك مجموعة من الصفات التى يجب أن يتصف بها المسلمون بعامة وهى صفات لابد منها لمن يكون عمله يتصل اتصالاً مباشراً مع أفراد المجتمع. وهذه الصفات لا شك لها دور هام فى إنجاز الأمور. وحل المشكلات. وإدخال الطمأنينة والارتياح فى نفوس من يتعامل معه. حتى يحقق له ما يريد. ومن أولى هذه الصفات الصدق.

أولا : الصدق من أخلاقيات المجتمع المسلم، الصدق فى كل شىء، وتحريه فى كل قضية، والمصير إليه فى كل حكم، وهو دعامة ركينة فى أخلاقيات المؤمنين القانتين الذى يعلمون أن الله معهم فى كل وقت وحين.

وعلى صاحبها محاربة الظنون، ونبذ الشائعات، والبعد عن الظنون، لأن الحقائق الثابتة وحدها هى التى يجب أن تظهر وتتغلب. يقول الرسول ﷺ :

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»(١) .

وقال أيضاً: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة».

وقد نعى القرآن الكريم على أقوام جريهم وراء الظنون التى ملأت عقولهم بالخرافات، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب فقال:

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾(٢) .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الوصايا ٨ والنكاح ٤٥ والفرائض ٢ والأدب ٥٧، ٥٨ ومسلم فى البر والترمذى فى البر ٥٦ وصاحب الموطأ فى حسن الخلق ١٥ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٢٤٥، ٢٨٧، ٣١٢ (حلبى).

(٢) النجم آية رقم ٢٣.

ولقد كانت المعالم الأولى لأصحاب الوظائف العامة فى الدولة الإسلامية صدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط العمل.

أما الكذب وسوء الأخلاق، والتدليس والافتراء فهى أمارات النفاق وانقطاع المصلحة بشرع الله تعالى.

والكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد فى نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاءً.

ولقد سئل رسول الله- ﷺ

أيكون المؤمن جباناً..؟

قال: نعم.

قيل له: أيكون المؤمن كذاباً...؟

قال: لا. المؤمن لا يكذب..؟؟ (١)

فالصحافى: الذى ينشر على الألوف خبراً باطلاً لا يصلح أن يكون موظفاً عامّاً فى دولة الإسلام. والسياسى الذى يعطى الناس صوراً مقلوبة عن المسائل الهامة فى الدولة، لا يصح أن يكون والياً عامّاً على المسلمين، وذو الغرض الذى يتعمد سوق التهم على الكبير والصغير من الرجال والنساء لا يصح بأى حال من الأحوال أن يكون موظفاً عامّاً توضع بين يديه مصائر الشعوب ومتطلبات الأفراد.

وهناك فريق من الناس يتخذ المدائح الفارغة بضاعة يتملق بها الرؤساء ويصوغ من الشعر القصائد المطولة، ومن النثر الخطب المرسلة، فيكيل الثناء جزافاً ويرسل حبات المدح أطناناً. وربما وصف بالعدالة الولاة الجائرين ووصف بالشجاعة الأغنياء الخوارين، ابتغاء عرض من الدنيا. عند هؤلاء وأولئك. هذا وأمثاله لا يصح للوظائف العامة.

(١) الحديث أخرجه صاحب الموطأ فى كتاب الكلام ١٩ بسنده عن صفوان بن سليم قال: وذكره.

والتاجر الذي يكذب في بيان سلعته، ويغالي في عرض ثمنها والشاري الذي يبخس ثمنها. هؤلاء وأمثالهم يفسدون المجتمع، ويعطلون الشرع ويقوضون صروح العدالة. والمحتسب الذي يترك هؤلاء، ولا يضرب على أيديهم ويطهر الأسواق من ضلالهم لا يصلح أن يتولى وظيفة عامة.

ثانياً: الإخلاص: نقول إن البواعث التي تسوق المرء إلى العمل، وتدفعه إلى إجادته وتجويده وتغريه بتحمل التعب فيه، أو بذل الكثير من أجله لا شك أن الإخلاص يكون أحد هذه العوامل.

وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، وصلاح النية يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة.

قال: ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدق.

فالرجل يواقع امرأته يريد أن يحفظ عفافه، ويصون دينه، له في ذلك أجر «وفي بضع أحدكم صدقة»(١).

والمرء ما دام قد أسلم وجهه لله وأخلص نيته، فإن حركاته ونوماته ويقظاته، تحتسب خطوات إلى مرضاة الله.

حدث في غزوة العسرة أن تقدم إلى رسول الله- ﷺ- رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه، وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل الله غير أن الرسول لم يستطع تجنيدهم، فعادوا وفي حلوقهم غصة لتخلفهم عن الميدان، وفيهم نزل قول الله تعالى:

﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾(٢).

ولذلك نوه الرسول- ﷺ- بإيمان أولئك القوم وإخلاصهم فقال للجيش

(١) أخرجه الإمام مسلم في الزكاة ٥٢ وأبو داود في التطوع ١٢ والأدب ١٦٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٥: ١٦٧، ١٦٨ (حلبي).

(٢) سورة التوبة آية رقم ٩٢.

السائر لملاقاة الأعداء:

«إن أقواماً خلَّفنا بالمدينة ما سلكنا شِعباً، ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر».

فالنية الصالحة تضفى على صاحبها القبول الواسع، والنية المدخولة تنضم إلى العمل الصالح، فيستحيل بها إلى معصية تستجلب الويل. قال الله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [1].

ولا شك أن إخلاص العبد صاحب الوظيفة العامة ينطفئ رويداً رويداً كلما هاجت فى النفس نوازع الأثرة وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه وبُعد الصيت، والرغبة فى العلو والافتخار، وذلك لأن الله يحب العمل النقىَّ من الشوائب المكدِّرة.

ومن الصفات أيضاً التى يجب أن يتصف بها صاحب الوظيفة العامة.

ثالثاً: الصبر:

يقول الرسول- ﷺ «الصبر ضياء» [2].

فإذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت المصائب وطال ليلها فالصبر وحده هو الذى يشع للمسلم النور العاصم من التخبط.

ورجل الوظيفة العامة يجب أن يتحلى بالصبر، حتى لا يغضبه صاحب حاجة، ولا يؤثر عليه إلحاح ملح عجول.

وقد أكد الله تعالى أن ابتلاء الناس لا مفر منه، حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة، فلا تذهلهم المفاجآت.

---

(١) سورة الماعون الآيات من ٤- ٧.

(٢) رواه مسلم فى الطهارة ١ والترمذى فى الدعوات ٨٥ والنسائى فى الزكاة ١ وابن ماجه فى الطهارة ٥.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[1].

وقال الشاعر الصابر:

عرفنا الليالى قبل ما نزلت بنا

فلما دهتنا لم تزدنا بها علماً

وسنة العظمة والصبر على متطلبات الحياة، والصبر على سخافات الناس ولؤمهم هى التى أوحت لقائد أمريكى كبير أن يقول:

«لا تسأل الله أن يخفف حملك، ولكن اسأل الله أن يقوى ظهرك، إن خفة الحمل، وفراغ اليد، وقلة المبالاة صفات قد يظفر الأطفال منها بقسط كبير، لكن مشاغل العيش، وهموم الواجب، ومرارة الكفاح، واستدامة السعى هى أخلاق المجاهدين البنائين فى الحياة».

والتريث والمصابرة خصال تتسق مع سنن الكون القائمة ونظمه الدائمة فالزرع لا ينبت ساعة البذر، والجنين يظل فى بطن الحامل شهوراً حتى يستوى خَلقه، وقد أعلمنا الله عز وجل أنه خلق العالم فى ستة أيام. فأصحاب الوظائف العامة، لماذا يقلقون ولا يصبرون...؟

ولماذا هم ساخطون، ولا يرضون...؟

إن عملهم أشرف الأعمال، ومهنتهم من أرقى المهن ما داموا يعملون لسد حاجة المجتمع وإسعاد أفراده.

أما الصبر على النكبات، والصبر على تقلبات الأيام، والصبر على فراق الأحبة، فهذا من عزائم الرجال.

عن القاسم بن محمد قال: هلكت امرأة لى. فأتانى محمد بن كعب القرظى يعزينى بها فقال: إنه كان فى بنى إسرائيل رجل فقيه، عالم عابد مجتهد، وكانت له امرأة وكان بها معجباً. فماتت، فوجد عليها وجداً شديداً

(١) سورة محمد آية رقم: ٣١.

حتى دخل فى بيت وأغلق على نفسه واحتجب، فلم يكن يمكن أحداً من الدخول عليه فسمعت به امرأة من بنى إسرائيل فجاءته فقالت:

«إن لى إليه حاجة استفتيه فيها، وليس يكفينى إلا أن أشافهه بها ولزمت بابه..؟

فأخبر بها. فأذن لها.

فقالت: أستفتيك فى أمر.

قال: وما هو..؟

قالت: إنى استعرت من جارة لى حلياً فكنت البسه زماناً ثم إنها أرسلت تطلبه أفأرده إليها..؟

قال: نعم والله.

قالت: إنه مكث عندى زماناً.

فقال: ذاك أحق لردك إياه.؟؟

قالت له: يرحمك الله افتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك..؟

وهو أحق به منك..؟

فابصر ما كان فيه، ونفعه الله بقولها»[1].

رابعاً: الوقت: على رجل الوظيفة العامة أن يهتم بالوقت اهتماماً كبيراً، لأن كل مفقود عرضة أن تسترجعه، إلا الوقت، فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل. ولذلك كان الوقت أنفس ما يملكه إنسان.

ومن الحكم التى تغيب عن بال الجماهير: الواجابت أكثر من الأوقات، والزمن لا يقف محايداً، فهو إما صديق ودود، أو عدوٌّ لدود.

ومن كلمات الحسن البصرى:

«ما من يوم ينشق فجره إلا نادى منادٍ من قبل الحق: يا ابن آدم، أنا خلق

(١) ذكره الإمام مالك فى الموطأ.

جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود منى بعمل صالح، فإنى لا أعود إلى يوم القيامة.

ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التبكير، ورغبته فى أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطاً طيب النفس مكتمل العزم، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يتتبع الرغبة القوية فى ألا يضيع سائره سدى وفى الحديث: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها»(١).

وإنه لمن الغفلة والحرمان أن يألف أقوام النوم حتى الضحى، فتطلع عليهم الشمس وهم يغطون فى نوم عميق، على حين تطلع على آخرين وهم منهمكون فى وسائل معاشهم ومصالحهم.

روى أن فاطمة بنت محمد- رضوان الله عليها- قالت:

«مرَّ بى رسول الله- ﷺ- وأنا مضطجعة متصبحة فحركنى برجله ثم قال:

«يا بنية قومى اشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

إذ أن الجادين والكسالى يتميزون فى هذا الوقت فيعطى كل امرئ حسب استعداده من خير الدنيا والآخرة.

خامساً: الرحمة

الرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه، فإن رحمته شملت الوجود كله، وعمت الملكوت بأسره، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شىء أشرق معه شعاع الرحمة الغامرة ولذلك كان من صلاة الملائكة:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٢).

(١) الحديث رواه الترمذى فى البيوع٢٦، وابن ماجه فى التجارات ٤١، وأحمد بن حنبل فى المسند ١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦ (حلبى).

(٢) سورة غافر آية رقم ٧.

وقد جاء فى الحديث القدسى عن رب العباد: «إن رحمتى تغلب غضبى»(١).

وما ترى فى الأرض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر أثر من رحمة الله التى أودع جزءًا منها فى قلوب الخلائق.

أما غلاظ الأكباد من الجبارين والمستكبرين فهم فى الدرك الأسفل من النار وفى الحديث: «إن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب».

إن القسوة فى خلق إنسان دليل نقص كبير، وفى تاريخ أمة دليل فساد خطير، فلا عجب إذ حذر الإسلام منها واعتبرها علة الفسوق عن أمر الله وسر الشرود عن صراطه المستقيم قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٢).

والإسلام رسالة خير وسلام وعطف على البشر كلهم. وقد قال الله لرسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٣).

وقد تأخذ الرحمة طابع القسوة، وليست كذلك: إن الأطفال عندنا يساقون إلى التعليم كرهاً، ويحفظون الدروس زجراً، ولو تركوا وأهواءهم لقتلهم اللهو واللعب، ولشبوا لا يحسنون صنعاً.

والطبيب عندما يجرى بالجسم جراحة يستخدم مبضعه لتمزيق اللحم، وقد يضطر لتهشيم العظام وبتر أعضاء، وما يفعل ذلك إلا رحمة بالمريض.

فليست الرحمة حناناً لا عقل له، أو شفقة تتنكر للعدل والنظام، كلا إنها عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعاً.

---

(١) الحديث رواه البخارى فى التوحيد ٥٥، وبدء الخلق ١، ومسلم فى التوبة ١٤- ١٦ وابن ماجه فى الزهد ٣٥، وأحمد بن حنبل ٢: ٢٤٢، ٢٥٨ (حلبى).

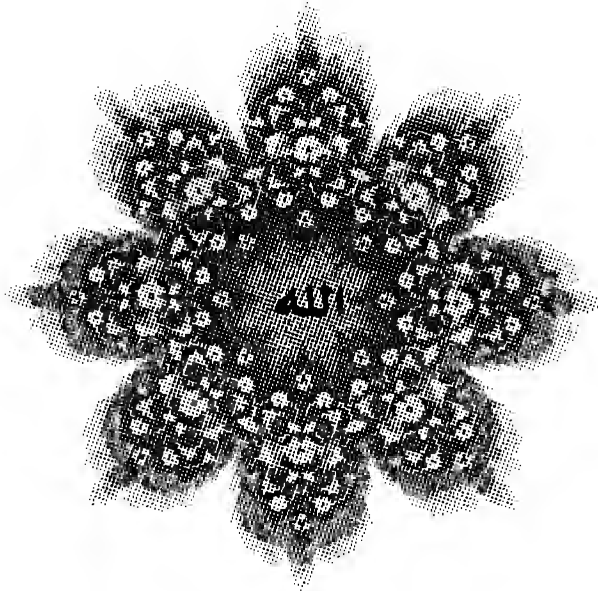
(٢) سورة الحديد آية رقم ١٩.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

إن منظر الرجل وهو تضرب رقبته بالسيف قصاصاً قد يثير الشفقة والرحمة، وكذلك منظر المشنوق وجسمه يتأرجح فى الهواء. ولكن لو أطلق سراح القاتل لأصبحت الأرض فوضى قال تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

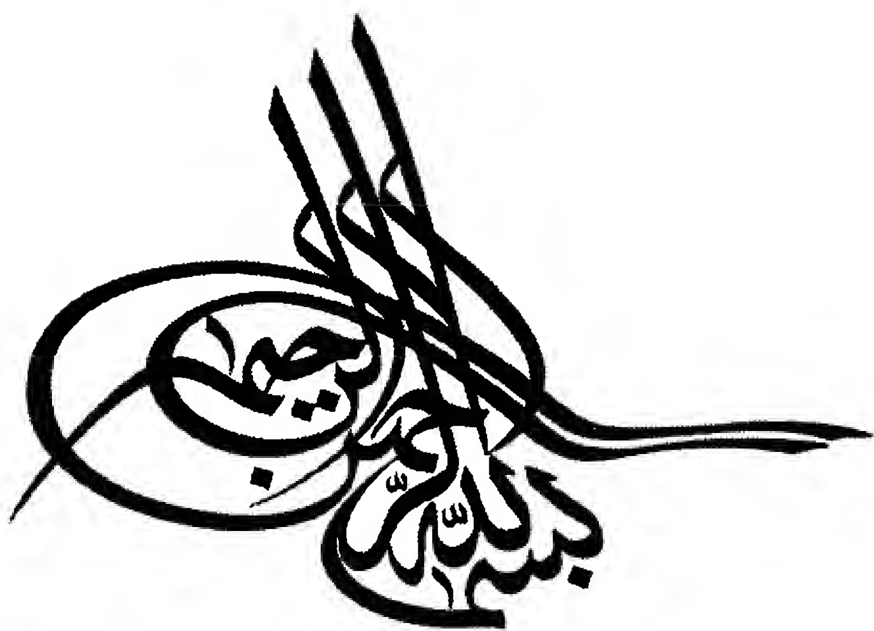
إننا نريد من صاحب الوظيفة العامة فى الدولة الرحمة التى لها عقل حتى تقيم العدل وتزن الموازين بالقسط وتساهم مساهمة فعالة فى سير عجلة الحياة إلى الأمام. فهل نحن فاعلون. نرجو من الله تعالى أن يتحقق ذلك هذا وبالله التوفيق.



(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٩.

بلال بن الحارث بن مازن المزنى

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

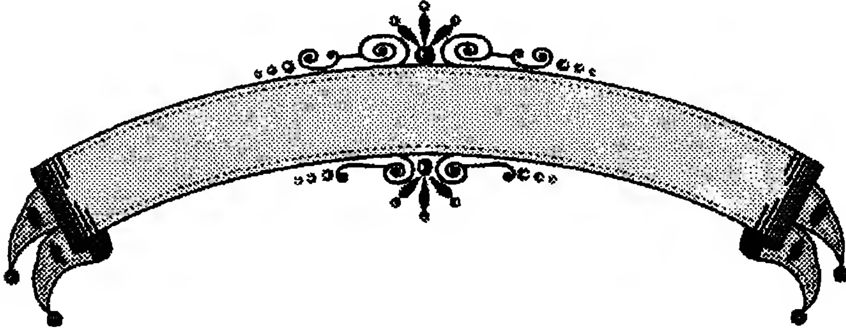
(البقرة آية: ١٥٨)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال الإمام الواحدي صاحب كتاب أسباب النزول نزلت في الأنصار وبلال بن الحارث منهم.

كانوا يحجون لمناة، وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة. فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية.

فمن هو بلال بن الحارث.



قال علقمة بن وقاص: ويحك يا فلان..؟؟

إنك تدخل على هؤلاء الأمراء فتضحكهم وإنى سمعت بلال بن الحارث يقول لى: إنك أصبحت اليوم وجهاً من وجوه المهاجرين، وإنك تدخل على هذا الإنسان يعنى مروان، وإنى سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: «يكون بعدى إمراء من دخل عليهم فليقل حقّاً، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة يرضى بها السلطان، فيهوى بها أبعد من السماء.

تهذيب ابن عساكر

٣: ٣٠١- ٣٠٢


بلال بن الحارث رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته

عملاق من عمالقة الإسلام، وفارس من فرسان المعارك.

ومحارب لا يهاب الموت، ومهاجر يطلب الشهادة من ربه.

ومخلص لربه: لم يطلب شيئاً من أمور الدنيا من أحد، ولم يذهب إلى أحد من الولاة إلا أن يطلب خيرا.

وعفيف مؤمن لم يتطلع إلى حطام الدنيا، ولم تغره بزخرفها الخادع ولا ببريقها المتوهج.

نشأ فى بادية المدينة حيث الأرض المبسوطة، والسماء المكشوفة، والشمس الساطعة، والليل الساجى والقمر المنير، وشب على صهوات الخيل وتعلم الصيد والقنص، واستعمال السيف، ورمى الرمح، وإصابة الهدف.

وينسب إلى قبيلة مزينة تلك القبيلة التى كان لها دائماً دوى فى سمع التاريخ وذلك لكثرة فرسانها، وأصالة خيولها، وكثرة خيراتها.

واتصاف أهلها بالكرم والسخاء واكرام الضيف ولهذا كانت إذا أقبل الليل يشعلون النيران حتى يراها غريب الديار أو من انقطعت بهم الطرق، وما كان أكثرهم فى هذا الزمان البعيد..؟؟

بلال بين يدى الرسول ﷺ

وفد إلى الرسول- ﷺ- رؤساء مزينة فى رجب سنة خمس وجاء معهم بلال بن الحارث- رضي الله عنه- فنزل فى أعالى المدينة- وعاد الوفد وبقى بلال ليتفقه فى دينه ويستمع إلى رسول البشرية: وهو يعلِّم أمته عن طريق الوحى المتتابع سنن الوجود، ودستور الحياة، وكيف يكون تعمير الأرض، والسعى فى فجاجها إلى طريق إلى الآخرة. وفى مجلس الرسول- ﷺ- يقول بلال: يا رسول الله إن لى مالاً لا يصلحه غيرى، فإن الإسلام لا يصح إلا لمن هاجر ومعه ماله فأخبرنى ماذا أفعل..؟

فقال عليه السلام: حيثما كنتم واتقيتم الله تعالى لم ينقصكم من أعمالكم شيئاً»[1].

إن الله سبحانه وتعالى: يحاسب عبده على النية- فإذا كان العمل خالصاً لله تعالى فله الجزاء الأوفى والدرجات العلى.

وإن كان العمل لدنيا يصيبها أو مال يحوزه، أو امرأة يريديها، كان عمله هباء لا يساوى شيئاً فى ميزان الله تعالى.

ويتابع بلال مجالس الرسول- ﷺ- ويرهف أذنيه إلى كلمات الرسول- ﷺ- وهو يقول:

«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له به سخطه إلى يوم يلقاه»[2]. وتحفر هذه الكلمات فى ذهن بلال وتكر الأيام وتتوالى السنون

(١) الحديث رواه البخارى فى الزكاة ١٧، والبيوع ١٢، ومسلم فى الزكاة ٧٩، وأبو داود فى الزكاة ٤٤، وأحمد بن حنبل فى المسند ٦: ٢٧٨.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الرقاق ٢٣، والترمذى فى الزهد ١٢، وابن ماجه فى الفتن١٢، وصاحب الموطأ فى الكلام ٥ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٣٣٤ ٣: ٤٦٩ (حلبى).

ولكنها لا تغيب هذه الكلمات عن ذاكرته.

يقول علقمة: أقبلت يوماً راكباً فنادانى بلال فوقفت له فجاءنى وقال لى: إنك أصبحت اليوم وجهاً من وجوه المهاجرين، وإنك تدخل على هذا الإنسان يعنى مروان- وإنى سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: يكون بعدى أمراء من دخل عليهم فليقل حقّاً. وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة يرضى بها السلطان فيهوى بها أبعد من السماء.

إن بلال يطالب جماعة المسلمين كما أخبره حبيبه رسول الله- ﷺ- أن يقولوا الحق ويلتزموا الصدق، ويكونوا نصحة لولاة الأمر، فإن أصاب الولاه: كانوا لهم عوناً وجنداً.

وإن أخطأ الولاة جابهوهم بكلمة الحق والصدق. ولهذا يقول الرسول- ﷺ: أفضل الإيمان كلمة حق عند سلطان جائر.

وما كاد علقمة يسمع ما تلفظ به بلال من قول الرسول- ﷺ- حتى ينزل من على فرسه ويجلس طالب علم وفقه فى مجلس بلال: ويقول له: زدنى يا أخى يا بلال عما سمعته من الرسول- ﷺ؟

يقول بلال: سمعت رسول الله- ﷺ- يقول:

«تكون فتنة تستأصل العرب، قتلاها فى النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف».

يقول علقمة: ولماذا يا أخى يا بلال قتلاها فى النار..؟

يقول بلال: إنما كانوا فى النار لأنهم ما قصدوا بالقتال إعلاء كلمة الله، ودفع ظلم، أو إعانة أهل حق، وإنما قصدوا التباهى والتفاخر. وفعلوا ذلك طمعاً فى المال والملك.

يقول: علقمة زدنى يا بلال: زادك الله فقهاً وعلماً..؟؟

يقول بلال: سمعت من معاذ بن جبل قال: كنت مع النبى- ﷺ- فى

سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه- ونحن نسير- فقلت يا رسول الله-أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار..؟

قال ﷺ: لقد سألت عظيماً، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله تعالى لا تشرك به شيئاً.

وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة.

وتصوم رمضان وتحج البيت.

ثم قال ﷺ: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه..؟ الجهاد.

ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله..؟

قلت: بلى. يا رسول الله.

فأخذ بلسانه فقال: تكف عليك هذا.

قلت: يا نبى الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به..؟

قال: ثكلتك أمك يا معاذ؟؟ هل يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم»[2].

---

(١) سورة السجدة آية رقم ١٦- ١٧.

(٢) الحديث أخرجه الترمذى وابن ماجه فى كتاب الفتن ٣٩٧٣ بسنده عن أبى وائل عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله- ﷺ- وذكره.

بلال فى فتح مكة

كانت الأسباب التى دعت الرسول- ﷺ- المسير إلى مكة وفتحها أن قبيلة بنى بكر حلفاء قريش اعتدوا على قبيلة خزاعة حلفاء الرسول- ﷺ- وعاونت قريش بنى بكر على حلفاء الرسول- ﷺ.

ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على الرسول ﷺ بالمدينة، فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم.

ثم انصرفوا راجعين إلى مكة.

ثم خرج أبو سفيان بن حرب زعيم قريش حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله- ﷺ- طوته عنه..؟؟

فقال: يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى..؟

قالت: بل هو فراش رسول الله- ﷺ- وهو رجل طاهر، وأنت رجل مشرك نجس، ولا أحب أن تجلس على فراش رسول الله- ﷺ- قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدى شرٌّ.

ثم خرج حتى أتى رسول الله- ﷺ- فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم رسول الله- ﷺ- فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه. فسمع منه ما لا يسره، ثم خرج فدخل على علىٍّ ابن أبى طالب وكلمه وقال له: اشفع لى إلى رسول الله- ﷺ.

فقال على: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله- ﷺ- على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

قال: يا أبا الحسن انصحنى إنى أرى الأمور قد اشتدت علىَّ..؟؟

قال على- رضي الله عنه- والله ما أعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً، ولكنك سيد بنى كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك.

قال: أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً..؟

قال لا والله ما أظنه. ولكنى لا أجد لك غير ذلك..؟؟

وعاد أبو سفيان إلى مكة يجر أذيال الخزى والفشل..؟؟

تجهيز الرسول- ﷺ

ثم إن رسول الله- ﷺ- أمر أهله أن يجهزوه- وأعلم الناس أنه سائر إلى مكة- وأمرهم بالجد والتهيؤ. وقال:

«اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها. فتجهز الناس.

ثم بعث رسول الله- ﷺ- بلالاً، وعمر بن عوف إلى مزينة يستنفرهم للقتال. فجاءوا وكان عددهم ألفاً فيهم مائة فارس، ومائة دارع ويحملون ثلاثة ألوية: لواء مع النعمان بن مقرن، ولواء مع بلال بن الحارث ولواء مع عبد الله بن عمرو.

إن هذه القبيلة لها دور كبير فى المعارك والحروب فى الجاهلية والإسلام ورجالها رجال صدق. ولقد عملوا جاهدين على نشر الإسلام والقضاء على الفئة الباغية التى تقف فى طريق اعتناقه.

واكتمل جيش الفتح وسار بهم القائد- بعد أن بلغ عددهم عشرة آلاف مقاتل- ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار: وتابعوا سيرهم حتى وصلوا مَرَّ الظهران فنزلوا به.

عندها قال العباس بن عبد المطلب: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله- ﷺ- مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

ثم جاء أبو سفيان فاستأمنه العباس وذهب به إلى الرسول- ﷺ- وقال:

يا رسول الله: هذا أبو سفيان قد أتاك مسلماً..؟؟

فقال رسول الله: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتنى به، قال: فذهبت به إلى رحلى فبات عندى، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله- ﷺ- فأسلم وحسن إسلامه.

فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر: فاجعل له شيئاً.

فقال عليه السلام: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

عندها قال العباس: يا أبا سفيان: النجاء إلى قومك...

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش: هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به.

فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن.

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

ودخل رسول الله- ﷺ- المسجد الحرام، وكسَّر الأصنام بداخله واجتمعت له الناس فقال: لا إله إلا الله، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم..؟

قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم...

عندها قال عليه السلام: اذهبوا فأنتم الطلقاء...؟!

بلال على أرض أفريقيا...

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾(١).

إذن الرسالة ليست خاصة بالجزيرة العربية، ولا لمن جاورها، ولكنها للبشرية قاطبة. الذين يقنطون الكرة الأرضية.

ومن هذا المنطلق أصدر الخليفة عثمان بن عفان- رضي الله عنه- في بداية مبايعته بالخلافة- أن يتوجه المسلمون إلى أفريقيا- يدعوهم إلى الإسلام. وإلى كلمة التوحيد. وترك ما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام، والشمس والقمر واستجاب المسلمون لأمر خليفتهم وساروا على خيلهم ودوابهم إليها وهم عشرون ألفاً بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى السرح.

ورافق الجيش عدد كبير من صحابة رسول الله- ﷺ- منهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وبلال بن الحارث- رضي الله عنهم - وغيرهم.

وفى الطريق إلى أرض أفريقيا التقى بهم ملك البربر فى عشرين ومائة ألف، وقيل فى مائتى ألف..

وما كاد الجيشان يلتقيان. حتى أصدر القائد أمره لجيشه، بالإحاطة بجيش المسلمين عندها وقف المسلمون فى موقف لم ير أشنع منه.

ولا أخوف عليهم منه..؟؟

قال عبد الله بن الزبير: فنظرت إلى الملك من وراء الصفوف، وهو راكب فرسه، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس.

فذهب إلى عبد الله بن أبى سرح ومعه الصحابى: بلال بن الحارث. فسألناها أن يبعث معنا من يحمى ظهرينا. ونقصد الملك..؟؟

فجهز معنا جماعة من الشجعان. وذهبنا متوجهين إليه، حتى اخترقنا

(١) سورة سبأ آية رقم ٢٨.

الصفوف وهم يظنون أننا نحمل رسالة إلى الملك.

فلما اقترينا منه أحس منا الشر ففر إلى فرسه فلحقته فطعنته برمحى وحمل عليه بلال بسيفه. ثم أخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت، فلما رأى ذلك البربر تفرقوا وفروا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون. وغنموا منهم غنائم كثيرة وأموالاً لا تحصى ولا تعد.؟!

ثم اتجه الجيش إلى الزنبقة السوداء، إلى الأرض الطيبة- ذات الخيرات الكثيرة، والمزارع الواسعة، والبساتين الممتدة ذات الثمر الكثير والخير الوفير.

ثم تتابعت الرسل بين الجيشين..؟؟

فاجتمع أهلها على الطاعة والإسلام. وتعالت أصواتهم المجلجلة- والتى تخترق عنان السماء. بكلمتى:

«لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وهكذا دخل الرجال والنساء والأطفال السمر الوجوه، البيض القلوب إلى ساحة الإسلام- ومرفأ الأمان.

واستطاعت هذه الفئة المؤمنة- أن تقطع آلاف الأميال. تنشر الإسلام فى تلك الأفاق البعيدة.؟؟

والأحراش المتشابكة. دين الله الحق.

خاتم الأديان السماوية. الذى جاء على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله- ﷺ.

ودخل نور الإسلام إلى تلك البقاع.

فنظف أبدانهم بالماء.

وطهر أرواحهم بالصلاة.

وأوجد لهم الإرادة بالصوم.

وعالج مرضاهم بالصدقة.

ونمَّى أموالهم ومدخراتهم بالزكاة.

ثم أخرجهم فى رحلة الإيمان حيث مهبط الوحى. وأنوار النبوة إلى أداء فريضة الحج.

الحج إلى بيت الله الحرام مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام.

الحج الذى يجتمع المسلمون فيه فى كل عام. فيكون قوة لهم بالتشاور والتحالف وجمعاً لجموعهم المتتابعة بالتعارف والتآلف.

وهتف الوجود كله بقول الله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾(١).

وأخرج ابن سعد عن أبى بشير المزنى عن النبى- ﷺ- أنه قال: «من وجدتموه يقطع من الحمى شيئاً فلكم سلبه».

وكان رسول الله- ﷺ- يستعمل عليه بلالاً بن الحارث المزنى، وعهد إليهِ به أبو بكر وعمر، وعثمان ومعاوية. فمات بلال فى خلافة معاوية- رضي الله عنهم.

(١) سورة النصر كاملة.

رسول الله يقطع لبلال أرضاً كثيرة

أخرج الحافظ بأسانيد متعددة أن رسول الله- ﷺ- أقطع بلالَ بن الحارث معادن القبلية جليسها «أرض طيبة من أرض نجد» وغوريها «الغورى بلاد تهامة» وما يصلح للزرع وغرس الجذور، ولم يعطه حق مسلم غيره. وكتب له النبى- عليه السلام- كتاباً:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث المزنى أعطاه معادن القبلية جليسها وغوريها، وحيث يصلح للزرع من قدس ولم يعطه حق مسلم».

واستمرت هذه الأرض تحت يدى بلال فى حياة الرسول- ﷺ- وطوال خلافة أبى بكر الصديق- رضي الله عنه- فلما جاء عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال له:

«يا بلال إنك استقطعت رسول الله أرضاً طويلة عريضة فقطعها لك وأن رسول الله- ﷺ- لم يكن يمنع من أحد يسأله شيئاً، وأنك لا تطيق ما فى يديك..؟؟

فقال: أجل.

فقال له عمر: انظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين.

فقال بلال: لا والله. شىء أقطعنيه رسول الله..؟؟

فقال عمر: والله لتفعلن. فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين ولقد طابت نفس بلال بذلك، عندما وجد همة الذين أخذوا نصيباً من الأرض قد حولوها إلى حدائق وبساتين- وزرعوا فيها النباتات الصغيرة والكبيرة. وصدق رسول الله ﷺ: «من أحيا أرضاً مواتاً فهى له».

وفاة بلال بن الحارث

هذا الرجل العملاق الذى ما كاد يدخل فى الإسلام حتى كان يحمل لواء فتح الفتوح فتح مكة وتطهيرها من أرجاس الكفر والشرك، ومن هذا التاريخ لم يهدأ له بال. ولم تفارق شفتيه كلمة التوحيد وهو يدعو بها. دعا بها على أرض فارس. ذات الكنوز الكثيرة والجواهر الثمينة. ولكنهم كانوا يعبدون النار.

ودعا بها على أرض الروم- هؤلاء الأباطرة الذين كانوا ينصبون نفوسهم آلهة على الأرض- ولكن سيف بلال ردهم إلى عقولهم وجعل «جرجير» القائد الرومانى، ينضم وكتيبته إلى جيش المسلمين فى أحد المعارك ويهتف قائلاً: علمنى الإسلام يا خالد.

ودعا بها على شواطئ المغرب العربى عندما جندل أكبر الطغاة على أرضها بقيادة عبد الله بن الزبير.

ودعا بها على مجاهل أفريقيا تلك الزنبقة السوداء وأصاحبها ذوى الوجوه السمر والقلوب البيضاء الذين حملوا الإسلام فكانوا جند الله- والداعين إلى دينه والعاملين لتنفيذ شرعه..

ثم ماذا..؟

لقد آن لبلال بن الحارث أن يستريح بعد هذه الرحلة الطويلة من عمر الزمن والذى لم يتوقف فيها مطلقاً- لقد جاءه أجله سنة ستين فى آخر خلافة معاوية. وله من العمر ثمانون سنة- رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.



تذييل

الهجرة
إلى الله تعالى

الهجرة إلى الله تعالى

هل يمكن أن نهاجر إلى الله...؟

وهل فى مقدور الفرد أن يفر إلى ربه..؟

وهل هناك من وسيلة...؟

وما الطريق إلى الله..؟

وما الأسباب التى تجعل الفرد قريباً من خالق الأرض والسماء..؟

أيمكن أن نتخلص من أثقال البشرية ونهاجر إليه..؟

أهناك مطية تنقلنا إلى هناك..؟

أم أن وسيلة الوصول صعبة المنال متشعبة المسالك..؟

أنلجأ إلى العقل فى أبحاثه واستنتاجاته..؟

أم أن العقل طريق غير مأمون ومتشعب المناحى..؟

وإذا كان ذلك كذلك... أنلجأ إلى الروح فى إشراقه وشفافياته..؟

وأين هو...؟ وما طرقه..؟ وكيف ينقلنا إلى هناك..؟

أيكفى أن تكون لدينا الرغبة حتى نصل..؟

أم أن هناك طريقاً آخر غير العقل والروح..؟

انهاجر إلى القرآن الكريم فى رحلة عميقة متأنية نستلهم معانيه ونتعرف على أحكامه، ونُخضع كل شئوننا لأوامره..؟

وهل يوجد من سبقنا إلى هذه الرحلة..؟

إذا كان ذلك فهو طريق معبد معروف.

ويكفى أن تمتطى «صاروخك» أو تعتلى متن طائرتك حتى تصل.

أم أن هذا أوهام العقل القاصر، والتفكير العجل..؟

وإذا لم يكن العقل طريقنا للوصول إلى الله.

وإذا لم تكن الروح مطية الوصول أيضاً فماذا إذن..؟

إن القرآن الكريم يحدثنا عن رحلة للرسول ﷺ وعن قربه القريب من ربه، يحدثنا عن انغماره فى النور، يحدثنا عن مكان يضيق عنه النطق أو الكلام.

يقول الله تعالى: عن رسوله الكريم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾(١).

ويحدثنا القرآن الكريم عن الذاهبين إلى ربهم.

يحدثنا عن الفارين إليه.

وعن الرحلة التى يقطعها الرجال فى مسيرتهم إليه، فيقول على لسانهم وحالهم:

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾(٢).

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾(٣).

﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾(٤).

ونقول: إذا كانت هناك هجرة إلى الله.

وإذا كان هناك فرار إليه.

فما نوع هذه الهجرة..؟

أتكون بالأبدان والتنقل بين الأوطان..؟

---

(١) سورة النجم آية رقم: ١٧- ١٨.

(٢) سورة الصافات آية رقم ٩٩.

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٠.

(٤) سورة العنكبوت آية رقم ٢٦.

إذا كانت حقيقة الهجرة، على هذه الصورة فما أكثر المهاجرين وما أضخم الضاربين فى فجاج الأرض السائحين بين دروبها.

أم أن الهجرة التى يشير إليها القرآن الكريم هى من نوع جديد لم تألفه البشرية، ولم تعرفه فى تاريخها الطويل إلا عن طريق الواحد بعد الواحد ممن يختارهم الله..؟

إما عن طريق المجاهدة والعبادة الخالصة، والعمل المتواصل وتصفية النفس من أدرانها، والقلب من وساوسه.

وإما عن طريق الاجتباء المحض مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(١).

إن كل ما تعنيه الآيات الكريمة من الهجرة، هى الهجرة من الخلق إلى الخالق.

من ظلام البصر إلى نور البصيرة.

الهجرة من الكون إلى خالق الكون.

من الآثار إلى موجد الآثار.

من ترابية الأرض، إلى شفافية السماء.

من ضيق الدنيا إلى سعتها.

ومن قتامة الأفكار إلى صفاء الإيمان.

ونتساءل مامطية الوصول إلى هناك...؟

وما المركبة التى تقطع بنا هذه الرحلة..؟

أهناك طريق واضح نسرع السير فيه حتى نصل..؟

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣.

إن القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾(١).

صدق ربى فى قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾.

ولكن كيف..؟

وبم..؟

إن الإمام القشيرى يقول: سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول:

«إن نبينا محمدًا- ﷺ- أتى للأمة بالمعراج على التحقيق.

فإن الصلاة بمنزلة المعراج.

وقد كان المعراج له عليه الصلاة والسلام ثلاثة منازل:

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

ثم من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى.

ثم منها إلى قاب قوسين أو أدنى.

فكذلك الصلاة- التى فرضها الله على عباده المسلمين- ثلاثة منازل:

القيام، ثم الركوع، ثم السجود.

السجود وهو نهاية القرب، قال الله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(٢).

أى اقترب من الله بسجودك.

ورسول الله ﷺ يقول عن السجود: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

وعن ابن عباس ؓ قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبى بكر فقال:

«أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها

(١) سورة النجم آية رقم ٤٢.

(٢) سورة العلق آية رقم ١٩.

المسلم أو تُرى له، ألا وإنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»(١).

.. ويروى الإمام مسلم- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فى صحيحه عن أبى فراس ربيعة بن كعب الأسلمى- خادم رسول الله- ﷺ- ومن أهل الصفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:

«كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوَضوئه وحاجته فقال: سلنى.

فقلت: أسألك مرافقتك فى الجنة.

قال: أو غير ذلك..؟

قلت: هو ذاك.

قال: أعنى على نفسك بكثرة السجود(٢).

فالسجود إذن من الوسائل التى توصل إلى الجنة، والجنة: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٣).

ولقيمة السجود الكبيرة عبر عن الصلاة أحياناً بالسجود، فصلاة الضحى يسمونها «سجود الضحى».

ومن صفات عباد الرحمن التى يزكيهم ربهم بها.

من صفات عباد الرحمن المقربين إلى مولاهم.

من صفات عباد الرحمن الذين ينسبهم الله إليه.

أنهم يكثرون السجود ويكثرون القيام.

---

(١) رواه مسلم رقم ٤٧٩ فى الصلاة باب النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود وأبو داود رقم ٨٧٦ فى الصلاة: باب الدعاء فى الركوع والسجود. والنسائى ٢/ ١٨٩ فى الافتتاح.

(٢) رواه مسلم رقم ٢٢٦ باب فضل السجود والحث عليه.

(٣) سورة القمر آية رقم ٥٥.

أنهم فى صلاة دائمة مع ربهم.. ولا يتخلون عن ذلك أبداً ولا يطيقون ذلك. قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾(١).

وإذا كان ذلك كذلك. أتكون الصلاة طريقاً للقرب من الله؟

أتكون هى المطية التى يمتطيها العبد فيصل إلى ربه..؟

وإذا صح هذا الذى نقوله فما هى الصلاة..؟

أهى صلة بين العبد وربه...؟

أهى نظام فى اليوم والليلة للفرد المسلم والجماعة المسلمة..؟

أهى ضراعة ودعاء ورفع الأكف إلى السماء..؟

أهى رحمة مهداة من الله إلى العباد...؟

أهى أسلوب للحياة، واتباع لنمط معين من أنماط التكاليف ليتعود المجتمع الإسلامى السمع والطاعة، والنظام والنظافة..؟

أهى مؤتمر للأسرة الصغيرة خمس مرات فى اليوم..؟

ومؤتمر للأسرة الكبيرة مرة واحدة فى الأسبوع...؟

ومؤتمر عام للمجتمع المسلم مرتين فى كل عام...؟

الحقيقة أن الصلاة هى مجموع ذلك كله الذى سبق أن ذكرناه.

فالصلاة: هى الصلة بين العبد وربه، والرابطة التى تربط الأرض بالسماء ومعراج المؤمنين إلى ربهم، والمطية السريعة التى تنقلنا إلى رحاب الله سبحانه وتعالى:

عندها يزول البعد، وتتمحى المسافات مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ

(١) سورة الفرقان آية رقم ٦٣، ٦٤.

وَاقْتَرِبْ﴾[1]، اقترب من منبع النور مادمت فى محراب الصلاة.

والصلاة رحمة مهداة من الله إلى عباده ومن الملائكة الأبرار إلى العباد المخلصين.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾[2].

فوصف نفسه بأنه يصلى، والصلاة هنا بمعنى الرحمة، رحمة لأنها تخرج المؤمنين من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، ومن العماية إلى الهدى، ومن الطرق المتشعبة إلى الطريق الواحد المستقيم.

ومن شقاء الانحراف إلى سعادة الاستقامة.

وصلاة الملائكة رحمة واستغفار.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[3].

وصلاة الرسول لأمته رحمة ودعاء.

قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[4].

ووصف الله سبحانه وتعالى- نفسه وملائكته بأنه يصلى على محمد ﷺ وطلب من عباده الدعاء، والصلاة له. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[5].

ويوضح ما نشير إليه ما يقوله المسلم عند كل صلاة:

«اللهم أعط محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى ارتضيته.

---

(١) سورة العلق آية رقم ١٩.
(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٤٣.
(٣) سورة غافر آية رقم ٧.
(٤) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.
(٥) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦.

وإذا كانت الصلاة بهذا المعنى، صلة بين العبد وربه، ورحمة للمؤمنين ودعاء وسكينة.

فقد تأتى بمعنى التسبيح، تسبيح المخلوقات لربها، وتسبيح الكائنات لموجدها.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾(١).

والتسبيح فى لغة العرب: الصلاة...

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فى التنقل فى السفر، لو كنت مسبحاً أتممت، ويعنى بذلك أنه لو صلى النافلة فى السفر لأتم الفريضة.

وإذا كانت أوامر الإسلام ونواهيه، وجزئياته وكلياته، نزل بها الروح الأمين جبريل عليه السلام، على قلب رسولنا الكريم- محمد ﷺ- لتكون هذه الكليات والجزئيات انذاراً وبشرى إلى الأمة الإسلامية بخاصة، والإنسانية بأسرها بعامة فإن الصلاة لم تأت عن طريق جبريل عليه السلام.

ولم تأت عن طريق الوحى المعتاد.

ولم تأت عن طريق اتصال السماء بالأرض.

ولكنها فرضت فى منبع النور، وفى جوار الحق، هناك بالأفق الأعلى.

قال تعالى:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾(٢).

والصلاة فترة مناجاة بين العبد وربه.

والصلاة فترة انقطاع كامل- ويجب أن يكون كاملاً- عن عالم المادة. عالم الشهوات، عالم الفتنة، عالم الدنيا الذى وصفه الله تعالى بقوله:

(١) سورة النور آية رقم ٤١.

(٢) سورة النجم آية رقم: ١٧- ١٨.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١). نقول فترة انقطاع لتخلص النفس إلى المنعم الوهاب فتتعم بسعادة الصلة به والقرب منه.

نقول إنها فترة مناجاة.

لأن رسول البشرية محمداً ﷺ عندما عرج به إلى السماء ناجى ربه وهو بالأفق الأعلى، ناجاه بكلمات، وتلقاه ربه بتحيات أصبحت بعدها من الصلاة.

لقد قال الرسول ﷺ وهو قريب من ربه: «التحيات لله والصلوات والطيبات».

وحياه ربه: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، ورد الرسول- عليه السلام- ومعه ملائكة أبرار، ومرسلون أخيار- تحية ربهم:

«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وكأن الوجود بأسره، والعالم بأجمعه قد تحول إلى جوقة فى رحاب محكمة الخالق المبدع لتشهد وتؤكد وتقرر وتعترف بقولها:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ثم ماذا ...؟

ثم فرضت الصلاة على أمة محمد ﷺ فرضت فى منبع النور، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى.

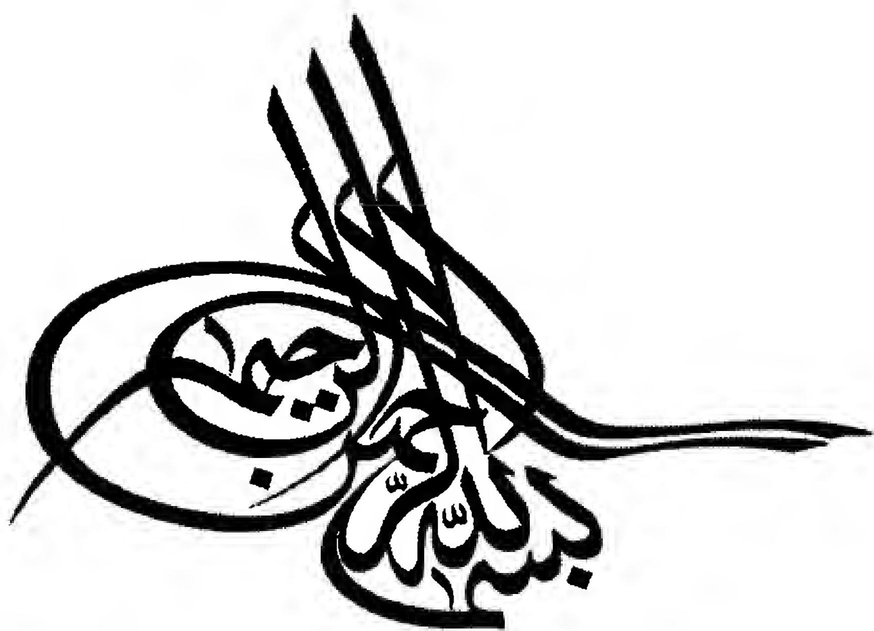
فرضت فى ليلة مباركة، ليلة الإسراء والمعراج.

---

(١) سورة يونس آية رقم ٢٤.

حنظلة بن أبى عامر الراهب الأنصارى

رضى الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(الحشر: ٩)

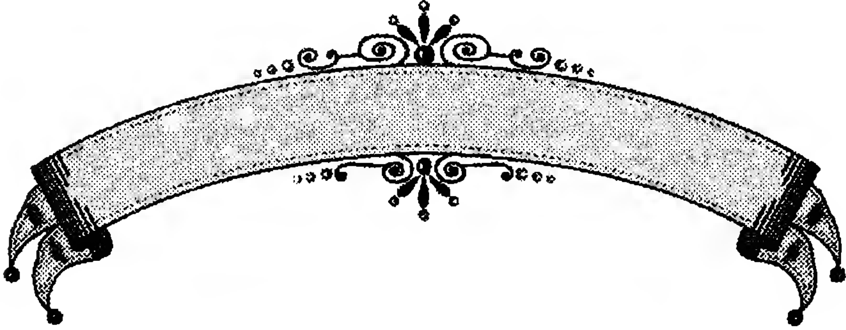
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت هذه الآية فى الأنصار الذين آووا ونصروا وحنظلة بن أبى عامر الراهب من الأنصار الذين آووا ونصروا.

قال ذلك الإمام الواحدى فى كتابه أسباب النزول ص ٤٣٨- ٤٣٩.

وقاله الإمام القرطبى فى التفسير ج١٨ ص ٢٠- ٢١.

فمن هو حنظلة بن أبى عامر الراهب..؟



قال رسول الله- ﷺ:

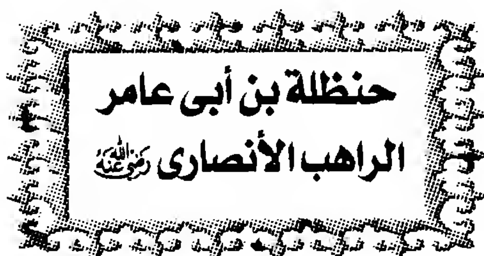
«إن صاحبكم لتغسله الملائكة- يعنى حنظلة- فسألوا أهله ما شأنه..؟

فسئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهائعة.

فقال رسول الله- ﷺ- : لذلك غسلته الملائكة، وكفى بهذا شرفاً ومنزلة عند الله تعالى».

راجع أسد الغابة ٢: ٦٦


حنظله بن أبى عامر رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته:

من فرسان المعارك الذين سجلوا أعظم الانتصارات فى غزوة بدر.

ومن الشهداء الذين وقفوا أمام القوة الباغية التى تريد القضاء على المسلمين وأنصارهم حتى سقط شهيداً فى ساحة القتال.

ومن الأوفياء الكرماء الذين بذلوا أموالهم وأرواحهم فى سبيل نصرة الدين- ودخول الناس فى دين الله أفواجاً.

ومن الفئة المؤمنة الذين سماهم رسول الله- ﷺ- الأنصار وقال: لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار.

ولو سلك الناس شِعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شِعْب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

والده: عمرو بن صيفى بن زيد بن أميه أبو عامر الراهب. وكان أبو عامر وعبد الله بن أبى ابن سلول قد حسدا رسول الله- ﷺ- على ما منَّ الله به عليه.

فأما عبد الله بن أبى فأضمر النفاق وأظهر الإيمان ونزل القرآن ليكشف حقيقتهم أمام المسلمين قال الله تعالى:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾(١).

وأما أبو عامر فخرج إلى مكة، ثم قدم مع قريش يوم أحد محارباً، فسماه رسول الله- ﷺ- الفاسق. وأقام بمكة، فلما فتحت هرب إلى هرقل في بلاد الروم فمات كافراً هناك سنة تسع، وكان معه كنانة بن عبد ياليل، وعلقمة بن علاثة، فاختصما في ميراثه إلى هرقل فدفعه إلى كنانة وقال لعلقمة: هما من أهل المدر، وأنت من أهل الوبر.

نشأ حنظلة على أرض يثرب، وسُمي والده راهباً لأنه أنف من عبادة الأصنام ولكن أشرك مع الله غيره، وجعل له ولداً ولقد جبههم الله تعالى بكلمة الكفر قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

ولما شب عن الطوق أتقن حرفة التجارة، وتوالت رحلاته إلى أرض الشام ولقد كان لهذه الرحلات الأثر الكبير. في صفاء نفسه، وتطهير قلبه وشفافية روحه، عندها كان يشاهد السماء المرفوعة، والأرض المبسوطة.

السماء التي قال الله تعالى عنها:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾(٣).

والأرض المبسوطة التي قال الله عنها:

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾(٤).

(١) سورة البقرة الآيات من ٩- ١٣.
(٢) سورة التوبة الآيتان ٣٠- ٣١.
(٣) سورة الملك آية رقم ٥.
(٤) سورة الحجر آية رقم ٢٠.

لهذا ما كاد حنظلة يعلم بوصول الرسول- ﷺ- إلى المدينة وإنه يدعو إلى عبادة الواحد الأحد الذى خلق الأرض والسماء، وأوجد الحياة والموت حتى سارع إليه- ونطق بالشهادتين بين يديه.

ومن هذا التاريخ تحول إنساناً جديداً يؤدى فرائض ربه، ويتبع من مبادئ الإسلام سلوكه. ولفظ نهائيّاً. أساليب الجاهلية الأولى: التى كانت لا تعرف إلا شريعة الغاب، واستعمال المخالب والناب- فلا تحليل ولا تحريم، ولكن كما وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[١].

ثم كانت غزوة بدر التى أشعلت وقودها الفئة الباغية من كفار قريش وسارع المسلمون إلى الانضمام لجيش النصر. تلك الغزوة التى قال الله تعالى فيها لجماعة المسلمين:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

فأين حنظلة..؟ وأين موقعه بين الصفوف..؟ إنه خلف رسول الله ﷺ- يتابعه كظله، لا يتخلف عنه قيد أنملة، حتى عندما دخل- ﷺ- العريش ومعه أبو بكر الصديق- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وقف حنظلة على بابه «ديدبان» يقظ. وتسمعت أذناه دعاء الرسول- ﷺ- ومناشدته ربه قائلاً:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد، وأبو بكر يقول: يا نبى الله بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك، ولقد غفلت عين الرسول- ﷺ- غفلة يسيرة، ثم انتبه فقال:

«أبشر يا أبا بكر: أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع».

ويقول الله تعالى لرسوله وللمسلمين بعد الاستغاثة وطلب العون من الله

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٢٣.

تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(١).

وتم النصر والفوز وفرَّ الرعاديد الجبناء إلى مكة وأخذت سيوف المسلمين تقصف رقابهم، وتجدل فرسانهم، وتقضى على كل مقاومة لديهم. وألقيت جثث القتلى وتلك الجيف فى باطن القليب. ووقف الرسول عليهم وأخذ ينادى ويقول: يا أهل القليب: يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً..؟

فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً..؟

فقال حنظلة ومعه بعض المسلمين يا رسول الله: أتخاطب قوماً قد جيفوا.؟

قال ﷺ: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى.

ويقول حسان بن ثابت- رضي الله عنه:

يناديهم رسول الله لما
قذفناهم كباكب فى القليب
ألم تجدوا كلامى كان حقاً
وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكنت ذا رأى مصيب

(١) سورة الأنفال الآيات من ٩- ١٢.

ثم عاد حنظلة مع الرسول- ﷺ- متجهين إلى المدينة وعندما اقتربت راحلته من ناقة الرسول- ﷺ- قال حنظلة: يا رسول الله إن الحرب مهلكة- ولا يصبر عليها إلا كل صبور فإذا اشتعلت أيمت النساء وأيتمت الأطفال، وأكلت الرجال. فهل هناك ما يعدل الجهاد فى الأجر يا رسول الله؟

قال عليه السلام: لا تستطيعونه فرد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا تستطيعونه. فقال فى الثالثة:

«مثل المجاهد فى سبيل الله مثل القائم الصائم الذى لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله».

عندها أسرعت براحلتى حتى وزايت ناقة رسول الله- ﷺ- وقلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعد بينى وبين النار..؟

قال: لقد سألت عظيماً وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم سكت الرسول- ﷺ- هنيهة وقال: يا حنظلة: قلت نعم يا رسول الله: قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟

قلت: زدنى يا رسول الله. قال: الصوم جُنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النارَ الماءُ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم قرأ:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

وتصل المطىُّ بهم إلى مشارف المدينة حيث اجتمع الأطفال والنساء والشيوخ لتهنئة العائدين من بدر وعلى رؤوسهم الفخار ونصر الله تعالى، ولكن حنظلة له تهنئة خاصة غير تهنئة النصر- حيث رزقه الله تعالى بغلام. وتقدم حنظلة إلى أمه والفرحة تملأ كل جوانحه:

أحقّاً ما تقولين يا أم حنظلة..؟ هل رزقنى الله بغلام..؟ وأصبحت أباً.

(١) سورة السجدة آية رقم ١٦.

إنها أمنية غالية كنت أتمناها من ربى.

وهبط حنظلة ساجداً لله تعالى.

وما كادت أقدامه تطأ داره. حتى تقدمت له زوجه وهى تشكر الله تعالى على سلامته ووضعت بين يديه فلذة كبده. وأسرعت إلى الداخل لتعد له طعاماً ساخناً.

ثم عادت الزوجة الصابرة المؤمنة تحمل بين يديها ما رزقهم الله تعالى من طعام طيب وفاكهة ناضجة.

فقال حنظلة بارك الله فيك وعليك يا أم عبد الله.

وأصبح من هذا التاريخ ينادى عليه: (أبو عبد الله).

وغردت الأيام لحنظلة- وطابت جلساته مع حبيبه رسول الله- ﷺ- يعب من هديه، ويتفقه فى دينه- ويدعو إلى دين ربه. ثم ماذا؟ كرت الأيام وتوالت الليالى واستيقظ مبكرا على صوت بلال يهز الكون هزّاً بكلمة الله أكبر الله أكبر يؤذن لصلاة الفجر- ثم عاد من مسجد الرسول- ﷺ.

فوجد أم عبد الله تغط فى نوم عميق- فتقدم إليها ليوقظها ولكن ما كاد يتقرب إليها وهى نائمة حتى شاهد فتنة طاغية، وعروساً مجلوة- ومائدة شهية وكأنه يراها لأول مرة. وتم بينهم ما يكون بين الرجل وزوجه والذى عبر عنه قول الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

ثم جلسا يتسامران ويتناولان بعض اللقيمات، وإذا بصوت النفير نفير الحرب، ينادى فرسان مدرسة النبوة، أبطال الإسلام، ورجالات القرآن إلى الجهاد والقتال فى سبيل الله.

وما كاد حنظلة يسمع صوت النفير حتى قام مسرعاً ولبس ملابس القتال وجمع بين يديه سيفه ورمحه ودرعه، وطبع على جبين ابنه وزوجه قبلة حانية، وتركهما فى رعاية الله وحفظه ثم خرج مسرعاً لينضم إلى كتيبة الإيمان التى

قدمت أرواحها فى سبيل الله- ليكون لهم الجنة. كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (١).

قال الحسن: مرَّ أعرابى على النبى- ﷺ- وهو يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾.

فقال: كلام من هذا ..؟

قال: كلام الله.

قال: بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله. فخرج إلى الغزو وقاتل حتى استشهد (٢).

وقال الأصمعى لجعفر الصادق- رضي الله عنه:

أثامن بالنفس النفيسة ربها
وليس لها فى الخلق كلهم ثمن
بها تشترى الجنات، إن أنا بعتها
بشىء سواها إن ذلكم غبن
لئن ذهبت نفس بدنيا أصبتها
لقد ذهبت نفسى وقد ذهب الثمن

ولهذا قال الرسول- ﷺ- إن فوق كل برٍّ برٌّ حتى يبذل العبد دمه فإذا فعل ذلك فلا برَّ فوقه (٣).

وقال الشاعر: **الجود بالمال جود فيه مكرمة**
والجود بالنفس أقصى غاية الجود (٤)

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١. (٢) راجع تفسير القرطبى ٨- ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق. (٤) راجع سيرة ابن هشام وتفسير القرطبى ٨: ٢٦٧- ٢٦٨.

حنظلة فى غزوة أحد

إن قريشاً لم تنس هزيمتها فى غزوة بدر، وكانت دائماً تتمنى أن يكون لهم مع الرسول- ﷺ- وصحبه- جولة أخرى حتى يستأصلوا شأفة المسلمين.

عندها مشى عبد الله بن ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية فى رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة.

فقالوا : يا معشر قريش: إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا وأنزل الله تعالى فى ذلك من القرآن:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[١].

وجاءت جموعهم وحشرت قواتهم، وجمعوا كيدهم كله واستنفروا حلفاءهم من نجد وتهامة وغيرهم.

وخرج الرسول- ﷺ- مع صحابته لصد هؤلاء راجين من الله تعالى أن يشرح صدورهم للإسلام.

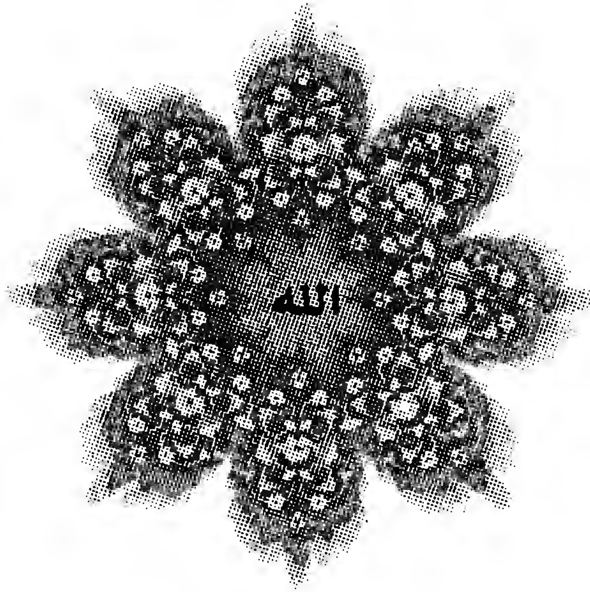
واشتبك الفريقان فى معركة ضارية وتساقط القتلى من الفريقين فأين حنظلة فى هذه الحرب الضارية؟

قال مصعب الزبيرى: بارز أبو سفيان بن حرب حنظلة بن أبى عامر الغسيل فصرعه حنظلة واعتلى فوقه، فأتاه ابن شعوب فضربه بالسيف فقتله عندها قام أبو سفيان. وقال حنظلة بحنظلة يعنى ابنه حنظلة المقتول فى غزوة بدر[٢].

(١) سورة الأنفال آية رقم ٣٦.
(٢) راجع سيرة ابن هشام ج٣ ص ٦٤.

مـات حنظلة شـهـيـداً على أرض المعـركـة، مـات الموتة التى كـان يـريدها ويتمناها. مات أبو عبد الله- ثم عادت له الحياة وفر إلى ربه وهاجر إلى مولاه فى جنة عرضها السموات والأرض عند مليك مقتدر، كما قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).



(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩- ١٧٠.

حنظلة غسيل الملائكة

ذكر أهل السير أن حنظلة كان قد ألم بأهله حين خروجه إلى أحد ولما سمع صوت النفير أعجله عن الغسل، فلما قتل شهيداً -أخبر رسول الله- ﷺ- أن الملائكة غسلته.

وروى حماد بن سلمة عن هشام عن عروة عن أبيه أن رسول الله-ﷺ- قال لامرأة حنظلة بن أبى عامر الأنصارى.

ما كان شأن حنظلة...؟

قالت: كان جنباً، وغسلت أحد شقى رأسه، فلما سمع الهيعة خرج.. ثم قتل.

قال رسول الله-ﷺ-:

«لقد رأيت الملائكة تغسله ..

رحمه الله-ورضى عنه- بمقدار ما قدم من جهد وجهاد فى رفع كلمة الله ونشر دينه إنه سمع قريب مجيب الدعاء.



تـذيـيـل

الجهـــاد
فى سبيل الله

الجهاد فى سبيل الله

إن حنظلة- رضي الله عنه- كان دائماً مجاهداً ومقاتلاً وكان يطلب من ربه الشهادة حتى يحظى بجنة الخلد التى أعدها الله للمتقين- وكان دائماً يردد بينه وبين نفسه قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾(١).

فالجهاد فى سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن.. كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله.

إنها السنة الجارية التى لا تستقيم الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾(٢).

وقال أيضاً: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾(٣).

إن الحق لابد أن ينطلق فى طريقه، ولابد أن يقف الباطل فى الطريق، بل لابد أن يأخذ عليه الطريق.

إن دين الله لابد أن ينطلق لتحرير البشر من العبودية للعباد، وردهم إلى العبودية لله وحده، ولابد أن يقف له الطاغوت فى الطريق، بل لابد أن يقطع عليه الطريق، ولابد لدين الله أن ينطلق فى الأرض كلها لتحرير الإنسان وكل الناس، ولابد للحق أن يمضى فى طريقه ولا ينثنى عنه ليدع للباطل طريقاً وما دام فى الأرض كفر.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥١.   (٣) سورة الحج آية رقم ٤٠.

وما دام فى الأرض باطل.

وما دامت فى الأرض عبودية لغير الله تعالى تذل كرامة الإنسان، فالجهاد فى سبيل الله ماض إلى يوم القيامة، والبيعة فى عنق كل مسلم تطالبه بالوفاء يقول الرسول- ﷺ -: «من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق»(١).

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ ﴾(٢).

استبشروا بإخلاص أنفسكم وأموالكم لله وأخذ الجنة عوضاً وثمناً كما وعد الله. وإذا فعل المؤمن ذلك كان ربحه كبيراً لأن النفس إلى موت والمال إلى فناء وضياع سواه أنفقه صاحبه فى سبيل الله أم فى سبيل دنيا يريدها، ومتاع يغريه.

والجنة كسب بلا مقابل. لأن المقابل زائل فى هذا الطريق أو سواه.. ولهذا يقول الرسول- ﷺ:

«غزوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها».

وعن أبى هريرة قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله- ﷺ- بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها. فقال:

«لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى استأذن رسول الله- ﷺ- فذكر لرسول الله- ﷺ- فقال ﷺ:

«لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة..؟

قال: بلى يا رسول الله..

(١) رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم وأبو داود.

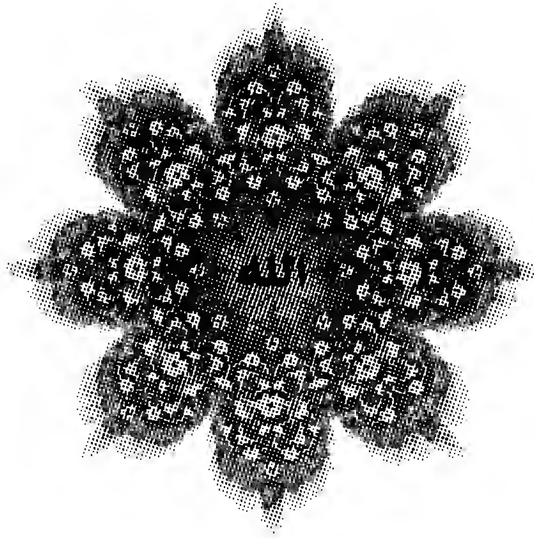
(٢) سورة التوبة آية رقم ١١١.

قال ﷺ: «اغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق[1] ناقة وجبت له الجنة» وفى رواية:

«ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده فى الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها[2] على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[3].

فمن لنا بالجهاد يارب..؟ من لنا بمقاتلة الأعداء أعدائنا أعداء الدين من لنا بقتالهم.. والبعض يرى أن ذلك عبث وتطرف وإرهاب يجب على الدول جميعها أن تقاومه..

اللهم ارزقنا غزوة فى سبيلك تطهرنا بها ولتكون طريقنا إلى جنتك يا مجيب الدعاء يا ناصر الحق.



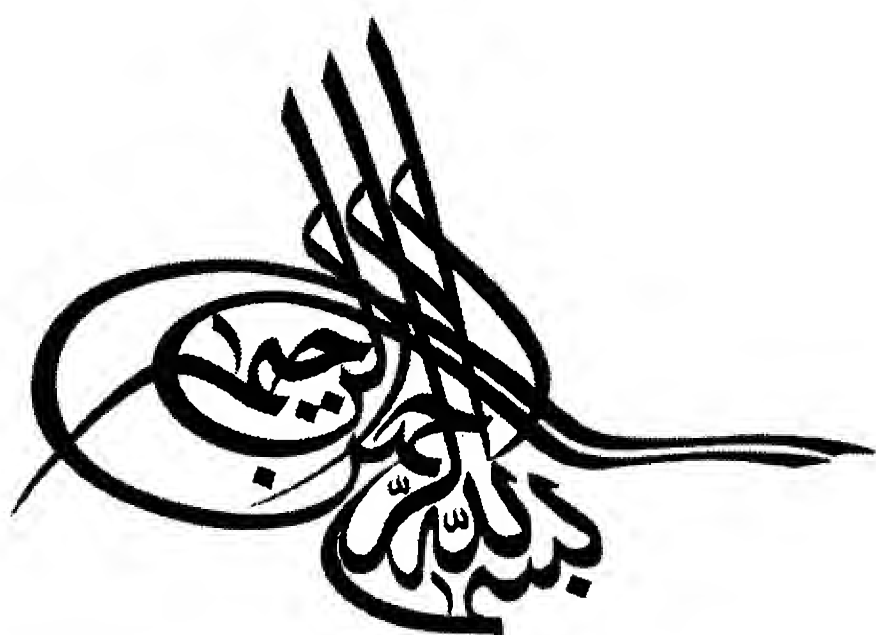
(١) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت.

(٢) النصيف: الخمار.

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى فضائل الجهاد باب ١٧ ما جاء فى فضل الغدو والرواح فى سبيل الله.

زيد بن ثابت جامع القرآن الكريم وكاتب الوحى

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(الحشر: ٩)

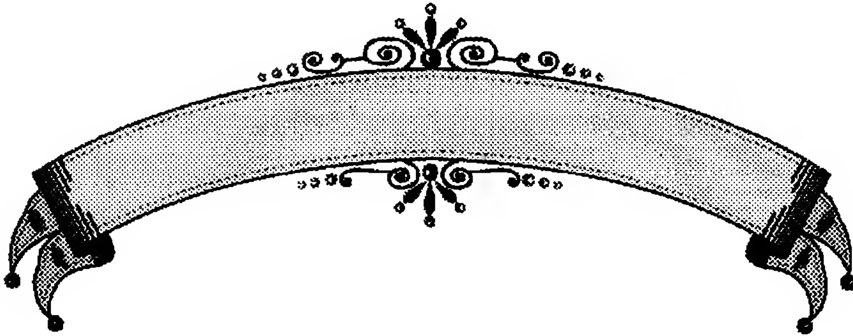
أقوال العلماء والمفسرين
في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت هذه الآية فى الأنصار ومنهم زيد ابن ثابت.

قال ذلك صاحب كتاب أسباب النزول الإمام الواحدى وقاله الإمام القرطبى فى التفسير الجزء الثامن عشر ص٢٠.

وقاله ابن الجوزى فى التفسير زاد المسير فى علم التفسير الجزء الثامن ص٨- ١٠.

فمن هو زيد بن ثابت..؟



قال الرسول ﷺ لزيد بن ثابت:

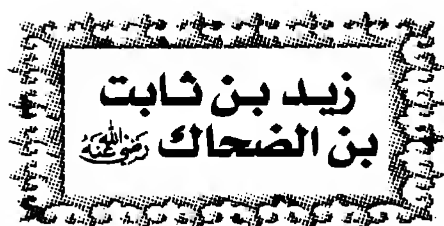
إنها تأتينى كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم اللغة العبرانية أو قال السريانية.

فقلت: نعم.

قال: فتعلمتها فى سبعة عشر يوماً.

رواه أبو يعلى والإمام أحمد


زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
حياته ونشأته



زيد بن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه

حياته ونشأته:

نشأ في يثرب مدينة الزهور والبساتين والسماء الصافية والأرض المبسوطة.

وتلقى عن والده القراءة والكتابة ومعرفة أخبار الأُول.

قتل والده يوم بعاث تلك المعارك التي كانت تدور بين قبائل الأوس والخزرج ويسقط فيها قتلى عشرات الرجال.

أمه النوار بنت مالك سيدة فاضلة، قارئة حافظة روت عن الرسول - ﷺ- كان يملك عقل الرجال وصلابة الأبطال.

وتقدم إلى صفوف المجاهدين في غزوة بدر فرده الرسول- ﷺ- لصغر سنه.

اشترك في حفر الخندق، وكان يحمل التراب على كتفه، ورآه الرسول- ﷺ- فعرف فيه الجد وقوة الإرادة فقال:

«أما أنه نعم الغلام زيد بن ثابت».

قال زيد بن ثابت: أجازني رسول الله- ﷺ- يوم الخندق، وأعطاني قبطية كسانيها».

وقال محمد بن عمر: وكان زيد قد رقد يوم الخندق فغلبته عيناه فنام على شفير الخندق وكان ممن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين، وأراد

المسلمون أن يطبقوا على الخندق ويحرسوه، وتركوا زيداً وهم لا يشعرون به، فجاءه عمارة بن حزم فأخذ سلاحه- وهو لا يشعر..؟؟

فلما استيقظ وتفقد سلاحه فلم يجده وبلغ ذلك النبى- ﷺ- فدعاه وقال له: يا رقَّاد نمت حتى ذهب سلاحك..؟

ثم قال عليه السلام من له علم بسلاح هذا الغلام..؟

فقال عمارة: أنا يا رسول الله فرده عليه.

عندها نهى الرسول- ﷺ- أن يروِّع المسلم أو أن يأخذ سلاحه أو متاعاً لاعباً أو جادّاً».

يقول زيد عن نفسه: كانت وقعة بغاث وأنا ابن ست سنين وكانت قبل الهجرة بخمس سنين وقدم رسول الله- ﷺ- المدينة، وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأُتى بى إلى رسول الله- ﷺ- فقالوا: غلام من الخزرج قد قرأ ست عشرة سورة فلم أجز فى بدر ولا أحد وأجزت فى الخندق». وكان يكتب بالعربية والعبرانية وأول مشاهده الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة».

زيد بن ثابت فى سقيفة بنى ساعدة..

لما قبض رسول الله- ﷺ- اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة- يريدون أن يختاروا من بينهم خليفة وعلم بذلك أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، وتكلم رجل من الأنصار فقال يا معشر المهاجرين: منا أمير ومنكم أمير، ثم خطب أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- فوضح القضية أمام المهاجرين والأنصار- ولكن فى نفوس الأنصار من ذلك شىء حتى قال قائلهم:

«يا معشر المهاجرين إن رسول الله- ﷺ- كان إذا بعث رجلاً منكم قرنه برجل منا فنحن نرى أن يلى هذا الأمر رجلان رجل منكم ورجل منا فقام زيد ابن ثابت فقال:

«إن رسول الله- ﷺ - كان من المهاجرين وكنا أنصاره وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله- ﷺ .

عندها قال أبو بكر: جزاكم الله خيراً من حى يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم والله لو قلتم غير هذا ما صالحناكم».

واستطاعت هذه الكلمات الصادقة المعبرة من زيد بن ثابت أن تكون راحة لكل القلوب، ورضا لكل النفوس وتمت البيعة لأبى بكر- رفيق الرسول- ﷺ- فى الغار كما قال تعالى:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(1) .

زيد بن ثابت حكماً بين عمر بن الخطاب وأبى بن كعب- رضى الله عنهم

قال الشعبى: تنازع فى جذاذ نخل أبى بن كعب وعمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فبكى أبى ثم قال: أفى سلطانك يا عمر...؟

فقال عمر: اجعل بينى وبينك رجلاً من المسلمين.

فقال أبى: أجعل زيد بن ثابت.

قال عمر: رضيت.

فانطلقا حتى دخلا على زيد فلما رأى زيد عمر تنحى عن فراشه. فقال له عمر: فى بيته يُؤْتَى الحَكَم.

فعرف زيد: أنهما جاءا يتحاكمان إليه.

(1) سورة التوبة آية رقم ٤٠.

فقال عمر لأبى: قص قصتك فقصها. فقال عمر: تذكر لعلك نسيت شيئاً فتذكر ثم قال: ما أذكر شيئاً.

ثم قص عمر فقال زيد: بينتك يا أبى..؟

فقال: مالى بينه.

قال أبى: فاعف أمير المؤمنين من اليمين..

فقال عمر: لا تعف أمير المؤمنين من اليمين إن رأيتها عليه، فأقسم عمر على ذلك.

وكان زيد أجلس عمر على فراشه.

فقال له: هذا أول جورك جرت فى حكمك.

فلما فرغا قال له: لا تدرك يا زيد القضاء حتى يكون عمر، ورجل من عامة المسلمين عندك سواء.

إن عمر يلوم قاضيه لأنه لم يسوِّ بينه وبين أبى بن كعب فى مجلس الحكم وأراد أن يعفيه من اليمين.

وهذا ما تعلمه عمر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من مدرسة النبوة، ومن هدى القرآن الكريم، ولهذا تنازل عن حقوقه كاملة لأبى بن كعب، لأن قاضيه لم يسو بينه وبين خصمه فى مجلس الحكم.

زيد بن ثابت كاتب للوحى بين يدى الرسول رضي الله عنه

يقول زيد: كان رسول الله- ﷺ- إذا نزل عليه الوحى بعث إلىَّ فكتبته له.

ثم إذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، وكان إذا نزل عليه الوحى أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً مثل الجمان، ثم سرى عنه».

إن زيد بن ثابت رجل أمين، فهو أمين على وحى رسول الله- ﷺ- وأمين على كتاب الله أن ينقص أو يزيد فيه- كما حدث مع الكتب السابقة ولذا قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون ذلك، ويعرفون ما يتمتع به زيد ابن ثابت من صفات طيبة وأخلاق عالية، وإيمان يملأ كل شغاف قلبه ولذا اختاره رسول الله- ﷺ- كاتباً للوحى الذى يأتى له من الله تعالى: وكان ثابت أكثر الناس معرفة بكتاب الله تعالى ونزوله وتسلسله على الرسول- ﷺ.

جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق- رضي الله عنه

كانت معركة اليمامة معركة ضارية بين المسلمين، وبين أتباع مسيلمة الكذاب مدعى النبوة، وتساقط فيها عدد كبير من حفظة كتاب الله تعالى. يقول زيد أرسل إلىَّ أبو بكر الصديق عندما وصل إلى مسامعه مقتل أهل اليمامة فأتيت فإذا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- عنده فقال أبو بكر: إن عمر أتانى فقال لى: إن القتل قد استحر بأهل اليمامة من قراء المسلمين، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن.

(١) سورة الحجر آية رقم ٩.

فقلت: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله- ﷺ..؟

فقال عمر: هو والله خير.

فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله بذلك صدرى، فرأيت الذى رأى فيه عمر.

وفى رواية: أن أبا بكر قال له: أنت كاتب الوحى، وكنت أميناً عند رسول الله وأنت عندنا كلنا أمين.

قال زيد: وعمر جالس عنده لا يتكلم.

ثم قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، وكنت تكتب الوحى لرسول الله- ﷺ : فتتبع القرآن فاجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىَّ مما أمرنى به من جمع القرآن.

فقلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله- ﷺ.؟

فقال: هو والله خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر.

قال: فكنت أتتبع القرآن أجمعه من الرقاع، والأكتاف، والعسب، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة براءة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع غيره. قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١)

فكانت الصحيفة التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر الصديق فى حياته

(١) سورة التوبة الآيتان ١٢٨- ١٢٩.

حتى توفاه الله ، ثم عند عمر بن الخطاب فى حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر، وزوج النبى-ﷺ .

وفى عهد عثمان أرسل إلى حفصة فاستخرج الصحف التى كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها فنسخ منها المصاحف فبعث بها إلى الآفاق.

ويقول يعلى بن الفراء إن زيداً كان كاتب الوحى لرسول الله-ﷺ ، ثم كان كاتب عمر بن الخطاب، وله القراءة والفرائض. (علم المواريث).

زيد على أرض الشام مع عمر بن الخطاب

أراد عمر بن الخطاب أن يتعرف على جماعة المسلمين ويتفقد أحوالهم، وهم على أرض الشام ويتعرف على سير المعارك بينهم وبين الروم: واصطحب معه زيد بن ثابت- رضي الله عنه - فكان زيد نعم الرفيق فى هذه الرحلة والمستشار المؤتمن لخليفة المسلمين-وما كادت أقدامهما تطأ أرض الشام حتى كان خالد بن الوليد- قد أنهى كبرى المعارك مع الروم، وجندل الكثير من أبطالهم وفرسانهم- وطهر الأرض من فجورهم وعصيانهم.. وغنموا منهم غنائم كثيرة.

عندها كلف عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - زيد بن ثابت أن يتولى قسمة الغنائم بين المسلمين.. ففعل.

ثم اتجها إلى بيت المقدس: لينعما بالصلاة فيه. فتقدم لهما نبطى من أهل البلاد يشكو عبادة بن الصامت الصحابى الجليل. لأنه ضربه وشجه..؟؟

فأمر بإحضاره: ثم قال له عمر: ما دعاك إلى ما صنعت..؟

فقال: يا أمير المؤمنين أمرته أن يمسك دابتى فأبى، وأنا رجل فىَّ حدة، فضربته..؟؟

فقال: اجلس للقصاص.

فقال زيد بن ثابت: أتقيد عبدك من أخيك..؟

فترك عمر القود وقضى عليه بالدية.

إنه القصاص العادل: الذى أمر الله تعالى به بقوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

ولكن الذى حدث عليه الاعتداء من فئة تحارب الإسلام، وتصد الناس عن الدخول فيه، وقد يكون هذا الرجل عيناً على المسلمين، يكشف عوراتهم ويخبر العدو بأماكن الضعف عندهم، من هنا كانت الدية ولم يكن القصاص..؟

زيد بن ثابت فى تقدير الرسول ﷺ والصحابة

يقول الرسول- ﷺ- من أحب أن يقرأ القرآن غضّاً فليقرأه بقراءة زيد».

وروى الإمام أحمد بسنده عن مالك بن أنس عن النبى- ﷺ- أنه قال: أرحم أمتى بأمتى أبو بكر.

وأشدهم فى دين الله عمر بن الخطاب.

وأصدقهم حياء عثمان بن عفان.

وأفرضهم زيد بن ثابت.

وأقرأهم لكتاب الله أبى بن كعب.

وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

وكان رسول الله- ﷺ- دفع راية بنى مالك فى غزوة تبوك إلى عمارة بن حزم ثم أدركه فأخذها منه ودفعها إلى زيد.

فقال عمارة يا رسول الله: بلغك عنى شىء.؟

قال: لا ولكن حامل القرآن يقدم وإن زيداً أكثر أخذاً منك للقرآن.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٩.

وقال الشعبى: كان القضاة أربعة والدهاة أربعة، فأما القضاة، فعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.

وأما الدهاة: فمعاوية بن أبى سفيان، وزياد بن أبيه، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة.

وكان عمر بن الخطاب يستخلف زيد بن ثابت على المدينة كلما همَّ بسفر خارجها. ولقد كان بين زيد وبين ناس من الأنصار كلام ومشاحنة فجاء منهم رجل ثم أخذ بتلابيب زيد، فمر بهم جماعة من الأنصار، فلما رأوهم أرسلوه، فجعل رجل منهم يقول لأبى حبة: أتصنع هذا برجل لو مات الليلة ما دريت ما ميراثك من أبيك..؟

وقال الزهرى: لو هلك عثمان وزيد لهلك علم الفرائض، لقد أتى على الناس زمانٍ وما يعلمها غيرهما.

يقول أبو سلمة: قام ابن عباس إلى زيد فأخذ بركاب ناقته فقال له: تنح يا ابن عم رسول الله..؟؟

فقال له: إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا.

فقال زيد: أرنى يدك فأخرج يده فقبلها زيد وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

«العلماء ورثة الأنبياء» وعلى المسلمين تبجيلهم واحترامهم، وتقديم العون لهم. ما داموا على الجادة سائرين، وعلى تعاليم الإسلام يحافظون، ويؤدون واجبهم لدينهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا ما جعل ابن عم الرسول- ﷺ- يأخذ مقود دابة زيد بن ثابت أحد العلماء وأبناء بيت النبوة وأحفادهم- حتى يرث الله الأرض ومن عليها- لهم حق الاحترام والتقدير، والمعاونة إن لزمت والمودة والرحمة لقوله تعالى على لسان نبيه- ﷺ:

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(١).

(١) سورة الشورى آية رقم ٢٣.

وصايا زيد بن ثابت لأبى بن كعب

كتب زيد إلى أبى بن كعب يقول له:

«أما بعد: فإن الله جعل اللسان ترجماناً للقلب، وجعل القلب وعاء وراعياً ينقاد له اللسان لما هداه له القلب، فإن كان القلب على طرف اللسان جاء اللسان وائتلف القول واعتدل. ولم يكن للسان عثرة ولا زلة، ولا حلم لمن لم يكن قلبه من بين يدى لسانه، فإذا ترك الرجل كلامه لفعله صدَّق ذلك مواقع حديثه فتذكر: هل وجدت بخيلاً إلا وهو يجود بالقول ويضن بالفعل..؟

وذلك لأن لسانه بين يدى قلبه.

تذكر: هل تجد عند أحد شرفاً أو مروءة إذا لم يحفظ ما قال ولم يتبعه بالفعل ويقول ما قال: وهو يعلم أنه حق، عليه واجب حين يتكلم به العاقل، لا يكون بصيراً بعيوب الناس، فإن الذى يبصر عيوب الناس ويهون عليه عيبه كمن يتكلف ما لم يؤمر به والسلام».

لقد قام زيد بن ثابت بواجبه تجاه إخوانه وتجاه الولاة منهم من إخلاص النصيحة لهم امتثالاً لقول الرسول- ﷺ-:

«الدين النصيحة ثلاث مرات. قالوا: يا رسول الله لمن..؟ قال: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1] .

يقول زيد بن ثابت- رضي الله عنه - جمعت القرآن الكريم: الذى هو كتاب الله عز وجل، المنزل على خاتم الأنبياء- محمد- ﷺ- بلفظه ومعناه، وهو كتاب محكم لقوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2] .

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة بسنده عن أبى هريرة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله- ﷺ- وذكره وقال الترمذى. هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائى فى البيعة. باب النصيحة للإمام.

(٢) سورة هود آية رقم ١.

وهو المعجزة الكبرى تحدى بها رسول الله- ﷺ- الناس كافة الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا قال تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(١).

والقرآن الكريم، حارب الشرك وأهله، وعمل على عودة الناس- كل الناس إلى توحيد الخالق. وصنع من رعاة الإبل والشاة أمة مثالية، اختطت من شئون السياسة والتنظيم الاجتماعى ما تعمل الدول جاهدة للوصول إليه.

يقول زيد ومما قاله الإمام علىٌّ- رضي الله عنه- ونحن على أرض الكوفة: سمعت الرسول- ﷺ- يقول لنا:

«ألا إنها ستكون فتن..؟؟

قلت: وما المخرج منها يا رسول الله..؟

قال: كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم- وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم- هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾(٢).

من قال به صدق.

ومن عمل به أُجر.

ومن حكم به عدل.

ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم.

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٨٨.

(٢) سورة الجن آية رقم ١.

يقول زيد بن ثابت وهو على منبر مسجد الكوفة- يا أحباب محمد- ﷺ- كتبت الوحى بين هاتين، وجمعته بعد وفاة الرسول- ﷺ- بكل ذرة وبكل نفس، وبكل هداية من الله تعالى. واختلفت مع أصحابى أصحاب الرسول- ﷺ- فى أسماء كتاب الله تعالى حتى هدانا الله جميعاً إلى الحق. واتفقنا على أن للوحى المنزل على رسول الله تعالى عدة أسماء منها: «القرآن» قال تعالى:

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾(١).

ومنها: الفرقان قال الله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾(٢).

ومنها: الكتاب: قال الله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾(٣).

ومنها التنزيل قال الله تعالى:

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٤).

ومنها الذكر: قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٥).

رضى الله عن زيد بن ثابت- كاتب الوحى المتتابع على الرسول- ﷺ- وجامع القرآن الكريم.

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ١٠٦.
(٢) سورة الفرقان آية رقم ١.
(٣) سورة الكهف آية رقم ١، ٢.
(٤) سورة فصلت آية رقم ٤١- ٤٢.
(٥) سورة الحجر آية رقم ٩.

الترغيب فى قراءة القرآن

يقول عبد الرحمن بن زيد- رضي الله عنه- حدثنى عما سمعه من الرسول- ﷺ- فى قارئ القرآن.. ومرتله..

يقول زيد: لقد سمعت من حبيبى رسول الله- ﷺ- يقول: تعلم القرآن وتعليمه للمسلمين يجعل من صاحبه خير الناس وأفضلهم- ولفظه- ﷺ-: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(١).

ولقد سمعت منه يا بنى ومعى جمع كبير من الصحابة- قوله ﷺ:

«مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به، كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر.

ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مرٌّ أو خبيث ولا ريح لها»(٢).

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه:

وكان مما يكرره دائماً أخى وحبيبى أبو ذر: لأن تغدو فنتعلم آية من كتاب الله خير من أن تصلى مائة ركعة. وقارئ القرآن مأجور على قراءته.

عندها رفع عبد الرحمن بن زيد أكف الضراعة متوجهاً إلى خالق الأرض والسماء وأخذ يتمتم بهذه العبارات:

« اللهم اجعلنا من حفظة كتابك العاملين بما فيه من شرع وهداية، وارزقنا حلاوة الإيمان وبرد اليقين.

(١) رواه البخارى ومسلم بسندهما عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- قال ﷺ وذكره.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الأطعمة ٣٠ وفضائل القرآن ١٧- ٣٦ ومسلم فى المسافرين ٢٤٣، وأبو داود ١٦ والترمذى فى الأدب ٧٩ وابن ماجه فى المقدمة.

زيد بن ثابت والقرآن الكريم

القرآن الكريم: هو كتاب الله عز وجل، المنزل على خاتم الأنبياء محمد- ﷺ- بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب فى المصاحف.

وهو كتاب محكم قال تعالى:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١).

وهو المعجزة الكبرى تحدى بها رسول الله- ﷺ- الناس كافة الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا.

تحداهم أولاً أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا قال تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٢).

وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور فعجزوا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣).

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فعجزوا قال تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٤).

ثم كرر التحدى مرة أخرى قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ

(١) سورة هود آية رقم ١.
(٢) سورة الإسراء آية رقم ٨٨.
(٣) سورة هود الآية: ١٣ .
(٤) سورة يونس آية رقم ٣٨- ٣٩.

التِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1] .

والقرآن الكريم شريعة الله لخلقه الذى تكفل بجميع ما يحتاجه البشر فى أمور دينهم ودنياهم.

والقرآن الكريم حارب التقليد ودعا إلى النظر والتأمل فى الكون، وكون أمة مثالية، اختطت من شئون السياسة والتنظيم الاجتماعى ما تعمل الدول جاهدة للوصول إليه».

يقول الإمام على- رضي الله عنه - سمعت الرسول- ﷺ - يقول: «ألا إنها ستكون فتن..؟؟»

قلت: وما المخرج منها يا رسول الله..؟

قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم- وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم- وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[2] .

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»[3] .

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه وللقرآن الكريم أسماء كثيرة منها:

١ - القرآن : قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[4] .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣- ٢٤.　　(٢) سورة الجن آية رقم ١.

(٣) الحديث رواه الترمذى والدارمى وغيرهما وابن كثير فى فضائل القرآن وتعقب كلام الترمذى مما يدل على اعتماده للحديث.

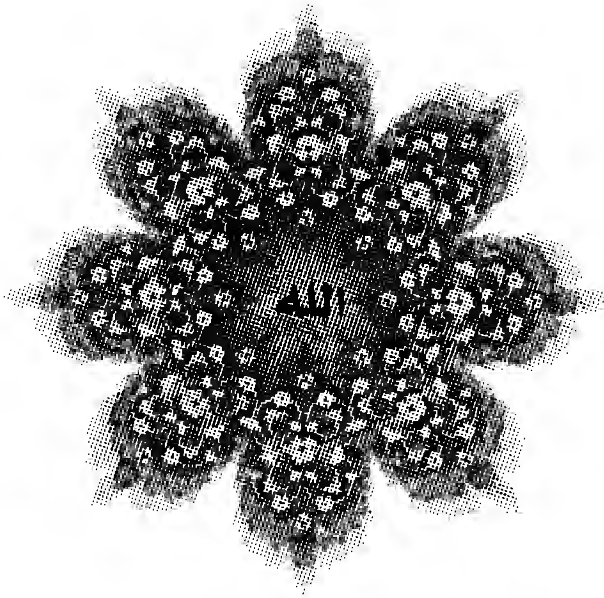
(٤) سورة الإسراء آية رقم ١٠٦.

٢- الفرقان: قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾(١).

٣- الكتاب: قال الله تعالى: ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾(٢).

٤- التنزيل قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٣).

٥- الذكر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٤).



(١) سورة الفرقان آية رقم ١.

(٢) سورة الكهف آية رقم ٢٠١.

(٣) سورة فصلت آية رقم ٤١- ٤٢.

(٤) سورة الحجر آية رقم ٩.

الترغيب فى قراءة القـرآن وحفظـه

تعلم القرآن وتعليمه يجعل صاحبه خير الناس وأفضلهم- روى الشيخان عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- عن النبى- ﷺ- قال:

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

ومن حديث أبى ذر- رضي الله عنه-:

لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير من أن تصلى مائة ركعة، وقارئ القرآن مأجور على قراءته.

وروى الشيخان فى صحيحهما بسندهما عن زيد بن ثابت- عن النبى- ﷺ- قال:

«مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به، كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث ولا ريح لها»[1]. كما ذكرنا سابقا.

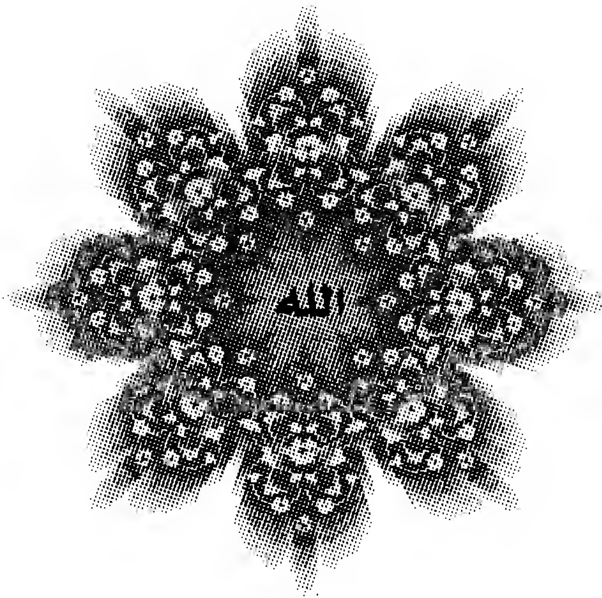
والقرآن عند ما استقر فى قلوب المؤمنين خرجوا به والظلام شامل والجهل حاكم. والعقائد زيف وأباطيل فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الأطعمة ٣٠، وفضائل القرآن ١٧ ، ٢٦ والتوحيد ٥٧، وأخرجه الإمام مسلم فى المسافرين ٢٤٣ وأبو داود فى الأدب ١٦ والترمذى فى الأدب ٧٩ والنسائى فى الإيمان ٣٢ وابن ماجه فى المقدمة ١٦ وأحمد بن حنبل فى المسند ٤: ٢٩٧، ٤٠٤، ٤٠٨ (حلبى).

الحق للإنسان.

فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين. لقد رفعوا كلمة التوحيد عالية خفاقة فى أركان الأرض الأربعة.

اللهم اجعلنا من حفظة كتابك العاملين بما فيه من شرع وهداية وارزقنا حلاوة الإيمان وبرد اليقين.





تـذيــيـــل

الإيثار والبذل وموقف الإسلام منه

الإيثار والبذل وموقف الإسلام منهما

ذكر الترمذى عن أبى هريرة- رضي الله عنه- أن رجلاً من الأنصار بات عنده ضيف فلم يكن عنده إلا قوته، وقوت صبيانه.

فقال لامرأته: نومى الصبية وأطفئى السراج وقربى للضيف ما عندك.

فنزل قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة- رضي الله عنه-: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى مجهود..؟؟

فأرسل إلى بعض نسائه. فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء.

ثم أرسل إلى الأخرى: فقالت مثل ذلك.

حتى قلن كلهن مثل ذلك..؟!

فقال عليه السلام لجماعة المسلمين. من يضيف هذا الليلة رحمه الله..؟

فقام رجل من الأنصار. فقال: أنا يا رسول الله.

ثم انطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شىء..؟

قالت: لا إلا قوت الصبيان..؟؟

قال: فعلليهم بشىء فإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل فإذا هوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيه.

قال: فقعدوا وأكل الضيف.

فلما أصبح غدا على النبى- ﷺ- فقال:

«قد عجب الله- عز وجل- من صنيعكما بضيفكما الليلة».

وذكر الإمام القشيري- رحمه الله- عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهدى لرجل من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- رأس شاة.

فقال الرجل: إن أخى فلان وعياله أحوج إلى هذا منا فأبعثيه إليهم.

فلم يزل يبعث بها واحد إلى آخر تداولها سبعة بيوت حتى رجعت إلى التى أهديت له أولاً فنزل قول الله تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

يقول الإمام القرطبى: الإيثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ورغبة فى الحظوظ الأخروية.

وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة.

وفى موطأ الإمام مالك- رحمه الله- أنه بلغه عن عائشة- أم المؤمنين- رضي الله عنها- أن مسكيناً سألها وهى صائمة وليس فى بيتها إلا رغيف فقالت عائشة لمولاة لها:

أعطيه الرغيف.

فقالت الجارية: ليس لك ما تفطرين عليه..؟

فقالت عائشة- مرة ثانية أعطيه الرغيف.

قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت شاة ملفوفة بعشرة أرغفة فدعت عائشة الجارية وقالت لها كلى من هذا فهذا خير من رغيفك.

قال أهل الفضل: هذا من المال الرابح، والفعل الزاكى عند الله تعالى: يعجل منه ما يشاء، ولا ينقص ذلك مما يدخر عنه.

ومن ترك شيئاً لله لم يجد فقده.

وعائشة رضي الله عنها فى فعلها هذا من الذين أثنى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم، مع ما هم فيه من الخصاصة، وأن من فعل ذلك فقد وقى شح

نفسه وأفلح فلاحاً لا خسارة بعده.

وعن مالك بن دينار- رضي الله عنه- أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة فى البيت حتى تنظر ما يصنع بها.

فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه فى بعض حاجتك.

فقال أبو عبيدة: وصله الله ورحمه. ثم قال: تعالى يا جارية: اذهبى بهذه السبعة إلا فلان.

وبهذه الخمسة إلى فلان. حتى أنفدها.

فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل. وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل. وتلكأ فى البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع.

فذهب الغلام بها إليه وقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا فى بعض حاجتك.

فقال معاذ بن جبل- رضي الله عنه- رحم الله أمير المؤمنين ووصله.

وقال يا جارية: اذهبى إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا. فاطلعت امرأة معاذ فقالت:

ونحن والله مساكين فأعطنا..؟؟

قالت ذلك ولم يبق فى الخرقة إلا ديناران فسلمهما لها.

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره. فسرَّ عمر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

وقد وردت أخبار صحيحة عن النبى- صلى الله عليه وسلم- فى النهى عن التصدق بجميع ما يملكه المرء.

وقيل: إنما كره ذلك فى حق من لا يوثق منه الصبر على الفقر، وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه.

فأما الأنصار- رضوان الله عليهم- فهم الذين أثنى عليهم بالإيثار على أنفسهم، فلم يكونوا بهذه الصفة. بل كانوا كما قال الله تعالى:

﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾(١).

وكان الإيثار فيهم أفضل من الإمساك. والإمساك لم لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار.

وروى أن رجلاً جاء إلى النبى- ﷺ- بمثل البيضة من الذهب.

فقال: هذه صدقة فرماه بها وقال:

«يأتى أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس».

والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال. قال الشاعر:

«والجود بالنفس أسمى غاية الجود».

ألا ترى أن امرأة العزيز لما تاهت فى حبها ليوسف عليه السلام آثرته على نفسها فقالت: أنا راودته عن نفسه».

وقال حذيفة العدوى: انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لى، ومعى شىء من الماء- وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته. فإذا أنا به فقلت له:

فأشار برأسه أن نعم.

فإذا أنا برجل يقول: آه، آه.

فأشار إلىَّ ابن عمى أن أنطلق إليه. فإذا هو هشام بن العاص.

فقلت: أسقيك..؟

فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول آه، آه فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات..؟؟

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٧٧.

فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات..؟؟

فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات..؟؟

وقال أبو يزيد البسطامى ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ، قدم علينا حاجاً فقال لى: يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم؟

قلت: إنا وجدنا أكلنا، وإن فقدنا صبرنا.

فقال: هكذا كلاب بلخ عندنا.

فقلت: وما حد الزهد عندكم..؟

قال: إن فقدنا شكرنا، وإن وجدنا آثرنا.

وسئل ذو النون المصرى: ما حد الزهد المنشرح صدره..؟

قال ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت.

وحكى عن أبى الحسن الأنطاكى أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرى، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم.

فكسروا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام. فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئاً إيثاراً لأصحابه على نفسه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقد قال أهل اللغة: إن الشح أشد من البخل.

وعن الأسود عن ابن مسعود- رضي الله عنه- أن رجلاً أتاه فقال له: إنى أخاف أن أكون قد هلكت.

قال: وما ذاك..؟

قال سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(١) سورة الحشر آية رقم ٩.

وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدى شيئاً فقال ابن مسعود : ليس ذلك بالشح الذى ذكره الله تعالى فى القرآن.

إنما الشح: أن تأكل مال أخيك ظلماً. ولكنَّ ما ذكرت ذلك البخل.

وبئس الشىء البخل.

وقال: إن النبى- ﷺ- كان يدعو فيقول:

« اللهم إنى أعوذ بك من شح نفسى وإسرافها ووساوسها ».

وكان يقول أيضاً : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

وقال كسرى لأصحابه: أى شىء أضر بابن آدم..؟

قالوا : الفقر.؟؟

فقال كسرى: الشح أضر من الفقر لأن الفقير إذا وجد شبع. والشحيح إذا وجد لم يشبع أبداً.

نرجو من الله تعالى السلامة والمغفرة إنه قريب مجيب الدعاء.

مسيلمة الكذاب الحنفى


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

(الأنعام: ٩٣)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال الإمام الواحدى فى كتابه أسباب النزول ص٢٢٣ نزلت فى مسيلمة الكذاب.

وعزاه فى اللباب ص ٢٠ لابن جرير عن عكرمة.

وعزاه فى الدر المنثور للسيوطى ٣: ٣٠ لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج.

وذكره ابن جرير فى التفسير ١٧- ١٨.

فمن هو مسيلمة الكذاب..؟



حياته ونشأته:

هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفى متنبئ. كذاب. من المعمرين وفى الأمثال «أكذب من مسيلمة».

ولد ونشأ باليمامة(١). أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخلاً وعلى ثرى أرض اليمامة تنازع رجل وزوجته على أيهما يقوم بحضانة الطفل بعد افتراقهما. فارتفعا أمرهما إلى الملك عمليق فقالت المرأة:

أيها الملك: هذا ابنى حملته تسعاً، ووضعته رفعاً وأرضعته شبعاً، ولم أنل منه نفعاً.

حتى إذا تمت أوصاله واستوفى فصاله أراد زوجى أن يأخذه كرهاً، ويتركنى ولهى..؟؟

فقال الرجل: أيها الملك أعطيتها المهر كاملاً، ولم أصب منها طائلاً إلا ولداً خاملاً، فافعل ما كنت فاعلاً.

على أننى حملته قبل أن تحمله.

وكفلت أمه قبل أن تكفله.

فقالت أيها الملك: حمله خفاً وحملته ثقلاً، ووضعه شهوة، ووضعته كرهاً.

(١) راجع معجم البلدان ج٥ ص ٤٤١ وما بعدها.

فلما رأى عمليق متانة حجتها تحير فلم يدر بما يحكم. فأمر بالغلام أن يقبض منهما وأن يربى مع غلمانه.

فوق هذه الأرض المبسوطة، والنخل الباسقات والمياه الجارية نشأ مسيلمة الكذاب.

وتلقب فى الجاهلية بالرحمن وعرف برحمان اليمامة.

ولما ظهر الإسلام فى غربى الجزيرة، وافتتح النبى- ﷺ- مكة.

ودانت له العرب- جاءه وفد من بنى حنيفة. قيل كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرحال خارج مكة- وهو شيخ هرم.

فأسلم الوفد وذكروا للنبى مكان مسيلمة فأمر له بعطاء بمثل ما أمر لهم:

ولما رجعوا إلى بلادهم كتب مسيلمة إلى النبى- ﷺ- كتاباً قال فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد: فإنى قد أشركت فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض. ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فأجابه الرسول- ﷺ- قائلاً:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد:

﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

وكان ذلك فى أواخر سنة ١٠هـ.

وأكثر مسيلمة من وضع الأسجاع يحاول أن يضاهى بها القرآن. وصدق ربى فى قوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾(٢).

وتوفى النبى- ﷺ- قبل القضاء على فتنته.

(١) الأعراف آية رقم ١٢٨.

(٢) سورة الكهف آية رقم ٥.

وقد بعث النبى ﷺ- قبل وفاته خيلاً قبل اليمامة فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له «ثمامة» بن أثال فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج له النبى- ﷺ- فقال:

«ما عندك يا ثمامة..؟

قال: عندى خير يا محمد إن تقتلنى تقتل ذا دم وأن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فتركه حتى كان الغد: وقال له: ما عندك يا ثمامة..؟

فقال: عندى ما قلت لك.

فقال الرسول- ﷺ-: أطلقوا تمامة.

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد: فاغتسل ثم دخل المسجد. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم تابع قوله: يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلىَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىَّ.

والله ما كان دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلىَّ وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى..؟

فبشره رسول الله- ﷺ- وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة قالوا له أصبوت..؟

قال: لا ولكنى أسلمت مع محمد- ﷺ- ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى- ﷺ[1].

(١) هذا رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى كلهم عن قتيبة عن الليث به.

مقتل مسيلمة

بعث الخليفة أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- خالد بن الوليد إلى قتال بنى حنيفة باليمامة. وجيش معه عدد كبير من المسلمين.

وكان يحمل راية الأنصار ثابت بن قيس بن شماس.

وسار هذا الجيش ووجهته بنى حنيفة- وكان لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم. وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح فشردهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب.

وأردف الصديق رضي الله عنه جيش خالد بكتيبة أخرى لتكون ردءاً له من الخلف.

وكان قد بعث الصديق قبل خالد بن الوليد- رضي الله عنه- إلى مسيلمة الكذاب عكرمة بن أبى جهل وشرحبيل ابن حسنة فلم يقاوما بنى حنيفة، لأنهم كانوا فى نحو أربعين ألفاً من المقاتلة.

فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له عقربا فى طرف اليمامة وندب الناس وحثهم على القتال.

ويقال إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم:

ماذا تقولون يا بنى حنيفة..؟

قالوا: منا نبى ومنكم نبى.

وقال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة. اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات..

فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم.

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة. فضرب به عسكره. وراية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة.

وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس والعرب على راياتها.

ثم اصطدم المسلمون مع جيش مسيلمة فكانت جوله وانهزمت الأعراب.؟

حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل زوجته.

ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس: «بئس ما عودتم أقرانكم ونادوا من كل جانب اخلصنا يا خالد فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار ثم ثار البراء بن معرور كما يثور الأسد وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله.

وأخذت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم. وحفر ثابت بن قيس لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك.

وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة أتخشى أن نؤتى من قبلك..؟

فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً...؟؟

وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً.

وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتى فقتل شهيداً رضي الله عنه.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل فيهم حتى أبعدهم واصيب رضي الله عنه.

وحمل خالد بن الوليد- رضي الله عنه- حتى جاوزهم وسار نحو مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله.

ثم رجع ووقف بين الصفين ودعا إلى البراز وقال: أنا ابن الوليد العود.

أنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ يا محمداه وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ولا يدنو منه شىء إلا أكله.

ودارت رحى الحرب ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النصف والرجوع إلى الحق. فجعل شيطان مسيلمة يلوى عنقه، لا يقبل منه شيئاً.

وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه فانصرف عنه خالد وصبرت الصحابة فى هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله ولم يزالوا

يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم. وولى الكفار الأدبار وأتبعوهم يقتلون فى أقفائهم، ويضعون السيوف فى رقابهم حيث شاءوا حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت واستطاع البراء بن مالك أن يعتلى سور الحديقة ويفتح لهم الباب. حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف على ثلمة جدار كأنه جمل أورق فتقدم إليه وحشى بن حرب مولى جبير بن مطعم- قاتل حمزة فرماه بحربته فسقط مسيلمة. بعد أن خرجت الحربة من الجانب الآخر وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط. فنادت امرأة من القصر وا أميراه قتله العبد الأسود.

ولما قدمت وفود بنى حنيفة على الصديق قال لهم:

«أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة..

فقالوا: وتعفينا يا خليفة رسول الله..؟

فقال: لابد من ذلك.

فقالوا كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقى كما تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين. رأسك فى الماء، وذنبك فى الطين.

وكان يقول: والمبذرات ذرعاً، والحاصدات حصدا والخابزات خبزاً والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً.

وذكروا أشياء من هذه الخرافات التى يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون أين هذا من قول الله تعالى:

الذى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾(١).

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٤٢.

(٢) سورة الواقعة الآيات رقم: ٧٧ ـ ٧٩.


تذييل
الطغاة والجبابرة
ودورهم فى حياة الشعوب

الطغاة والجبابرة ودورهم فى حياة الشعوب

إن الطغاة فى كل عصر ومصر، كان لهم دور كبير فى تعكير صفو الحياة عن طريق التنكيل والتعذيب والقتل.

وكم رويت الأرض من دماء الأبرياء الذين لم يقترفوا إثماً ولا ارتكبوا جريمة. ويطيب لنا أن نقدم فى هذه الموسوعة صوراً لبعض هؤلاء الطغاة.

١- النمروذ بن كوش...

كان من أوائل الطغاة الجبارين الذين عانوا فى الأرض تجبراً وفساداً يقول قتادة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

النمروذ بن كوش: أول من تجبر وتكبر وأقام نفسه إلهاً فى الأرض وهو صاحب الصرح ببابل. وقيل ملك الدنيا بأجمعها فى دورة من دورات الحياة.

وهو الذى حاج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان الذى ملّكه على العباد الطاغية الضحاك. وكأنه من سلالة الذئاب التى تنهش وتأكل ويقال إن ملكه دام ألف عام فيما يقولون.

وهو أول من صلب البشر وأول من قطع أيديهم وأرجلهم بلا جرم ارتكبوه.

وفى خبر المحاجة التى دارت بينه وبين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ روايتان أنه خرج وشعبه فى يوم عيد لهم.

فدخل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على أصنامهم فكسرها. نعم كسر الأصنام والأوثان التى كانت تعبد من دون الله فى الأرض.

فلما رجعوا قال لهم إبراهيم «أتعبدون ما تنحتون»..؟

فقالوا له: وأنت فمن تعبد..؟

قال إبراهيم عليه السلام: أنا أعبد ربى الذى يحيى ويميت.

قالوا: «حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين».

وأججوا النار وألقوا فيها من كل حجر وخشب وحطب وشجر حتى تحولت إلى نار عظيمة فألقوه فيها عندها صدرَ قرار الحماية من خالق الأرض والسماء وموجد الحياة والموت قوله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١).

والرواية الثانية: أن نمروذ كان يحتكر الميره التى يصنع منها الطعام. فكانوا إذا احتاجوا إلى الميرة ذهبوا إليه فإذا دخلوا عليه سجدوا بين يديه.

فدخل إبراهيم عليه السلام فلم يسجد.

فقال له: مالك لا تسجد لى.

قال إبراهيم: أنا لا أسجد إلا لربى.

فقال له نمروذ: من ربك..؟

قال إبراهيم: ربى الذى يحيى ويميت.

وذكر زيد بن أسلم- رضي الله عنه- أن النمروذ هذا كان ييئس الناس ويذلهم بطلب الميرة.

فكلما جاء قوم يطلبون منه الميرة يقول لهم: من ربكم وإلاهكم..؟

فيقولون أنت.

فيقول: ميروهم أى أعطوهم الدقيق.

وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك وإلهك..؟

قال إبراهيم عليه السلام: ربى الذى يحيى ويميت.

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٩.

فلما سمعها نمروذ قال: أنا أحيى وأميت.

فعارضه إبرهيم عليه السلام بقوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾(١).

عندها بهت الذى كفر..؟!

وقال لعبيده الذين استعبدهم من دون الله لا تميروه.

فرجع إبراهيم عليه السلام إلى أهله دون شىء فمرَّ على كثيب رمل كالدقيق.

فقال فى نفسه: لو ملأت غرارتى من هذا فإذا دخلت به فرح الصبيان حتى أنظر إليهم.. فذهب بتلك الفرارتين. وما كاد الأطفال يرون أباهم، وهو يحمل هذا الحمل حتى فرحوا وجعلوا يلعبون. ثم نام هو من الإعياء فقالت امرأته: لو صنعت له طعاماً يجده حاضراً إذا تبينه من نومه. ففتحت إحدى الفرارتين فوجدت فيها أحسن ما يكون من الدقيق فخبزته.

فلما قام من نومه وضعته بين يديه فقال:

من أين لك هذا..؟

فقالت: من الدقيق الذى أتيت به.

الطاغية فرعون

يطلق عليه فرعون موسى ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً فى ملكه منه.

وكان اسمه- فيما ذكروا- الوليد بن مصعب. ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة، ولا أقسى قلباً، ولا أسوأ ملكة لبنى إسرائيل منه.

يعذبهم فيجعلهم خدماً وخولاً.

وصنفهم فى أعماله على الآتى.

(١) سورة البقرة آية: ٢٥٨.

صنف يبنون المنازل والحوانيت.

وصنف يحرثون الأرض ويرمون فيها الحب.

وصنف يزرعون الأشجار ويرقبون نضج الثمار.

فهم فى أعماله دائماً.

ومن لم يكن منهم فى صنعة له من عمله فعليه دفع الجزية.

فسامهم كما قال الله تعالى: ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾(١).

وقد تزوج منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم من خير النساء المعدوات وقال الله تعالى عنها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

فعمر فيهم فرعون وهم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب.

ولما تقارب زمان بعثة موسى عليه السلام أتى منجمو فرعون وخزانه إليه فقالوا:

«نعلم أننا نجد فى عملنا أن مولوداً من بنى إسرائيل قد أظلك زمانه الذى يبعث فيه يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك ويخرجك من أرضك ويبدل دينك.

فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بنى إسرائيل وأمر بالنساء ألا يذبحن.

ثم جمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن.

لا يسقطن على أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتلتموه.

فكن يفعلن ذلك حتى بلغ القتلى أكثر من سبعين ألف طفل.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٧.

(٢) سورة التحريم آية رقم ١١.

ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما فى بطونهن.

عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال:

لقد ذكر لى أن فرعون كان يأمر بالقصب فيشق ثم يصف بعضه إلى بعض. ثم يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيوقفهن عليه فيخرق أقدامهن.

حتى إن المرأة منهن لتلقى بولدها فيقع بين رجليها. فتظل تطؤه تتقى به حزَّ القصب عن رجليها. لما بلغ من جهدها.

ولقد أسرف فرعون فى ذلك وكاد يفنيهم..؟؟

فقيل له: أفنيت الناس، وقطعت النسل، ومنهم خَولك وعمالك.

عندها أمر أن يقتل الغلمان عاماً ويبقيهم عاماً.

فولد هارون فى السنة التى لا يقتل فيها.

وولد موسى عليه السلام فى السنة التى يقتلون فيها.

ولذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(١).

هذا الطاغية علا فى الأرض.

ثم تكبر وتجبر وجعل أهل مصر شيعاً.

كل طائفة فى شأن من شئونه.

ولقد وقع أشد الاضطهاد والبغى على بنى إسرائيل. لأن لهم عقيدة غير عقيدة فرعون وقومه.

فهم كانوا يدينون بالإله الواحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد.

ومهما وقع فى عقيدتهم وكتابهم التوراة بعد ذلك من تحريف وتحوير فقد بقى لهم أصل الاعتقاد بالإله الواحد.

---

(١) سورة القصص آية ٤.

فقد أحسَّ فرعون أن هناك خطرا على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة فى مملكته التى كان يقول عنها:

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾[1].

ولم يكن فى استطاعته أن يطردهم وهم عدد كبير لا يحصى ولا يعد ولو فعل لكان من الممكن التحالف بينهم وبين أعداء فرعون.

فابتكر عندئذ هذه الطريقة وهى تسخيرهم فى شتى الأعمال وإضعاف قوتهم بالإضافة إلى قتل أبنائهم.

ولكن الله سبحانه وتعالى يريد غير ما يريد فرعون.

ويقدر الله سبحانه وتعالى غير ما يقدر الطاغية.

والطغاة البغاة فى كل عصر ومصر تخدعهم قوتهم وسطوتهم عندها ينسون إرادة الله وتقديره.

ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون ويختارون لأعدائهم ما يشاءون ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون.

وتناسوا إرادة الله وقدرته والتى أنزلها فى كتابه خاتم الكتب السماوية بقوله تعالى:

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2].

﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[3].

حكمتك يارب يقتل فرعون سبعين ألف طفل حتى يمنع قدر الله- ولكن الله سبحانه يجعل هذا الطفل الذى يخافه فرعون ويعيش فى رعب منه لا يقتل ويتربى فى قصره.

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٥١.

(٢) سورة البقرة آية ٢١٦.

(٣) سورة البقرة آية ٢١٦.

وما حدث مع موسى حدث مع يوسف عليه السلام الذى رغب إخوته القضاء عليه- وإبعاده حتى يخلو لهم وجه أبيهم.

ويشاء العليم القدير أن يحرس بعنايته ورعايته هذا الطفل فى الجب ثم تربى فى أحد القصور بين الرفاهية والنعيم.

وهؤلاء الإخوة يأتون إليه ويحتاجون لعونه- ومساعدته. ثم تتكشف لهم حقيقة يوسف وأن كيدهم انقلب بإرادة الله إلى سعادة ونعيم.

وكذلك فرعون يصب جام غضبه على بنى إسرائيل ويكيل لهم النكال والعذاب كيلاً. وهو مع ذلك يخافهم ويحذرهم.

يرهبهم ويحتاط من كيدهم إن كان لهم كيد.

فيبعث عليهم العيون والأرصاد ويتعقب نسلهم من الذكور فيسلمهم إلى الجزار والقتّال.

ويتحقق وعد الله وقدره ويدوى فى أركان الأرض الأربعة قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1].

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٥.

تميم بن أوس الداري

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾.

(سورة المائدة: ١٠٦)

أقـوال العلمـاء والمفـسرين فــي نــزول هــذه الآيــة

قال الإمام الواحدى نزلت في تميم الداري وعدي بن بداء ص ٢١٥

وذكره الإمام البخاري في الوصايا ٢٧٨٠

وذكره أبو داود في القضايا ٣٦٠٦

والإمام الترمذي في التفسير ٣٠٦٠

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠- ١٦٥

فمن هو تميم الداري؟



من العمالقة الصيد.

ومن الركع السجود الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

كان من أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(١).

نشأ على بطحاء المدينة «يثرب الخضراء» ذات الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء والهواء العليل وأهلها الطيبون المطيبون والذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

دخل فى رحاب الإسلام فى السنة التاسعة من الهجرة. وصار من الذين يقومون الليل ويصومون النهار تقرباً إلى الله تعالى. حتى صار من الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣)، اقترب من الرسول- ﷺ- واستمع إلى قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(٤)

(١) سورة المائدة رقم: ٨٢.
(٢) سورة الحشر آية رقم: ٩.
(٣) سورة السجدة آية رقم: ١٦- ١٧.
(٤) سورة آل عمران آية: ٤٢.

ويتكلم عن الطفل الطاهر المطهر- رضوان الله عليه- والذى تكلم فى المهد بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(١).

عندها أعلن إسلامه ونطق بقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله» وتتابعت جلساته فى مجلس الرسول- ﷺ- وفى يوم ليس كمثله يوم تحدث مع الرسول- ﷺ- حديث الجساسة من ذلك أن الصحابى الجليل عامر بن شراحيل الشعبى: سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس- وكانت من المهاجرات الأول. فقال: حدثينى حديثاً سمعتيه من رسول الله- ﷺ- لا تسنديه إلى أحد غيره.

فقالت: لئن شئت لأفعلن

فقال لها: أجل حدثينى.

فقالت: نكحت ابن المغيرة- وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب فى أول الجهاد مع رسول الله- ﷺ-. فلما تأيمت خطبنى عبد الرحمن بن عوف. فى نفر من أصحاب رسول الله- ﷺ-. وخطبنى رسول الله على مولاه أسامة بن زيد. وكنت قد حدثت أن رسول الله- ﷺ- قال: «من أحبنى فليحب أسامة». فلما كلمنى رسول الله- ﷺ- قلت أمرى بيدك فانكحنى من شئت.

فقال: انتقلى إلى أم شريك. وهى امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة فى سبيل الله، ينزل عليها الضيفان.

فقلت: سأفعل.

فقال: لا تفعلى. إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإنى أكره أن يسقط

---

(١) سورة مريم الآيات رقم من ٣٠: ٣٣.

عنك خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقلى إلى عمك: عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم..؟ وهو رجل من بنى فهر. من البطن الذى هى منه. فانتقلت إليه.

فلما انقضت عدتى سمعت نداء المنادى- منادى رسول الله- ﷺ- ينادى: الصلاة جماعة.

فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله- ﷺ-. فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم.

فلما قضى رسول الله- ﷺ- صلاته: جلس على المنبر- وهو يضحك- ثم قال: ليلزم كل إنسان مصلاه.

ثم قال: أتدرون لما جمعتكم...؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة. ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم. وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال..؟

حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً فى البحر، ثم أرفؤوا على جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة من الجزيرة.

ثم دخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب(١)كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا:

«ويلك ما أنت..؟

فقالت: أنا الجساسة.

(١) أهلب: غليظ الشعر، كثيره.

قالوا: وما الجساسة.

قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها(١) أن تكون شيطانة.

قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا: ويلك من أنت..؟

قال قدرتم على خبرى. فأخبرونى من أنتم..؟

قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً أرفانا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا فى أقرابها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر، لا يدرى قبله من دبره من كثرة الشعر.

فقلنا ويلك من أنت..؟

فقالت: أنا الجساسة...

قلنا: وما الجساسة..؟

قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبرونى عن نخل بيان؟

قلنا: عن أى شىء منها تستخبر..؟

قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر..؟

قلنا له نعم.

قال: أخبرونى عن بحيرة الطبرية.

(١) فرقنا منه: أى خفنا.

قلنا: عن أى شأنها تستخبر..؟

قال: هل فيها ماء.

قالوا: كثيرة الماء..

قال: أما ماؤها يوشك أن يذهب.

قال: أخبرونى عن عين زعر[1].

قالوا: عن أى شأنها تستخبر..؟

قال: هل فى العين ماء..؟ وهل يزرع أهلها بماء العين..؟

قلنا: له هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.

قال أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل..؟

قالوا: قدم من مكة ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب..؟

قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهمْ..؟

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.

قال: قد كان ذلك..؟

قلنا: نعم.

قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإنى مخبركم عنى، إنى أنا المسيح وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة[2] فهما محرمتان علىَّ كلتاهما

---

(١) عين زغر: هى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام.

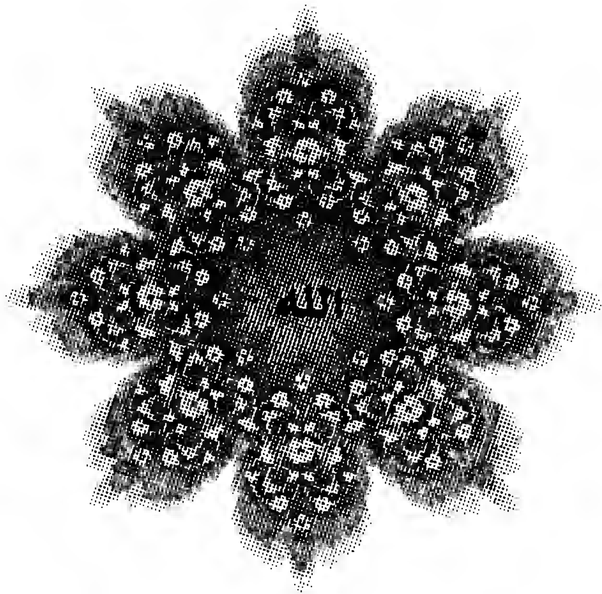
(٢) هى المدينة: ويقال لها أيضاً طابة.

كلمـا أردت أن أدخل واحـدة أو واحـداً منهمـا، استـقـبلنى ملك بيـده السـيف صلتاً[1] يصدنى عنها وإن كان على كل نقب ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسـول الله- ﷺ- وطعن بمخصرته فى المنبر هـذه طيبة، هـذه طيبة- يعنى المدينة. «ألا هل حدثتكم ذلك..؟

فقال الناس: نعم.

قال عليه الصلاة والسلام: فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحـدثكم عن المدينـة ومكة. ألا إنه فى بـحـر الشـام، أو بـحـر اليـمـن لا بل من المشرق مـا هو من قبل المشرق ما هو. من قبل المشرق ما هو. وأومـأ بيده إلى المشرق فحفظت هـذا من رسـول الله- ﷺ[2].



(١) صلتاً: بفتح الصاد وضمها: أى مسلولاً.

(٢) الحديث أخرجه مالك فى الفتن ١١٩ وأبو داود فى الملاحم ١٤- ١٥ والترمذى فى الفتن ٩٦ وابن ماجه فى الفتن ٣٣ وأحمد بن حنبل فى المسند ٦: ٣٧، ٣٧٤، ٤١٣، ٤١٧، (حلبى).

الدجال فى أحاديث الرسول ﷺ

ذكر الإمام مسلم بسنده عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله- ﷺ- الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع(1).

حتى ظنناه فى طائفة النخل.

فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا.

فقال: ما شأنكم...؟

قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه فى طائفة النخل..؟؟

فقال ﷺ غير الدجال أخوفنى عليكم»(2).

إن يخرج الدجال وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم...؟؟

وإن يخرج ولست فيكم فكل أمرئ وحجيج نفسه.؟؟

والله خليفتى على كل مسلم.

إنه شاب قطط(3) عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن.

فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف.

إنه خارج خلة بين الشام والعراق(4).

---

(1) خفض الرسول ﷺ صوته ليستريح، ثم رفع صوته ليبلغ كل أحد بلاغاً كاملاً.

(2) معناه: أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون.

(3) قطط: أى شديد جعودة الشعر، مباعد للجودة المحبوبة.

(4) بين الشام والعراق: يعنى بين البلدين.

فإن عاث يميناً وعاث شمالاً(١) يا عباد الله فاثبتوا.

قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض..؟

قال ﷺ: أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم.

قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم..؟

قال: لا. اقدروا له قدره(٢).

قلنا يا رسول الله: وما إسراعه فى الأرض..؟

قال ﷺ كالغيث استدبرته الريح. فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له.

عندها يأمر السماء فتمطر.

والأرض فتنبت. فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرا»(٣) وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر...

ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم.

فيصبحون ممحلين(٤) ليس بأيديهم شىء من أموالهم.

ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك. فتتبعه كنوزها. كيعاسيب النحل(٥).

ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض(٦).

(١) العيث: الفساد، أو أشد الفساد والإسراع فيه.

(٢) معناه إنه إذ مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر وهكذا فى كل الصلوات.

(٣) تروح: ترجع آخر النهار. والسارحة: الماشية التى تسرح أى تذهب أول النهار إلى المرعى.

(٤) قال القاضى: أى أصابهم المحل، ويبس الأرض من النبات وقيل المحل: الجدب والقحط.

(٥) يعاسيب النحل: ذكور النحل. وهو يريد الجميع ولكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها أو ملكة النحل.

(٦) فيقطعه جزلتين: الجزلة: القطعة أى قطعتين ورميه الغرض يجعل بين كل قطعة وأخرى مقدار الرمية.

ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك.

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ﷺ ابن مريم.

فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين(١).

واضعاً «المسيح ﷺ» كفيه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ(٢).

فلا يحل(٣) لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه.

فيطلبه حتى يدركه بباب لد(٤) فيقتله.

ثم يأتى عيسى ابن مريم ﷺ- قوم قد عصمهم الله منه- فيمسح عن وجوههم(٥) ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة.

فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم(٦).. فحرز عبادى إلى الطور(٧).

ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون(٨)

فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها.

ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء.

(١) هذه المنارة يقال بأنها موجودة شرق دمشق ومهرودتين. ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

(٢) الجمان: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار. والمراد ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ فى صفائه.

(٣) فلا يحل: حق وواجب.

(٤) لد: بلدة قريبة من بيت المقدس.

(٥) يمسح عن وجوههم تبركاً وبراً ويحتمل كشف ما بهم من الشدة والخوف.

(٦) يدان: معناه لا قدرة ولا طاقة يقال ما لى بهذا الأمر- يدان لعجزه عنه.

(٧) فحرز عبادى: أى ضمهم واجعلهم فى أمان وحفظ.

(٨) وهم من كل حدب ينسلون: قال الفراء من كل أكمة من كل موضع مرتفع: يمشون مسرعين.

ويحصر نبى الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم.

فيرغب نبى الله عيسى عليه السلام وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف(١) فى رقابهم فيصبحون فرسى (٢) كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض. فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم(٣) ونتنهن.

فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت(٤) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسل الله مطراً لا يكن(٥) منه بيت مدرٍ(٦) ولا وبرٍ.

فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة(٧).

ثم يقال للأرض أنسبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة(٨) من الرمانة ويستظلون بقحفها(٩) ويبارك فى الرسل(١٠).

حتى أن اللقحة(١١) من الإبل لتكفى الفئام(١٢) من الناس.

---

(١) النغف: هو دود يكون فى أنوف الإبل والغنم والواحدة نغفه.

(٢) فرسى: أى قتلى واحدهم فريس كقتيل وقتلى. (٣) زهمهم: أى دسمهم.

(٤) البخت قال فى اللسان: دخيل فى العربية أعجمى معرب وهى الإبل الخرسانية وهى جمال طوال الأعناق.

(٥) لا يكن، أى لا يمنع من نزول الماء. (٦) مدر: هو الطين الصلب.

(٧) كالزلفة اختلف فى معناها فقال أبو زيد وآخرون قالوا معناه كالمرآة. وحكى صاحب المشارق هنا عن ابن عباس- رضي الله عنه- شبهها بالمرآة فى صفائها ونظافتها وقيل كمصانع الماء.

(٨) العصابة: الجماعة من الناس قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ﴾ سورة النور آية ١١.

(٩) بقحفها شبهها بقحف الرأس وهو الذى فوق الدماغ.

(١٠) الرسل: اللبن سواء من الإبل أو من الشياه.

(١١) اللقحة: هى القريبة العهد بالولادة وجمعها: لقح كبركة وبرك واللقوح: ذات اللبن.

(١٢) الفئام: هى الجماعة الكثيرة. وهذا هو المشهور فى كتب اللغة والمعاجم.

واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس.

واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ [1] من الناس.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم عندها تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة. ومسلم ومسلمة[2].

ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمُر[3]، فعليهم تقوم الساعة.

ويروى أن أبا سعيد الخدرى قال: حدثنا رسول الله- ﷺ- حديثاً طويلاً عن الدجال.

فكان مما حدثنا قال:

«يأتى وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة[4].

فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة. فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس.

فيقول له: أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله- ﷺ- عنه.

فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر..؟

فيقولون: لا.

قال: فيقتله ثم يحييه.

فيقول الرجل حين يحييه: والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى الآن..؟؟

قال: فيريد الدجال أن يقتله ثانياً فلا يسلط عليه.

(١) الفخذ: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة.

(٢) هكذا فى جميع نسخ مسلم.

(٣) يتهارجون: أى يجامع الرجل والنسا علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير.

(٤) نقاب المدنية أى طرفها وفجاجها.

قال أبو إسحاق(١):

يقال هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

وقال أبو سعيد الخدرى- رضي الله عنه- أيضاً قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:

يخرج الدجال فيتوجه قِبَله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد...؟

فيقول: أعمد إلى هذا الذى خرج..؟؟

قال فيقولون له: أوما تؤمن به..؟

فيقولون: ما بربنا خفاء.

فيقولون اقتلوه: اقتلوه.

فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه..؟

قال: فينطلقون به إلى الدجال.

فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

قال فيأمر الدجال فيشبح(٣)- فيقول خذوه وشجوه(٤)، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً.

قال فيقول:

أوما تؤمن بى...؟

قال فيقول «الرجل» أنت المسيح الكذاب

(١) أبو إسحاق هذا هو إبراهيم بن سفيان راوى الكتاب عن مسلم.

(٢) المسالح قوم معهم سلاح يرقبون فى المراكز كالخضراء، سموا بذلك لحملهم السلاح.

(٣) يشبح: أى يمد على بطنه وروى فيشج: أى يقسم قسمين.

(٤) شجوه، من الشج وهو الجرح فى الرأس والوجه ويروى واشجوه.

قال: فيؤمر به فينشر بالمنشار(١) من مفرقه(٢) حتى يفرق بين رجليه؟؟

قال: ثم يمشى الدجال بين القطعتين.

ثم يقول له: قم فيستوى قائماً.

قال: ثم يقول له: أتؤمن بى.

فيقول الرجل: ما ازددت فيك إلا بصيرة.

ثم يقول الرجل: أيها الناس: إن هذا الدجال لا يستطيع أن يفعل بعدى بأحد من الناس.

قال: فيأخذه الدجال ليذبحه.

فيجعل الله ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً(٣). فلا يستطيع الدجال إليه سبيلاً.

قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به.

فيحسب الناس أنما قذفه فى النار. وإنما ألقى فى الجنة.

فقال رسول الله- ﷺ-: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين.

وأخرج نعيم بن حماد فى كتاب الفتن من طريق كعب الأحبار قال:

«يتوجه فينزل عند باب دمشق الغربى ثم يلتمس فلا يقدر عليه، ثم يرى عند المياه التى عند نهر الكسوة.

ثم يطلب فلا يدرى أين توجه.

ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة.

ثم يظهر السحر والشعبذة.

(١) وفى رواية: فيؤشر بالمنشار بالواو بدلاً من النون وهو الأفصح.

(٢) مفرق الرأس وسطه.

(٣) الترقوة: هى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق.

ثم يدعى النبوة.

عندها تتفرق الناس عنه. لأن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبى بعده.

ثم يأتى النهر فيامره أن يسيل فيسيل.

ثم يأمره أن يرجع فيرجع.

ثم يأمره أن ييبس فييبس.

ثم يأمر جبل طور وجبل زيتا أن ينتطحا فينتطحها.

ويأمر الريح أن تثير سحاباً من البحر فتمطر الأرض ويخوض البحر فى يوم ثلاث خوضات فلا يبلغ حقويه..؟؟

وتظهر أن إحدى يديه أطول من الأخرى. فيمد الطويلة فى البحر فتبلغ قعره فيخرج الحيتان ما يريد (١).

هل يزيد هذا عن ما فعله سحرة فرعون وقوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (٢).

إن ما فعله أو أما يفعله المسيح الدجال لا يزيد عما فعله سحرة فرعون وعندما ظهرت الحقيقة وغلبت معجزة النبوة سحر الشيطان رجع سحرة فرعون إلى صوابهم وآمنوا بالواحد الأحد الفرد الصمد وقالوا لفرعون الذى هددهم: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (٣).

إن المسيح الدجال سيكون له الخزى والعار وللمؤمنين الصابرين الجنة والفردوس الأعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

(١) راجع فتح البارى- شرح صحيح البخارى: للعسقلانى- كتاب الفتن ج١٣ ص٩٢ الحديث ٧١٣١.

(٢) سورة الأعراف آية رقم: ١١٦. (٣) سورة الأعراف آية رقم: ١٢٦.



تـــذيـــــل

ضوابط تلقى الأنباء
فى المجتمع الإسلامى

ضوابط تلقى الأنباء في المجتمع الإسلامى

المجتمع الإسلامى نظيف اليد والقلب، طاهر الظاهر والباطن أبعد ما يكون عن أمراض القلب من الحقد والغل والحسد والتجسس والغيبة والنميمة لأنه أنس بحب الله تعالى يقول الله سبحانه فى محكم كتابه عن أفراد هذا المجتمع:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾(١).

وطاهر الظاهر: لأنهم يتطهرون خمس مرات فى اليوم، عن عقبة بن عامر الجهنى- رضي الله عنه- قال: «كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتى أرعاها فروحتها بالعشى، فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس وأدركت من قوله:

«ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلى ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة».

فقلت له ما أجود هذا...؟

فإذا قائل بين يدى يقول: التى قبلها أجود.

فنظرت فإذا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فقال: إنى قد رأيتك قد جئت آنفاً.

قال: قال رسول الله- ﷺ-: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء أو يسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

(١) سورة الحجر آية ٤٧.

محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» (١).

فالمسلمون فى المجتمع الإسلامى يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض ويطهرون أرواحهم بالصلاة فلا تتحرف(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (٣).

ويطهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (٤).

وفى المجتمع الإسلامى الرفيع يعيش الناس آمنين على أنفسهم وعلى بيوتهم آمنين على أسرارهم وعوراتهم، فالناس على ظواهرهم وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يظن أو يتوقع أو حتى يعرف أنهم يزاولون فى الخفاء مخالفة ما فيتجسس عليهم ليضبطهم، وكل ما له أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانكشافها مع الضمانات الأخرى.

قال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة عن الأعمش عن زيد بن وهب قال:

أُتى ابن مسعود فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً...؟؟

فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شىء تأخذ به (٥)

---

(١) رواه مسلم ٣٤، فى الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء، وأبو داود ١٦٩، ١٧٠ فى الطهارة ما يقول الرجل إذا توضأ والترمذى رقم ٥٥ فى الطهارة باب ما يقال بعد الوضوء، والنسائى ١/ ٩٢، ٩٣ فى الطهارة، باب القول بعد الفراغ من الوضوء.

(٢) منهج القرآن فى تربية الرجال لعبد الرحمن عميرة ص ١١٥.

(٣) سورة العنكبوت آية: ٤٥.

(٤) سورة التوبة آية: ١٠٣.

(٥) رواه أبو داود بسنده عن زيد بن وهب.

وعن مجاهد: لا تجسسوا وخذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله. وروى الإمام أحمد بإسناده- عن دجين كاتب عقبة قال:

قلت لعقبة: إن لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم.

قال: لا تفعل ولكن عظهم. ففعل فلم ينتهوا.

قال: فجاءه دجين فقال: إنى قد نهيتهم فلم ينتهوا وإنى داع لهم الشرط فيأخذونهم.

فقال له عقبة: ويحك لا تفعل فإنى سمعت رسول الله- ﷺ - يقول: من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها[1].

وإذا كان هذا فى التجسس، فإن المجتمع الإسلامى يأخذ نفسه بالبعد عن الغيبة وتوابعها التزاماً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[2].

ويسرى هذا النص فى المجتمع الإسلامى فيتحول إلى سياج حول كرامة الناس وأعراضهم أن تُمس أو أن ينال منها.

وفى الحديث الذى رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة قال: قيل يا رسول الله ما الغيبة..؟

قال ﷺ: ذكرك أخاك بما يكره.

قال: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول..؟

قال ﷺ: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[3].

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فى المسند ٤- ١٤٧، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩، (حلبى).

(٢) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٣) الحديث أخرجه ابو داود فى كتاب الأدب ٤٠ باب الغيبة ٤٨٧٤ بسنده عن أبى هريرة أنه =

وروى أبو داود بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم. قلت من هؤلاء يا جبريل..؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم[1].

ولما اعترف ماعز بالزنا هو والغامدية ورجمهما رسول الله ﷺ بعد إقرارهما متطوعين وإلحاحهما عليه فى تطهيرهما سمع النبى ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب- ثم سار النبى- ﷺ- حتى مرَّ بجيفة حمار فقال: أين فلان وفلان انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار. فقالا غفر الله لك يا رسول الله. وهل يؤكل هذا قال ﷺ فلما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلا منه والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها».

وإذا كانت هذه صفات مجتمع المسلمين مجتمع الترابط والتعاطف مجتمع الإيمان والتقوى فما موقف هذا المجتمع من تلقى الأنباء..؟

نرى أن القرآن الكريم قد حسم هذه القضية بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2].

ومعنى الآية: «إن جاءكم فاسق» الذى يخرج عن طاعة الله إلى معصيته، والفسق أعم من الكفر، ويقع على كثير الذنب وقليله. ومن هنا كان الكافر

= قال: يا رسول الله ما الغيبة..؟ وذكره. وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب البر حديث ٢٥٨٩ فى تحريم الغيبة والترمذى فى البر حديث ١٩٣٥ باب فى الغيبة وقال: هذا حديث حسن صحيح، ونسبه المنذرى للنسائى.

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب برقم ٤٨٧٨ بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

(٢) سورة الحجرات آية: ٦.

فاسقاً لإخلاله بما ألزمه العقل واقتضته الفطرة السلمية قال تعالى:

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

وقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾(٣).

فإذا جاء لجماعة المسلمين من خرج عن طاعة الله إلى معصيته بنبأ عظيم. يترتب عليه إرهاق الجماعة أن تتبين حقيقة النبأ وأن تتثبت من صدقه. وأن تتريث عند الأخذ به، حتى لا تندم على ما فعلت أو أن تأخذ الناس بغير ما فعلوا، أو أن تعاقب من لا يستحق العقاب.

عندها سيكونون كأصحاب الحديقة الذين أعماهم الطمع والجشع عن التثبت:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾(٤).

ولقد صدق الرسول ﷺ في قوله:

«التثبت من الله والعجلة من الشيطان»(٥).

التثبت يكون القاعدة الصلبة للمجتمع الإسلامى إذا لجأ إلى الله تعالى ، وعكف على مائدة القرآن الكريم يستلهمه الخير والسداد، إذا فر المجتمع إلى الله تعالى استجابة لقوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾(٦)

ولجأ إلى كتابه يستفتيه فى كل ما يعن له فى رحلة الحياة القصيرة. قال

(١) سورة النور آية: ٥٥. (٢) سورة المائدة آية: ٤٧.

(٣) سورة السجدة آية: ١٨. (٤) سورة القلم الآيتان ٣١- ٣٢.

(٥) رواه ابن أبى شيبة وأبو يعلى وابن منيع والحارث عن أنس رفعه وأخرجه البيهقى عنه أيضاً وله شواهد عند الترمذى، وقال حسن غريب الأناة من الله والعجلة من الشيطان، والعسكرى عن سهل ابن سعد رفعه بلفظ: الأناة من الله والعجلة من الشيطان. راجع كشف الخفاء ١- ٣٥٠.

(٦) سورة الذاريات آية: ٥٠.

تعالى عن هذا الكتاب: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾(١).

وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢).

يثبت بالتريث والصبر، حتى لا يستعملهم الشيطان جنوداً له، يثبتهم بالربط على قلوبهم فلا يتبعوا أهواءهم، يثبتهم عندما ينزل بهم العظيم من الأمور، ويثبتهم عندما يريدون تنظيم حياتهم أو يعدون العدة لحماية ثغورهم، قال الله تعالى:

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾(٣).

يربط على القلوب المؤمنة فلا تطير شعاعاً من هول المعركة، ويثبت أقدام المجاهدين وقلوبهم فلا تلوى عنانها عن الميدان هاربة.

ولن يتم هذا التثبت إلا إذا كان المجتمع الإسلامى يحتكم إلى كتاب الله تعالى فى العظيم والجليل من أموره والصغير والقليل من شئون حياته.

أما إذا ابتعد المسلمون عن هذا الكتاب وجعلوه وراءهم ظهرياً فلا شك أن الشيطان يوسوس لهم يستعجلهم فى إشعال الحرب فيشعلونها. وهم ليسوا لها بأهل- فتكون الهزيمة الماحقة، والخسارة الفادحة، ثم يكتوون فى النهاية بنارها.

ويطالبهم الشيطان باستعجال أمور دنياهم فيتبعونه فيما دعاهم إليه، عندما تتبهم أمامهم السبل، وتغلق فى وجوههم المسالك ويلفهم ليل داج ليس له آخر.

يحدث هذا لاتباعهم طريق الشيطان، وانصرافهم عن الصراط المستقيم.

---

(١) سورة الفرقان آية: ٣٢. (٢) سورة النحل آية: ١٠٢.

(٣) سورة الأنفال آية: ١١.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

من هنا قال رسول الله ﷺ: «التأنى من الله والعجلة من الشيطان».

وللمزى فى تهذيبه فى ترجمة محمد بن موسى عن مشيخة من فوقه مرسلاً أن النبى ﷺ قال: الأناة فى كل شىء إلا ثلاث:

إذا صيح يا خيل الله اركبى.

وإذا نودى بالصلاة.

وإذا كانت الجنازة[2].

وسبب نزول الآية كما يرويها الحاكم بن عبد الله بسنده عن الحارث بن ضرار يقول: قدمت على رسول الله ﷺ فدعانى إلى الإسلام فدخلت وأقررت ودعانى إلى الزكاة فأقررت بها.

فقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومى فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته فترسل لإبان[3] كذا وكذا لآتيك بما جمعت من زكاة.

فلما جمع الحارث بن ضرار ممن استجاب له وبلغ الإبان الذى أراد أن يبعث إليه رسول الله ﷺ احتبس عليه الرسول فلم يأته. فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله. فدعا سروات[4] قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد وقت لى وقتاً ليرسل إلىَّ لقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا فنأتى رسول الله.

---

(١) سورة محمد آية: ٧.

(٢) راجع كشف الخفاء ١- ٣٥٠.

(٣) الإبان: الوقت المحدد أو الوعد.

(٤) سروات القوم: عظماؤهم وأهل الرأى فيهم.

وبعث رسول الله ﷺ- الوليد بن عقبة- إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فما أن سار الوليد حتى بلغ إلى بعض الطريق فرق فرجع..[1]؟

فقال يا رسول الله: إن الحارث منعنى الزكاة وأراد قتلى.

فضرب رسول الله البعث إلى الحارث.

وأقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة فلقِهم الحارث فقالوا: هذا الحارث.

فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم...؟

قالوا: إليك.

قال: ولم..؟

قالوا: إن رسول الله ﷺ كان قد بعث إليك الوليد بن عقبة[2]، فرجع إليه. وأخبره أنكم تريدون قتله.

فاتجهوا إلى الرسول ﷺ وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة فاستمر راجعاً وبلغنا أنه يزعم لرسول الله أنا خرجنا لنقاتله والله ما خرجنا لذلك فأنزل الله تعالى قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

---

(١) أسباب نزول القرآن ص ٤١٣ للواحدى وسيرة ابن هشام ٣- ٣٤٠.

(٢) والده عقبة بن أبى معيط، احد الذين كان لهم دور كبير فى الصد عن دين الله وتعذيب المستضعفين، وإيذاء الرسول ﷺ بالقول والفعل، وقع أسيراً فى غزوة بدر فأمر الرسول ﷺ بقتله، فقال عقبة: اتقتلنى يا محمد من بين قريش...؟ قال: لأنك يهودى من أصل صفورية.

أسلم الوليد عند فتح مكة. عين والياً على الكوفة، فعاش كما يعيش الملوك حتى كان يوم وهو يصلى بالمسلمين صلاة الصبح وكأنه كان قد شرب خمراً فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أأزيدكم. فأمر عثمان- رضي الله عنه- بجلده وعزله عن الولاية- ثم مات فى خلافة معاوية بن أبى سفيان- راجع: الإصابة ٦/ ٦١٤.

﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1].

وخص الله سبحانه وتعالى الفاسق لأنه مظنة الكذب.

وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة فى كل ما ينقله أفرادها من أنباء.

والأصل فى الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقة.

وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذاً بها.

فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره.

وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطاً بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء.

ولا تعجل الجماعة فى تصرف بناء على خبر فاسق.

عندها تصيب قوماً بظلم عن جهالة وتسرع.

فتندم على ارتكابها ما يغضب الله.

وتجانب الحق والعدل فى اندفاع أو تهور.

ومن الضوابط عدم الغيبة والتجسس.

عن أبى برزة الأسلمى قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته»[2].

وقال عبد الرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بالمدينة- إذ تبين لنا سراج فى بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط.

---

(١) سورة الحجرات آية: ٦.

(٢) راجع القرطبى عند تفسيره لهذه الآيات ١٦- ٣٣٢، ٣٣٣.

فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شُرَّب فما ترى..؟

قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم.

وقال زيد بن أسلم: خرج عمر وعبد الرحمن يعسان، إذ تبينت لهم نار فاستأذنا ففتح الباب فإذا رجل وامرأة تغنى وعلى يد الرجل قدح.

فقال عمر: وأنت بهذا يا فلان..؟

فقال: وأنت بهذا يا أمير المؤمنين..؟

قال عمر: فمن هذه منك؟

قال: زوجتى.

قال: فما فى هذا القدح؟

قالك ماء زلال.

ثم قال الرجل: ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين، قال تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾.

قال عمر: «صدقت».

وقال عمرو بن دينار: كان رجل من أهل المدينة له أخت فاشتكت فكان يعودها فماتت فدفنها فكان هو الذى نزل فى قبرها فسقط من كمه كيس فيه دنانير فاستعان ببعض أهله فأحضروا له الكيس.

ثم عنَّ له أن ينزل فى قبرها ليرى ما آل إليه حال أخته، فكشف عنها فإذا القبر مشتعل ناراً.

فجاء إلى أمه فقال: «أخبرينى ما كان عمل أختى»...؟

فقالت له أمه: قد ماتت أختك فما سؤالك عن عملها..؟ فلم يزل بها حتى قالت له: كان من عملها أنها تؤخر الصلاة عن مواقيتها، وكانت إذا نام

الجيران قامت إلى بيوتهم فألقمت أذنها أبوابهم فتتجسس عليهم ثم تفشى أسرارهم.

فقال: بهذا هلكت[1].

ثالثاً: البعد عن الغيبة ونهش الأعراض.

قال الحسن- رحمه الله:- الغيبة ثلاثة أوجه. كلها فى كتاب الله تعالى: الغيبة، والإفك، والبهتان.

فأما الغيبة: فهو أن تقول فى أخيك ما هو فيه.

وأما الإفك: فأن تقول فيه ما بلغك عنه.

وأما البهتان: فأن تقول فيه ما ليس فيه.

وعن شعبة قال لى معاوية بن قرة: لو مر بك رجل أقطع: فقلت: هذا أقطع كان ذلك غيبة.

قال شعبة فذكرته لأبى إسحاق. فقال صدق معاوية.

الأدب الثالث:

أمر من الله سبحانه وتعالى لجماعة المسلمين إذا خرجوا فى سبيل الله داعين إليه عاملين لإعلاء كلمة التوحيد. أن يكونوا هداة ودعاة إلى الله الواحد الأحد. فإذا سمعوا كلمة لا إله إلا الله قبلوها ممن نطق بها وحكموا عليه بظاهر حاله. وتركوا سريرته إلى علام الغيوب.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2].

---

(١) راجع تفسير القرطبى جـ ١٦: ص ٣٣٤. (٢) سورة النساء آية: ٩٤.

روى الإمام مسلم بسنده عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فصبَّحنا الحرقات[1] من جهينة فأدركت رجلاً فقال لا إله إلا الله. فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك.

فذكرته للنبى ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟

قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح.

قال: ألا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟

قال: فما زال يكررها علىَّ حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ.

قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلماً.

ونقول: بهذه المبادئ وهذه المثل وجد العالم النظيف المشاعر

العالم: الذى كفلت له الحريات.

العالم المصون الغيبة والحضرة.

العالم: الذى لا يؤخذ فيه أحد بظنة، ولا تتبع فيه العورات.

هذا المجتمع لا يتعرض فيه أمن الناس وكرامتهم وحريتهم لأدنى مساس.

مجتمع كله وحدة واحدة لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى فهم جميعاً إخوة فى العقيدة. وإخوة فى النسب الكل من آدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله وعند رسوله أتقاهم.

الذى يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه العبد فالله سبحانه وتعالى مطلع عليه وعلى كل ذرة من ذراته لا تغيب عنه شاردة ولا واردة وهو معكم أينما كنتم.

---

(١) أى اتيناهم صباحاً والحرقات موضع ببلاد جهينة.

فهل نستطيع عن طريق هذه المبادئ أن نوجد جيلاً يحمل هذه المبادئ إلى البشرية كلها..؟

حتى نستطيع أن نقضى على الفساد والفوضى والرذيلة والفحش الذى سرى فى العالم كله..؟

كتب «أندريا موروا» فى كتابه انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية يقول: من أهم الأسباب لانهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسى نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده.

وأحست اليابان الحديثة بعد ما قطعت شوطاً فى الحضارة والتقدم أن شبابها بدأ يميل للهو والعبث ويتجه إلى الرذيلة والكسل.

فكيف عالجت المشكلة..؟

لم تتجه إلى الشرق والغرب لتستورد منهما الحلول.

ولم تلجأ إلى علم النفس لأن نظرياته متقلبة متباينة.

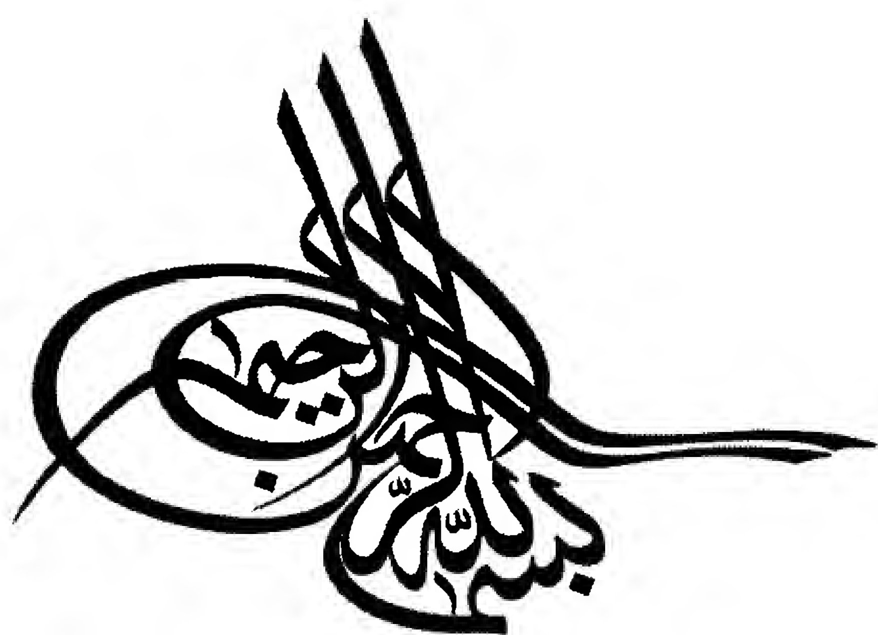
ولم تلجأ إلى حلول المخمورين والمتهوسين والعلمانيين. بل لجأت إلى الدين مباشرة فأصدرت القوانين بألا يوظف شاب فى وظيفة إلا بعد أن يدخل المعبد ويمارس فيه رياضة روحية عنيفة ويستوعب من الكهنة تعاليم بوذا العظيم.

فهل نحن فاعلون وذلك بالعودة إلى دين خالق الأرض والسماوات وموجد الحياة والموت؟

نرجو من الله تعالى حتى نعود إلى سابق عزنا ومجدنا. وتكون لنا السيادة فى الأرض.

عياش بن أبى ربيعة

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا
وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ
وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن
كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ
وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾.

(النساء: ٩٢)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

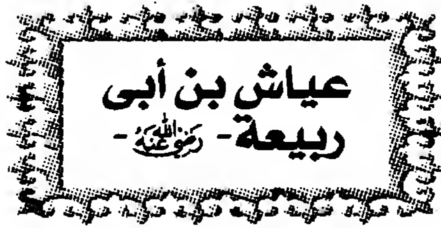
قال صاحب كتاب أساب نزول القرآن

نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ص١٧٣

وذكره صاحب الدر المنثور ٢ :١٩٣

وذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة ١ : ٢٩٥ فى ترجمة الحارث بن زيد.

فمن هو عياش بن أبى ربيعة؟



حياته ونشأته

هو عياش المؤمن الصابر.

صاحب رسول الله- ﷺ.

والمقاتل فى سبيل الله والمهاجر إلى أرض الله الواسعة. بدينه وقرآناه تنفيذاً لقول الله تعالى:

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيراً وَسَعَةً﴾(١).

كان إسلامه قديماً فى أوائل الدعوة الإسلامية.

عندما وقف الرسول- ﷺ

وقال كلمته المشهورة أيها الناس: لو قلت لكم أن خيلاً وراء هذا الوادى تريد أن تغير عليكم:

اكنتم مصدقى...؟

قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً قط.

قال: فإنى رسول الله إليكم خاصة. وإلى الناس كافة.

ويحدد البعض إسلام عياش قبل دخول الرسول- ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم.

(١) سورة النساء آية: ١٠٠.

نشأ عياش على بطحاء مكة، بجوار البيت الحرام- وكان يكثر الدخول إلى بيت الله الحرام ويطوف حول الكعبة ويعبُّ من ماء زمزم حتى يرتوى وكان بارعاً فى الصيد والقنص.

له قدرة فائقة فى إصابة الهدف.

وخبرة طويلة فى صيد الغزلان والطيور.

وفارس لا يشق له غبار.

عرفته البادية بصاحب السهم الصائب والرامى الذى لا يخطأ مرماه.

وأخوه من أمه الحكم بن هشام والذى سماه الرسول ﷺ- أبا جهل.

نعم أبو جهل قاهر المستضعفين وعدو المؤمنين.

وفرعون هذه الأمة.

وراضخ جسد بلال- مؤذن الرسول- ﷺ- بالحجارة والسياط.

وأحد المستهزئين بالدعوة وصاحبها. والمتآمرين على قتله فى دار الندوة.

وأخوه أيضاً. الحارث بن هشام.

شهد بدراً كافراً مع أخيه أبى جهل بن هشام

ولما قتل أبو جهل فر الحارث هارباً من حومة القتال.

وروى أن أم هانئ بنت أبى طالب استأمنت له النبى- ﷺ - فأمنه يوم فتح مكة.

وكانت إذ أمنته- وعلم الإمام على بن أبى طالب ذلك فأراد قتله..؟؟

وحاول أن يغلبها عليه.

فدخل النبى- ﷺ- منزلها فى ذلك الوقت. فقالت:

«يا رسول الله ألا ترى إلى ابن أمى يريد قتل رجل قد أجرته..؟

فقال رسول الله- ﷺ:

«قد أجرنا من أجرت وأمنَّا من أمنت فأمنه».

وأسلم الحارث بعدها فلم ير منه فى إسلامه شىء يكره.

وشهد مع الرسول- ﷺ- غزوة حنين.

لقد أمنته المرأة المسلمة.

فأمنه رسول الله- ﷺ-.

وأحس الحارث أن هذه ليست بأخلاق البشر. وإنما هو وحى من الله تعالى ينفذه رسوله- ﷺ -.

عندها امتلأ قلبه بالنور وشاهد الحق ماثلا بين يديه.

فدخل فى دين الله ونطق بشهادة التوحيد- وأصبح من هؤلاء العملاقة الذين تربوا فى مدرسة القرآن.

حيث الوحى المتتابع على رسول الله- ﷺ -.

وصدق ربى فى وصفه لرسوله بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١).

وخرج الحارث إلى الشام- فى زمن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- راغباً فى الرباط والجهاد.

متشوقاً إلى نشر دين الله.

ومجندلاً هؤلاء إخوة الشياطين الذين يصدون ويرهبون الراغبين فى اعتناق هذا الدين.

خرج إلى الشام تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾(٢).

(١) سورة آل عمران آية رقم: ١٥٩. (٢) الذاريات آية رقم: ٥٠.

فروا من معاصى الله إلى طاعته.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فروا منه إليه واعملوا بطاعته.

وقال أبو بكر الوراق: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن.

وقال الجنيد: الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم من وسوسة الشيطان.

وقال ذو النون المصرى:

فروا من الجهل إلى العلم.

فروا من الكفر إلى الإيمان.

فروا من معصية الله إلى طاعته.

وقال عمرو بن عثمان: فروا من أنفسكم إلى ربكم.

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾(١).

وقال تعالى أيضاً:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾(٢).

وقال سهيل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله.

والفرار إلى الله: هو التوجه لله بكل خاطرة فى الضمير، وبكل حركة فى الجوارح.

فكل حركة وكل خاطرة مقصود بها التوجه لله.

ثم التحرر من كل شعور آخر.

ومن كل معنى غير معنى التعبد لله

(١) سورة يوسف آية رقم: ٥٣.

(٢) سورة النازعات آية رقم: ٤٠.

ويصبح العمل كالشعائر

والشعائر كعمارة الأرض

وعمارة الأرض جهاد فى سبيل الله

ولهذا يقول الرسول- ﷺ-:

«إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم «فسيلة» نبتة صغيرة فلا يتركها حتى يغرسها».

والجهاد نوعان جهاد أصغر وجهاد أكبر.

فالأصغر: محاربة أعداء الله. الجاحدين بنعمه وتفضله على عباده

والجهاد الأكبر: مجاهدة النفس فى طاعة الله والبعد عما يغضبه

ولهذا قال الرسول- ﷺ-:

«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

والجهاد فى سبيل الله عبادة.

وجهاد النفس وصبرها على الشدائد عبادة.

والرضا بقضاء الله وقدره وتحمل أذى الآخرين عبادة.

وكل هذه الأشياء مندرجة تحت قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.

(١) سورة الذاريات آية رقم: ٥٦.

هجرة عياش الأولى إلى المدينة بصحبة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-

رأى عياش بعينه صنوف العذاب التى تصب على الذين أسلموا وتابعوا الرسول- ﷺ- فيما جاء به من ربه.

شاهد عياش الجبارين فى مكة يصبون العذاب صبّاً

على المستضعفين من أتباع الدين الجديد

فبلال- رضي الله عنه- يدفن فى الرمال المتقدة وتسلط أشعة الشمس على جسده العارى.

أملاً على أن يعود لعبادة الأصنام.

ولكن الرجل الذى استقر التوحيد فى قلبه يهتف من أعماقه أَحد أحد.

وعمار بن ياسر وأمه وإخوته يقيدون بالسلاسل وتكوى أجسادهم بالنار المشتعلة.

ويمر الرسول- ﷺ - على هؤلاء الذين يعذبون من آل عمار فيقول:

صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة.

وأم عمار الصابرة المؤمنة.

يضربها أبو جهل بحربته فى قبلها فأرداها قتيلة.

وغير ذلك من التنكيل والتعذيب وانتهاك حرمات الإنسان.

عندها ركب عياش دابته فى رفقة عمر بن الخطاب.

وأخذت الدواب تغذ السير بهم حتى لاحت لهم قباب المدينة.

ثم توجها إلى مسجد الرسول- ﷺ- فرحب بهما وهنأهما بالسلامة.

أما عمر فاستقر بجوار الرسول ﷺ.

وأما عياش فاتجه إلى أطم من آطام المدينة فتحصن به.

وعندما استيقظت أمه فى الصباح لم تجد ابنها عياشا فى فراشه كعادتها لتعد له طعامه وشرابه.

عندها أيقظت ابنيها أبى جهل والحارث.

ثم قالت لهما: والله لا يظلنى سقف بيت

ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتونى به

عندها خرجا فى طلبه. وخرج معهم الحارث بن زيد بن أبى أنيسة وأيقنوا أنه ذهب إلى يثرب. فساروا إليه. وأخذوا فى التفتيش عنه.

وأخيراً اهتدوا إلى موقعه فوق إحدى الأطم فى يثرب.

فقالوا له:

انزل إلينا فإن أمك حلفت الا يأويها سقف بيت بعدك

وأقسمت أن الطعام والشراب حرام عليها حتى تعود إليها.

فإن عدت لك علينا- والشاهد الله- أن لا نكرهك على شىء ولا نحول بينك وبين التمسك بما تعتقده وتميل إليه.

فلما ذكروا له جزع أمه وأعطوه العهد والميثاق نزل إليهم .

عندها ساروا به خارج المدينة.

حتى إن استغاث لا يغيثه أحد

وإن طلب النجدة لا يجد من ينجده

فأوثقوه بالحبال: أوثقوا يديه ورجليه حتى لا يفر

ثم وضعوه على دابة وسارت بحملها أمامهم- وهم يسيرون خلفها حتى

دخلوا رحاب مكة.

وأخذوا فى اتهامه بالفسق والخروج عن عبادة الأصنام- الأصنام التى لا تنفع ولا تضر- الأصنام التى لا تحيى ولا تميت.

ثم قدموا به على أمه فقالت الأم:

«والله لا أحل وثاقك حتى تكفر بالذى آمنت به.

ثم تركوه فى الشمس فترة وفى الظل أخرى

وهو صابر صامد. أيعود إلى عبادة الشجر والحجر ويكفر بالخالق المبدع..؟

هذا لن يكون أبداً.

ولما طال وثاقه وتعذيبه. اقترب منه الحارث بن يزيد وقال:

«يا عياش: والله لئن كان الذى كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وإن كان ضلالة لقد كنت عليها.

فغضب عياش من مقالته وقال: والله لا ألقاك خالياً إلا قتلتك...؟

عندها نادى أبو جهل فى مكة قائلاً: هكذا إفعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا.

عجباً لهذا الرجل الذى يعبد الواحد الأحد ويتبع ملة إبراهيم حنيفاً.

ويرفض السجود لصنم أو حجر.

ويحلى نفسه بمكارم الأخلاق ويترك سفاسفها

يكون سفيهاً فى نظر كفار قريش...؟

والذى يأكل الميتة ويتمسح بالأصنام

ويغير على الضعفاء

ولا يحل ولا يحرم يكون عاقلاً رزيناً...؟؟

إن ما قاله أبو جهل سبقه إلى قوله فرعون الطاغية. فرعون مصر عندما حكى القرآن مقولته لقومه عن موسى عليه السلام.

﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾(١).

أليس ما قاله فرعون هو بعينه كل ما يقوله كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح.

أليست بعينها كلمة الباطل الكالح فى وجه الحق المزدهر..؟

أليس هى بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الزوابع فى وجه الإيمان الهادئ...؟؟

إنه منطق واحد يتكرر فى كل زمان ومكان كلما تقابل الحق والباطل والإيمان والكفر، والصلاح والإفساد.

ودائماً يكون الانتصار للحق والخذلان للباطل

وقصص الطغاة وحوادث التاريخ خير شاهد على ذلك ومن الأمثلة على ذلك:

لقاء إبراهيم عليه السلام مع ملك زمانه «النمروذ».

نعم النمروذ الذى قال لإبراهيم عليه السلام: من ربك..؟

قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

قال النمروذ: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾

قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

وفرعون الذى طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا

(١) سورة غافر آية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ٢٥٩.

قال لقومه: ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾(١).

عندها قال موسى:

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(٢).

واستجاب له ربه بقوله: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾(٣).

ثم ماذا..؟

يقول الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٤).

لقد قدم الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: أن النصر فى النهاية يكون للمؤمنين الموحدين الذين ينصرون الله بتنفيذ شرعه والاستجابة لأمره والابتعاد عما نهى عنه. قال تعالى:

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٥).

فمتى يعودوا هؤلاء الرجال لدينا الناس..؟

متى يارب: إنا لمنتظرون.

ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

---

(١) سورة غافر آية: ٢٦.

(٢) سورة يونس آية: ٨٨.

(٣) سورة يونس آية: ٨٩.

(٤) سورة يونس آية: ٩٠.

(٥) سورة محمد آية: ٧.

عيــاش تفــك قيــوده
ويعود مرة أخرى إلى المدينـة

كيف عاد عياش إلى مدينة الرسول- ﷺ..؟

ومن فك قيوده وحمله إلى الرسول- ﷺ-..؟

حيث الأمن والأمان. والهدى والقرآن، وعبادة الواحد الأحد الفرد الصمد.

لقد تخرج فى مدرسة الإسلام مجموعة من الرجال الأبطال المغاوير والذين قاموا بدور كبير فى فك قيود المستضعفين منهم

الصحابى الجليل مرثد بن أبى مرثد- رضي الله عنه-

والوليد بن الوليد بن المغيرة. وعتبة بن أبى بصير وغيرهم

ولقد كلف الرسول- ﷺ- الوليد- بالعودة إلى مكة ويرصد حركات قريش. ثم يقتحم المكان الذى قيد فيه عياش بن ربيعة- ويكسر قيوده ويحمله إلى المدينة.

ولقد استجاب الوليد لأمر الرسول- ﷺ- وطوى الأرض طياً بمهرته التى تسابق الريح جرياً حتى وصل إلى عياش فى سجنه وحمله وعاد به مرة أخرى إلى رحاب سيد الخلق محمد- ﷺ.

ليعيش مع الأخوة المتحابين المؤمنين من المهاجرين والأنصار.

الذين ارتضاهم الله لحمل دينه.

وإدخال الناس كل الناس فى رحاب هذا الدين الذى جعله مُنَزِّلُه خاتم الكتب المنزلة على الرسل جميعاً ليكون للبشرية كلها هادياً ودليلاً.

ووصفهم خالقهم والعليم بخباياهم وبكل ذرة من ذراتهم بقوله:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١).

وأصبح عياش جنديّاً من جنود الفتح.

وبطلاً من أبطال المعارك.

وفارساً لا يق له غبار.

وعابداً فى محرابه يدعو ربه ويؤوب إليه.

فإذا جن الليل وسكن الكون هجر مضجعه واقفاً بين يدى خالقه ورازقه النعمة والعافية وأصبح من هؤلاء الذين قال الله عنهم:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٢).

لقد شارك عياش فى غزوة الخندق.

الخندق التى قال الله تعالى عنها:

﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾(٣).

ثم جاء نصر الله- وفرت الفئة الباغية كالجرذان تفر من صائدها.

وكفى الله المؤمنين القتال

وشارك فى فتح خيبر والانتصار على هؤلاء الذين قتلوا الأنبياء ولعنهم الله شر لعنة وأنزل الله تعالى مصوراً حالهم وذعرهم بقوله:

(١) سورة الحشر آية: ٩.

(٢) سورة السجدة آية: ١٦.

(٣) سورة الأحزاب آية: ١٠.

﴿هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ﴾(١).

عياش بن أبى ربيعة فى غزوة تبوك

يقول عياش بن أبى ربيعة: توجهت جيوش المسلمين إلى الشام عندها فزعت الروم فزعاً شديداً وخافوا خوفاً أليماً.

فكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر

فلما انتهى إليه الخبر قال هرقل:

«ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد.

وأنه لا قبل لأحد بهم.

فأطيعونى وصالحوهم. بما تصالحونهم على نصف خراج الشام ويبقى لكم جبال الروم وفيها الخير والبركة..

وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم وضيقوا عليكم جبال الروم.

يقال: فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش

عند ذلك خرج هرقل إلى حمص وأمر بخروج الجيوش بصحبة الأمراء

يقول عياش ولما سمع المسلمون ذلك

وقف خالد بن الوليد- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وقال:

(١) سورة الحشر آية: ٢.

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه:

إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى

أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم.

وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم.

وإن هزمنا لا نفلح بعدها أبداً.

فتعالوا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم

ودعونى اليوم أليكم.

فأمروه عليهم وهم يظنون أن الأمر يطول جدّاً.

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال:

«عباد الله انصرو الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار.

لا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال واشرعوا الرماح واستتروا بالدرق.

والزموا الصمت إلا من ذكر الله فى أنفسكم.

ثم كانت معركة ضارية وابلى فيها المسلمون بلاءً حسناً ففر الروم هاربين لا يلوون على شىء وتبعهم جنود الله يقتلون ويأسرون.

ودوى فى الكون كله قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ﴾(١).

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم: ١٠٥.

وشاهد هرقل جنوده وهم يفرون هاربين لا يلوون على شيء.

يقول عياش بن ربيعة. عن أبى إسحاق قال لهم:

ويحكم أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم..؟

قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم..؟

قالوا: نحن أكثر منهم أضعافاً فى كل موطن.

قال: فما بالكم تنهزمون..؟

فقال شيخ من عظمائهم.

من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار.

ثم يوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ودائماً يتناصفون بينهم.

أما نحن فنختلف عنهم اختلافاً كبيراً.

إننا نشر الخمر ونرتكب الفاحشة.

ونرتكب الحرام وننقض العهد.

ونغضب الرب ونظلم ونأمر بالسخط.

وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض

عندها قال هرقل: أنت صدقتنى

ثم ماذا ..؟ كان النصر وكان الفوز وعاش المسلمون جميعاً جنداً لله تعالى. يأتمرون بأمره. وينتهون عند نهيه.

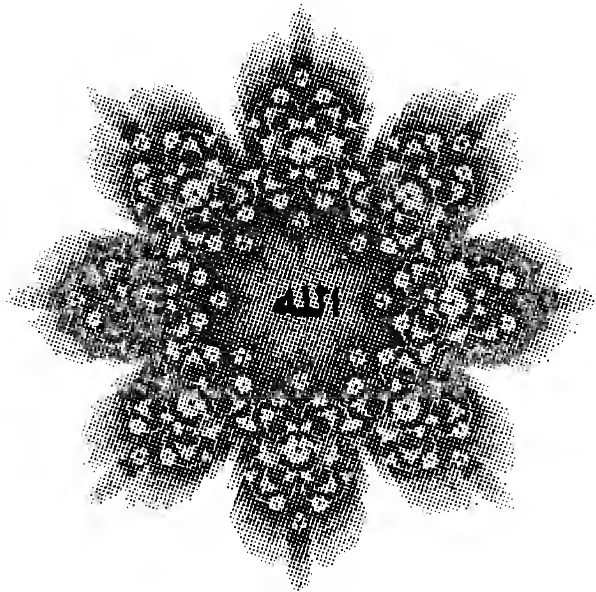
ففتحت الدنيا لهم أبوابها. فملأوها بالعدل والوفاء. والحب والرجاء وكان كل منهم يحاسب نفسه ويقول:

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١).

فمتى يعود هؤلاء الرجال لدنيا الناس..؟

متى يارب: إنا لمنتظرون.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.



(١) سورة محمد آية رقم: ٧.



تـذيـيـل

حقيقـة الهجـرة
فى منهج الإسلام

حقيقة الهجرة
فى منهج الإسلام

لقد هاجر المسلمون الأول فراراً بدينهم من تسلط القوة الباغية..

هاجروا حتى لا تفتنهم قريش.

وتحول بينهم وبين دينهم الذى ارتضاه الله لهم.

وخرجوا به من ظلمات الجهل، وضلالات الكفر.

إلى نور الإيمان، وواحة الإسلام.

فالهجرة عمل بطولى كبير.

لا يقدر عليه إلا أفذاذ الرجال الذين طبعهم الله بطابع التقوى.

ولقد كان للهجرة إلى أرض الحبشة.

ثم إلى يثرب أثر فعال فى حياة الدعوة الإسلامية.

لقد حمت الهجرة بإرادة الله وقدرة طلائع المسلمين الذين ارتضوا الإسلام ديناً من القتل والإبادة التى كانت قريش تعدها لهؤلاء الذين تركوا عبادة الأصنام والتمسح بالأوثان.

وتقدم القرابين لآلهة الحجر والشجر.

والمسلمـون الآن فى عـصـرنا الراهـن، هم فى حـاجـة إلى هـجـرة من نوع جديد هجرة تجدد حياتهم.

هجرة: تعيد لهم قوتهم وتدفعهم إلى مقدمة الصفوف.

نريد لحكام الأمة الإسلامية أن يهاجروا.

يهاجروا من الارتجالية.

إلى دراسة الأمور وتمحيص شئون الحياة.

نريدهم أن يهاجروا ويفروا من حاشيتهم وحجابهم.

الذين يحبسونهم من خلف الأبواب والجدر.

إلى رحابة شعبهم وأممهم.

حتى يتعرفوا على أدوائهم ويحققوا لهم شفاءهم.

نريد أن نقول لحكام المسلمين إن التقارير التى تقدم لهم لا تمثل حقيقة الأمر ولا تصور الواقع المر.

نعم الواقع المر الذى يعيش فيه الناس.

ولكنها فقط تمثل أهواء الحاشية، ورغبات الحجاب.

نريد لحكام المسلمين أن يثوروا على الأقفاص التى يحبسون فيها حتى ولو كانت من ذهب.

لأنها سجن كبير، وعليهم أن يخرجوا منه إلى دنيا النور.

وإلى معايشة شعوبهم، والتعرف على أوضاعهم ومشاكلهم..؟؟

فمتى تتم هذه الهجرة..؟

حتى تعود للمسلمين كرامتهم وعزتهم..

نريد لجماعة المسلمين فى كل عصر ومصر أن يهاجروا.

هجرة جديدة.

هجرة فريدة.

يهاجروا من السلبية والارتجالية.

إلى الإيجابية العملية، وتمحيص الواقع المجهول.

يهاجروا من انحلال الأخلاق إلى قوة الإيمان.

يهاجروا من الفوضى إلى النظام.

يهاجروا من الفردية البغيضة إلى التجمع والوحدة.

ومن الاتكالية والعفوائية إلى الاعتماد على الله تعالى.

واتخاذ الأسباب والمسببات فى تحقيق أغراضهم.

نريدهم أن يهاجروا من الضعف إلى القوة.

من ظلام العبث إلى سماحة الخلق.

من إلغاء الذاتية إلى قوة الشخصية.

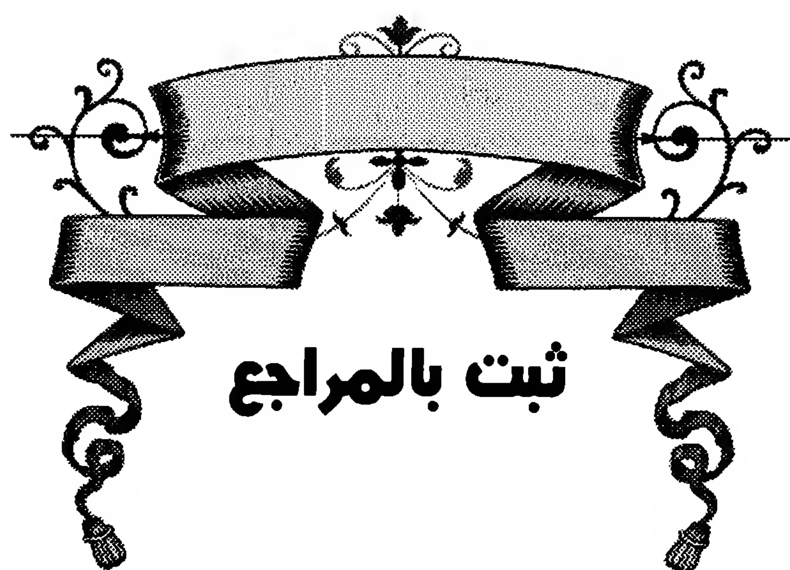
فمتى يحدث ذلك..؟

حتى يعود الإيمان والاطمئنان.

وحتى نرى فرسان مدرسة النبوة- وهم يملأون الساحة مرة أخرى.

ويعودون إلى مسرح الوجود، ودنيا الناس..؟؟

متى يا رب..؟ إنا لمنتظرون.



ثبت بالمراجع

ثَبْتٌ بالمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقى دار الشعب- مصر.

٣- أسباب نزول القرآن للواحدى: تحقيق الأستاذ أحمد صقر.

٤- تفسير القرآن العظيم: للحفاظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير. دار الأندلس- بيروت .

٥- تفسير الطبرى: لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى- دار المعارف- مصر .

٦- الجامع لأحكام القرآن: لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى.- مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م

٧- الدر المنثور: جلال الدين عبدالرحمن السيوطى- المكتب الإسلامى - طهران

٨- فى ظلال القرآن: سيد قطب.- دار إحياء التراث العربى :بيروت ١٣٨٦هـ.

٩- تفسير القرآن العظيم: لأبى الفداء إسماعيل بن كثير.

١٠- تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى.

١١- أسباب نزول القرآن: لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى.

١٢- فتح البارى بشرح البخارى: للحافظ أبى الفضل العسقلانى: المعروف بابن حجر.

١٣-صحيح الإمام مسلم، بشرح النووى - المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م

١٤- مسند الإمام أحمد: شرح أحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر- ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م

١٥- صحيح الترمذى، بشرح ابن العربى:
المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ- ١٩٣١م

١٦- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى: أ. ى. ونسنك.
تعريب محمد فؤاد عبد الباقى- مطبعة بريل فى مدينة لندن ١٩٦٢م

١٧- الجامع الصغير: للإمام السيوطى. مطبعة البابى الحلبى- القاهرة.

١٨- كشف الخفا ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد العجلونى.
مكتبة التراث الإسلامى- حلب.

١٩- تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلانى- دار صادر- بيروت.

٢٠- الكامل فى التاريخ: لابن الأثير- دار صادر- بيروت ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م

٢١- تارخ الرسل والملوك: لأبى جعفر محمد الطبرى- دار القلم الحديث- بيروت.

٢٢- البداية والنهاية- الحافظ ابن كثير.
مكتبة بيروت- ومكتبة النصر- الرياض.

٢٣- الطبقات الكبرى: ابن سعد- صيدا- دار بيروت ١٣٧٧.

٢٤- سيرة النبى لابن هشام: تحقيق محيى الدين عبد الحميد- المكتبة التجارية- القاهرة.

٢٥- الروض الأنف: عبد الرحمن السهيلى..دار الكتب الحديثة - القاهرة .

٢٦- مروج الذهب: للمسعودى- دار الأندلس- بيروت - مكتبة نهضة مصر .

٢٧- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب: لابن عبد البر- دار الأندلس- بيروت - مكتبة نهضة مصر .

٢٨- أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر: على الطنطاوى وناجى الطنطاوى. دار الفكر بيروت - الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م.

٢٩- رجال حول الرسول: خالد محمد خالد- دار الكتاب العربى- بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٣٠- العبقريات: لعباس محمود العقاد .

٣١- على بن أبى طالب- بقية النبوة- وخاتم الخلافة: للأستاذ عبد الكريم الخطيب- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت .

٣٢- هذا هو الطريق: د. عبد الرحمن عميره- دار التراث مصر - ١٩٧٣ .

٣٣- مع الإلحاد وجهاً لوجه: د. عبد الرحمن عميره- دار الحلبى القاهرة .

٣٤- إشهر مشاهير الإسلام: رفيق العظم.

٣٥- الأعلام: للزركلى.

٣٦- الأغانى: للأصفهانى.

٣٧- تاريخ الخلفاء: للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى. مصر - ١٣٠٥ .

٣٨- تفسير الخازن والبغوى: المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل والبغوى المسمى معالم التنزيل- دار الفكر - بيروت - لبنان .

٣٩- تلبيس إبليس: لابن الجوزى- مصر - ١٣٤٧هـ.

٤٠- الرياض النضرة فى مناقب العشرة: للمحب الطبرى..مصر .

٤١- سنن الترمذى: حققه وصححه عبد الرحمن عثمان.

الناشر محمد عبد المحسن الكتبى- صاحب المكتبة السلفية: المدينة المنورة.

٤٢- سنن الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى «ابن ماجه»

حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقى- ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م- دار إحياء التراث العربى.

٤٣- تراث الإنسانية: مجموعة من العلماء - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.

فهرس المحتويات